دِيوَانُ المعَانِي

لِلإمَامِ اللُّغَوِيّ الأَدِيبِ أَبِي هِلَالِ العَسْكَرِيّ

الجزء الثانى

عن نسخة الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطى

مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطانى

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة – باب الخلق – حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ وحقوق الطبع محفوظة

ديوان المعاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

الجزء الثاني

عن نسخة الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي ،
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة — باب الخلق — حارة الجداوي ١



الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذو به النجم والشجر ويرب الحب والثمر رحمة للأنام ونظراً للانعام فله الحمد أولاً وآخراً . والصلاة على نبيه محمد الذى أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محملها ويقرب متناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويغترف منها بذنوب .

وكنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضريب

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أبو عمرو لذى الرمة أى قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرىء القيس :

دِيمَةٌ هطلاءُ فيها وَطَفٌ ... طَبقَ الأرض تحرَّى وتَدُرّ

قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الاناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :

سحائبُ قيستْ بالبلادِ فألفيتْ ... غِطاءً على أغوارِها ونجودِها

هدتها النُّعامَى مُثقلاتٍ فأقبلتْ ... تهادَى رُويداً سيرُها كركودِها

قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة مائها .

والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرىء القيس قوله :

وترى الشجراءَ في رَيِّقه ... كرؤوس قُطِّعت فيها الخُمُر

الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمائم ، والخمار ههنا العمامة .

وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كأنَّ أبانا في أفانين وبلهِ كبيرُ رجالٍ في بجادٍ مُزمَّلِ [١]

يقول كأن أبانا ـ وهو جبل ـ من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء، وخفض مزمل على الجوار وهو نعت كبير كما تقول جحر ضب خربٍ .

وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج

وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال الأصمعي قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل [٢] :

دانٍ مسفٍّ فُوَيقَ الأرضِ هيدَبُهُ يكادُ يدفعُهُ من قامَ بالراحِ

فمن بنجوته كمن بمحفوته والمستكن كمن يمشي بقرواحِ [٣]

يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال سألت أعرابيا من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك [٤] ودث وبغش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأثجم ثم

---

(١) في ديوان امرىء القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يا مَن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضيء الصبح لماحِ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لا نبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمطر ركيك أي قليل .

وبل فسح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبهاً تباعا لايريد انقشاعا حتى ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملأ . والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ،وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبينا نرمّقُ أحشاءَنا ... أضاءَ لنا عارضٌ فاستنارا

فأقبل يزحف زَحْفَ الكسير ... سياقَ الرعاء البطاء العشارا

تغنى وتضحك حافاتهُ ... امامَ الجنوبِ وتبكى مرارا

كأنا تضىء لنا حُرة ... تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا

فلما حسبنا بأن لا نجاءَ ... وأن لا يكون فرار فرارا

أشارَ له آمرٌ فَوْقَهُ ... هَلمَّ فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمتِ الريحُ ريحُ الجنوبِ ... فهاجتْ هوًى غالياً وادِّكارا

وساقتْ سحاباً كمثلِ الجبالِ ... إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا

اذا الرعد جلجلَ في جانبيهِ ... فروَّى النباتَ وأروى الصحارى

تطالعنا الشمسُ من دُونهِ ... طلاعَ فتاة تخافُ اشتهارا

تخاف الرقيبَ على سِرِّها ... وتحذرُ من زوجها أن يغارا

فتسترُ غُرتها بالخمار ... طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا

وقد مرت هذه الأبيات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منهُ انهمارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل فى سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحكٌ يؤلفُ بينهُ وبكاء
ثقلت كلاهُ وأنهرتْ[(١)] أصلابهُ وتبعجت[(٢)] من مائهِ الاحشاء
غدقٌ يُنتج بالاباطح فرّقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء[(٣)]
وكأنَّ رَيقهُ ولما يحتفل وَدْقُ السحابِ عجاجة كدراء
غرٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حَفْلَ اللقاءِ وكلها عذراء
سحمٌ فهنَّ إذا كظمنَ فواحمٌ وإذا ضحكنَ فانهنَّ وضاء[(٤)]
لو كانَ من لجج السواحل ماؤهُ لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة فى قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا انهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مفيض لمياه الأرض فمصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يغرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذى ينقض هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة فى ذلك معروفة ولو كان الأمر على مايقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لامحالة لأن الشمس

---

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه. (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه فى الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرقت الناقة أخذها المخاض فندت فى الارض فهى فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهى الجلدة فيها الولد من الناس والمواشى (٤) وضاء جمع وضيئة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه فى الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الفقعسى :

ياصاحبيَّ أعيناني بطرفكما	أنى تشيمان[1] بَرْقَ العارضِ الساري
أبصرتهُ حينَ غاب النجمُ وانسفرت	عنا غفائر[2] من دجن وأمطار
فباتَ ينهضُ بالوادى وجَلهتهِ[3]	نهضَ الكسيرِ بذِيأوَنَيْن جرَّار[4]
حيرانَ سكرانَ يغشى كلَّ رابيةٍ	من الروابى بأرجافٍ وأضرار
مفرَّقٌ لدِماتِ الأرضِ منهمرٌ	رعابُ أفئدةٍ شمالُ أبصار
كأنَّ بُلْقاً عِراباً تحت رَيِّقهِ	عوداً تَذُبُّ برمح عندَ امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأنَّ ريقهُ لما عَلا شطِبا[5]	أقراب أبلق ينفى الخيلَ رماح

ومن أبلغ ماقيل فى ذلك قول الاعرابية التى سألها ذوالرمة عن الغيث فقالت : غثنا[6] ماشئنا . فكان ذوالرمة يقول قاتلها الله ماأفصحها . وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا ياأسلمى يادارَ مَيٍّ على البلى	ولازالَ مُنهلاً بجرعائكِ القطرُ

فقيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها فسدت . والجيد قول طَرَفَة :

فسقى بلادَكَ غيرَ مُفسِدِها	صوبُ الربيع وديمةٌ تهمى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الارجاء فاهرمع مطرها حتى رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلاح فضرب السيل النجاف وملأ

---

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة مايوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلهة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابنا الغيث .

الأودية فرعبها فما لبثنا إلا عشراً حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر فى بعض أيامه فى عقب مطر فلقى أعرابياً فأمر باحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة أثقالها. قال انما عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سقاب[1] ولا أطناب يختلف عصراها ويتعاقب سراجاها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت [2] السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً فثرت وأرزغت [3] ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها [4] متوا صية[5] لا خطيطة[6] منها حتى هبطت تمشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعفا الآثار وملأ الجفار وقوب الاشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت فى الغيطان ووضحت السبل فى القيعان تطالعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغثاء والوحوش مقذوفة على الارجاء فمازلت أطأ السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهواً سا كناً ، ثرت تركته ثرية [7] ، أرزغت تركت الأرض فى رزغة والرزغة والردغة الطين اذا غطى القدم ، رسغت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الهطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتمشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقأت من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

---

(١) أى أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أرزع المطر الأرض : بلها ولم تسل . (٤) أى أتتبعها قرية قرية . (٥) أى متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أوالتى مطر بعضها .

(٧) أى ترابا مبلولا .

مايوصف به المطر وهو عندهم الذى يجر الضب من وجارها فيخرجها من كثرة سيله . وقوله والحزون متافمة بالغثاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها فبقى الغثاء فى موضعه .

ومن الوصف الجيد التام فى تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار وقطر كبار وكأن الصغار لحمة للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتكاثفه . ومن أجود ماقاله محدث في وصف السحاب والقطر والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نفطويه للعتابى :

أرقتُ للبرقِ يخفو ثُمَّ يأتلقُ ... يخفيهِ طوراً ويُبديهِ لنا الأفُقُ
كأنه غُـرَّةٌ شهباء لائحةٌ ... فى وجهِ دَهماءَ مافى جلدِها بلقُ
أو ثغرُ زنجية تفترُّ ضاحكةً ... تبدو مشافرُها طوراً وتنطبقُ
أو سلةُ البيض(١) في جأواءَ مظلمة ... وقد تلقت ظباها البيضُ والدرق
والغيمُ كالثوبِ فى الآفاق منتشر ... من فوقهِ طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لافتقَ فيه فان ... سالت عواليهِ قلتَ الثوب منفتق
ان مَعمعَ الرعدُ فيهِ قلتَ ينخرق ... أولاً لأُ البرق فيهِ قلتَ يحترق
تستكُّ من رعدهِ أذنُ السميع كما ... تعْشَى إذا نظرْت من برقه الحدق
فالرعد صهصلقٌ(٢) والريح منخرق ... والبرق مؤتلقٌ والماء منبعقُ
قد حالَ فوقَ الرُّبى نَورٌ له أرجٌ ... كأنهُ الوشىُ والديباجُ والسَّرَق
من صفرةٍ بينها حمراء قانية ... وأصفرٌ فاقعٌ أو أبيضٌ يَقق

فاستحسنت هذه الطريقة فقلت :

برقٌ يطرز ثوبَ الليل مؤتلق ... والماء من نارهِ يهمى فينبعق
توقدت فى أديم الارضِ حمرتهُ ... كأنها غرةٌ فى الطرفِ أو بلق
ماامتدَّ منها على أرجائه ذهبٌ ... إلا تحدر من حافاته ورق

---

(١) السيوف . (٢) الصَّهْصلِقُ من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمعت … سلاسل التبر لا يبدو لها حلق
فالرعد مرتجس والبرق مختلس … والغيث منبجس والسيل مندفق
والضال فيما طما من مائه غرق … والجزع فيما جرى من سيله شرق
والغيم خزٌ وأنهاء (١) اللوى زرد … والروض وشيٌ وأنوار الربى سَرق
والروض يزهوه عشبٌ أخضرٌ نضرٌ … والعشب يجاوره نورٌ أبيضٌ يقق

ومما ورد في المياه (٢) :

من سيولٍ يمجها الوديانِ … وثلوجٍ يذيبها العصران
ذو استواءٍ إذا جرى والتواءٍ … هل تأملتَ مزحفَ الأفعوان
فهو حيث استدارَ وقفُ لجينٍ … وهو حيث استطار سَيفُ يمان

وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ … يادار جادَك وابلٌ وسقاك
بؤساً لدهرٍ غيرتكِ صروفه … لم يمحُ من قلبي الهوى ومحاك
لم يَحْلُ بالعينين بعدك منظرٌ … ذم المنازل كلهن سواك
أيُّ المعاهد منك أندبُ طيبةً … ممساك ذا الآصال أو مغداك
أم برد ظلك ذى الغصون وذى الحيا … أم أرضك الميثاء (٣) أم رياك
وكأنما سطعت مجامرُ عنبرٍ … أو فتَّ فأر المسكِ فوق ثراك
وكأنما حصباءُ أرضكِ جَوْهرٌ … وكأن ماءَ الوردِ دمعُ نداك
وكأن درعاً مفرغاً من فضة … ماءُ الغديرِ جرت عليه صَباك

وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققنَ بنا تيارَ بحرٍ كأنهُ … إذا ماجرت فيه السفينُ يعربدُ
ترى مستقرَّ الماءِ منهُ كأنهُ … سبيبٌ على الأرض الفضاءِ مُمدَّدُ

---

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا بياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجرى إذا الأرواحُ فيه تقابلت كامالَ من كفِّ النهاميِّ [1] مبرَدُ
فان تسكن الأرواح خلت متونهُ متونَ الصفاح البيضِ حينَ تجرد
فطوراً تراهُ وهو سيفٌ مهنــدٌ وطوراً تراهُ وهو دِرْعٌ مسرَّد
نصعــدُ فيه وهو زُرق جمــامه فنحسِـبُ أنا في السماء نصعَّـد

وقال ابن طباطبا العلوى فى مَدِّ الوادى :

ياحسن واديِنا ومــدِّ المــاءِ قد جاءَ بينَ الصيفِ والشتاء
يختالُ فى حُلتــهِ الــكدراءِ أكدرُ يمتــدُّ على غــبراء
في صَخَـبٍ عالٍ وفى ضوضاءِ يصافحُ الرياحَ فى الهواء
ترى به تنــاطُحَ الظبــاء جماءَ قد شُدت إلى جَماء
فانظر الى أعجبِ مرأى الرائى من كدرٍ ينجابُ عن صفاء
تقشع الغيم عن السماء

وقال السرى في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواجَ دجلةَ إذ غدت مصندلة بالمــدِّ أمواجُ مائها
فظلت صغار السفنِ يرقصنَ وسطها كرقص بنات الزنج عند انتشائِها
تغرقها هوجُ الرياحِ وتعتــلى ربى الموج من قدامها وورائها
فهنَّ كدهم الخيلِ جالت صفوفها وقد بَدَرتها روعةٌ من ورائها
كأن صفوفَ الطيرِ عاذت بأرضها وقد سامها ضَـيْماً أسودُ سمائها
أوالشبَـحُ المسودُّ حلَّـت عقودُهُ على تربةٍ محمرةٍ من فضائها

وقلت : مرَرْتُ بنهر المسْرُقان عشيةً فأبصرتُ أقماراً تروحُ وتغرب
كأنهمُ دُرٌّ تقطعَ سلــكهُ وغودرَ فَوقَ الماءِ يطفو ويرسب
فكم ثم من خشف [2] على الماء لاعبٍ فيا مَنْ رأى خشفاً على الماء يلعب
كأنَّ السميرياتِ فيه عقاربٌ تجىءُ على زُرقِ الزجاجِ وتذهب

---

(١) النهاميّ بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي.

وقال أبو بكر الصنوبرى :

إذا السماء أعنقت منها الى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الا مواجُ والامواجَ بطّ

وقال : وروضة أريضة الأرجاءِ من ذهب الزهر لجين الماء
يجرى على زمرد الحصباء بين استواءٍ منه والتواء
كما نفضت جونة الحوّاء .

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر الى الزهر البديع والماءِ فى برك الربيع
وإذا الرياحُ جرت عليه فى الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا أبح بينها حلق الدُّروع

ومن أوائل ماجاء فى ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :

فتوسطا عرْضَ السماء فصدعا مسجورة متجاوزٌ قُلاّمها
محفوفةً وسطَ اليراع يظلها منه مُصرَّعٌ غابةٍ وقيامها

وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نغضّ الطرفَ كالابلِ القماح
إذا قطعت براكبها خليجاً تذكر مالديه من الجُناح

« الفصل الثانى من الباب السابع »

فى ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجرى مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبى عمرو وغيره قالوا أجود ماقيل فى وصف روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياضِ الحزنِ مُعشبةٌ خضراءُ جادَ عليها مسبلٌ هَطِل
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤزرٌ بعميم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيبَ منهـا نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصلُ

قال المصنف خص العشي لأن كون الانسان بالعشي أحسن منه بالغداة لرقة تملوه بالعشي وتهبج [١] يعتاده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن هذا قوله أيضاً ＊ وصفراء العشية كالعرارة ＊ وقال بعضهم بل خص العشي لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها ، وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :

وروضٍ أحجمَ الروادُ عنـهُ له نَفَلٌ وحَوْزان [٢] تؤام

تعالى نبتـهُ واعتمَّ حتى كأنَّ منابتَ العلجان [٣] شام

الشام جمع شامة أي ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة أي أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلي :

ميثاءُ جادَ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطَ أعوام

إذا يجفُّ ثراها بلها ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالماء سجام

لم يرعها أحدٌ وارتبها زمنا فأوٌ من الأرض محفوفٌ بأعلام

تسمعُ للطيرِ في حافاتها زَجلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ خُدام

كأنَّ ريح خُزاماها وحنوتها [٤] بالليلِ ريحُ يلنجوجٍ وأهضام

ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلأ ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجمالهم وأرادت أن تسبر

---

(١) التهبج بالباء قبل الجيم : شيء من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم.

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أي توأمان (٣) العلجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت قال رأيت بقلاً وبقيلاً وماءً غدقاً سيلا يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرعت . وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهاد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة . وقال الثالث : رأيت نبتاً ثعداً معداً متراكباً جعداً كأفخاذ نساء بنى سعد تشبع منه الناب وهي تعدو اه . بقلاً وبقيلاً : يقول بقل قد طال وتحته عمير قد نشأ ، والغدق: الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة المطر يدوم أياماً فى سكون ولين ، والعهاد أول مايصيب الأرض من المطر الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتهل وتم فالناب وهى المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلأ وهى قائمة لاتطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهى تعدو اى من طول النبات وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لاتحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولا أعرف في جميع ماوصف به كثرة الكلأ أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداه فاذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ماقيل فى طول الكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وثعلب :

أرعيتُها أطيبَ أرضٍ عودا ... الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ واليعْضيدا

والخازباز السَّنِمَ المجُودَا ... بحيثُ يدعو عامرٌ مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمختارة انما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابى الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالا :

أنتَ والله من الأيـام لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبتُ عينيَّ ففي قرَّةِ عين

وقلت: أتاهُ بُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا فدوَّمَ من أعلى رُباه وديما

ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً فأصبحَ منها بالزواهرِ معلما

ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومعمر ومبدى أنيق بالعُذيب ومحضر
نما الروضُ منهُ في غداة مَريعة لها كوكب يستأنقُ العينَ أزهر
ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه اذا اعترضتهُ العينُ وشي مُدنّر
تَسابقَ فيهِ الاقحوانُ وحنوة وساماهما رَندٌ نضير وعبهر
يمج ثراها فيه عفراء جعدة كأن نداها ماءُ وردٍ وعنبرُ
أعاد نسيم الريح أنفاس نشرهِ وخايل فيه أحمر اللون أصفر (١)
بدا الشيحُ والقيصومُ عند فروعه وشتٌ وطُبّاقٌ وبان وعرعر
وناضرُ رمانٍ يرفُّ شكيرُه يكادُ اذا ماذرت الشمسُ يقطر
ويانعُ تفاحٍ كأنَّ جنيَّهُ نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهر
اذا زرتهُ يوماً تغرد طائرٌ وراناك ظبي بينَ غصنين أحورُ
فاذهاجَ نوحُ الأيكِ في رونق الضحى تذكر محزونٌ أوارتاحَ مقصر
تجاوبنَ بالترجيع حتى كأنما ترنمَ في الاغصانِ صنج ومِزهر
مراناةَ مومومقٍ وترجيعَ شائقٍ فللقلبِ ملهاةٌ وللعينِ منظر
واني إلى صحنِ العذيب لتائقٌ واني اليه بالمودَّة أصورَ
مرعت ولازالت تصوبك ديمةٌ يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر
أحم الكلى واهى العرى مسبل الجدى اذا طعنت فيه الصبا يتفجر
كأنَّ ابتسامَ البرقِ في حجراتهِ مهندةٌ بيضٌ تشامُ وتشهر

(١) أى فاخر الأصفر الأحمر .

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذ منه شيء البتة وهو

والروضُ مغسولٌ بليلٍ ممطر جلا لناوجهه الثرى عن منظر
كالعصب أو كالوشي أو كالجوهر من أبيضٍ وأحمر وأصفر
وطارقٍ أجفانه لم تنظر تخاله العين فماً لم يُفغر
وفاتق كادَ ولم ينوّر كأنه مبتسمٌ لم يكشر
وأدمع الغُدْران لم تكدَّرِ كأنه دراهمٌ فى منثر
أو كعشور المصحف المنشر والشمس فى أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرةٍ فى محجَر تسقى عُقاراً كالسراج الأزهر
مُدامةً تعْقر إن لم تعقر يديرها كفٌّ غزالٍ أحور
ذى طرةٍ قاطرةٍ بالعنبرِ ومَلثم يكشفهُ عن جوهر
وكفلٍ يشْغلُ فضل المئزر تخبرُ عيناهُ بفسقٍ مضمر
يعلمّ الفجور إن لم يفجر

وقلت: جواهر عُشبٍ ونوْرٍ نظيم وأفرادِ ظلٍّ وقطر نثير
فمن بين صُفرٍ وحُمرٍ وخُضر على القضبِ غيدٍ وزورٍ وصور
ولعسٍ تناسبُ لعسَ الشفاه وبيضٍ تعارضُ بيض الثغور
نواظرَ من بينِ يقظى ووسنى ونجل وخُزْرٍ وحُولٍ وحُور

وقد استوفى فى هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخى لنفسه :

أماترى الروضَ قد وافاك مبتسماً ومدَّ نحوَ النَّدامى للسلام يدا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيض يقق وأصفر فاقع فى أحمر نُضدا
مثل الرقيبِ بدا للعاشقينَ ضحى فاحمرَّ ذا خجلا واصفرَّ ذا كمدا

ومن المشهور قول الحمانى :

ديمٌ كأنَّ رياضها يُكسين أعلامَ المطارف

وكأنما غُدرانها فيها عُشورٌ في مصاحف
وكأنما أنوارُها تهتزُّ[1] بالريح القواصف
طرر الوصائف يلتقيـ ـن بها إلى طررِ الوصايف

وقلت: وروضة حالية الصدور كاسيةِ البطونِ والظهور
محمودة المخبورِ والمنظور مونقةِ المطويِّ والمنشور
معجبة الظاهرِ والمستور ضاحكة كالوافد المحبور
باكية كالعاشق المهجورِ شذَّرها الغيثُ بلا شذور
شقائق كناظرِ المخمورِ واقحوان كثغورِ الحور
ونرجس كأنجم الديجور والطلّ منثور على منثور
يرصعُ الياقوتَ بالبلاور

وقال السرى وأحسن، وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه:

وجنات يُحيي الشرْبَ وهنا جَنَى وهداتها حتى رباها
إذا ركد الهواءُ جرت نسيماً وان طاحَ الغمامُ طغت مياها
يُفرِّجُ وشيها عن ماءِ وردٍ يفيضُ على اللآلىء من حصاها[2]
تعانقُ ريحها لممَ الخزامى وأعناق القرنْفُل في سُراها
ويأبى زهرُها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها

وقال البحترى:

قطرات من السحابِ وروض نثرت وردها عليه الخدود
فالرياحُ التى تَهبُّ نسيمٌ والنجومُ التى تطلُّ سعود

وقال ابن الرومى:

أصبحت الدنيا تروقُ من نظر بمنظر فيه جِلاءٌ للبصر

(١) فى نسخة « تفترُّ » . (٢) فى نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر　　أثنت على الله بآلاء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر　　تبرجت بعد حياء وخفر
تبرجَ الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من الكتان أخضرَ ناضر　　يبا كره دان الرباب مطير
إذا دَرَجت فيه الرياحُ تتابعت　　ذوائبهُ حتى يقالَ غدير

وقلت: أنظر إلى الصحراء كيفَ تزخرفت　　وإلى دموع المزن كيف تذرّف
وعلى الربى حلل وشاهنّ الحيا　　قسهمٌ ومقصبٌ ومفوّفُ
وملابسُ الأنواء فيها سندسٌ　　ومضاجعُ الانداء فيها زخرف
نمَّ الرياحُ على الرياض نمائماً　　ذكرنك الكافور حين يدوف (١)
وعلى التلاع من الاقاحي حلةٌ　　وعلى اليفاع من الشقائق مطرف
والغيمُ تنفشهُ الرياحُ عشيةً　　كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهمى وهو أبيضُ ناصعٌ　　ويصيرُ سيلاً وهو أغبرُ أكلف
والبرقُ يلمعُ مثلَ سيف ينتضى　　والسيلُ يجرى مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرنا وسمي (٢) ثم خلفه ولي فالأرض كأنها وشي منشور عليه لؤلؤ منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترت البلاد وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القويَّ الأكول بالضعيف المأكول، وقال أبو تمام :

الروضُ ما بينَ مغبوقٍ ومصطبح　　من ريق محتفلات بالحيا دُلح
جونٌ إذا هطلت في روضة طفقت　　عيونُ نوارها تبكي من الفرح

وقال أبو الغضبان اليمامي :

غدونا على الروض الذى طلهُ الندَى　　سحيراً وأوداجُ الاباريق تسفك
فلم أرَ شيئاً كانَ أحسنَ منظراً　　من الروض يجرى دمعهُ وهو يضحك

(١) أي يذاب .　　(٢) الوسمي: أول المطر ، والولي الذي يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مثمر ذهباً ومن اللجين اسمجد ورق

لازال يُمْتِعُنا بجِدته وجديده بجديدنا خَلَق

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياضَ كأنهن عرائسٌ يُنقلنَ فى صفراءَ من حمراء

وقال أبو تمام :

رقت حواشى الدهرِ وهى تَمَرْمَرُ وغدا الندَى فى حَليهِ يتكسرُ

مطرٌ يروقُ الصحوُ منهُ وبعدهُ صحوٌ يكادُ من النضارةِ يمطر

وندًى إذا ادَّهنت به لممُ الثرَى خلتَ السحابَ أتاهُ وهو معذِّر

ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بهجةً لو أنَّ حُسنَ الروضِ كان يُعمَّر

أوَلا ترى الأشياءَ إذ هي غيرت سَمُجَت وحسنُ الروضِ حينَ يغير

ياصاحبيَّ تقصيا نظريكما تَريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصوَّر

تريا نهاراً مشمساً قد شابهُ زهرُ الرُّبى فكأنما هو مقمر

دنيا معاشٍ للورى حتى إذا جلِّي الربيعُ فإنما هى منظر

أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها نوراً تكادُ له القلوبُ تنور

من كلِّ زاهرةٍ ترَقْرَقُ بالندى فكأنما عينٌ عليه تحدرُ

تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها عذراءُ تبدو تارة وتخفر

الجميم متكاثف النبت، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها فيغطيه الجميم :

صنعُ الذى لولا بدائعُ لطفهِ ماعاد أصفرَ بعدَ إذ هو أخضر

وقلت فى مديح :

إنى أرى لك فى السماحة والندَى طلقاً ذَرَيْتَ به على الأَطلاق

طَلَق الغمامِ سرَى بوجهٍ باسرٍ يُروى الوجوهَ ومبتسم براق

ثقلت على عنق الصبا أعباؤهُ مثل الضعيف ينوء بالأوساق

فترى النباتَ يروقُ وسطَ رياضه ... مثل الحليّ تروقُ وسطَ حقاق

وقال البحترى :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلدٍ ... مستحسن وزمان يشبهُ البلدا
يمسى السحابُ على أجبالها فرقاً ... ويصبح الروضُ فى صحرائها بِدَدا
فلستَ تبصرُ إلا واكفاً خضلا ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

وقال أيضاً : ولازال مخضرٌّ من الأرض يانع ... عليه بمحمرٍّ من النورِ جاسد

يذكرنا ريّا الأحبة كلما ... تنفس في جنح من الليل بارد
شقائقُ يحملنَ الندَى فكأنهُ ... دموع التصابى فى خدودِ الخرائد
ومن لؤلؤ فى الأُرجوانِ منضد ... على نكت مصفرة كالفرائد
كأنَّ جنى الحوذان فى رونق الضحى ... دنانيرُ تبر من تؤام وفارد
رباع تروت بالرياض مجُودة ... بكلّ جديد الماءِ عذبِ الموارد
إذا راوحتها مزنةٌ بكرت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأنَّ يدَ الفتح بنِ خاقانَ أقبلت ... تليها بتلك البارقاتِ الرواعد

وقلت : أماترى عودَ الزمانِ نضرا ... ترى لهُ طلاقة وبشرا

أتتـهُ ألطافُ السحاب تترى ... وساقت الجنوبُ غيماً بكرا
تبسُطُ فى الصحراءِ بُسْطاً خضرا ... وتمنحُ الروضةَ زهراً صفرا
ونرجساً مثلَ العيونِ زهرا ... وأقحوانٍ كالثغور غرّا
كأنما يصوغ فيها تبرا ... كأنما يَدُوفُ (١) فيها عطرا
كأنما ينثرُ فيها دُرّا ... فأعمل الكاسات شُمْطاً شُقرا
كالماء لوناً والعبيرِ نَشرا ... ثم مُرِ الزِّيرَ يناغى الزمرا
والعيشُ أن تُسرَّ أو تَسُرَّا ... لاتفسدنَّ بالغرامِ العمرا

أحسن ماقيل فى النرجس قول أبى نواس :

---

(١) أى يذيب .

لدى نرجسٍ غضّ القطاف كأنهُ إذا مامنحناهُ العيونَ عيون
مخالفة في شكلهنّ فصفرةٌ مكانَ سوادٍ والبياضُ جفون

والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومما لم يقل مثله قول ابن الرومي:

خجلت خُدودُ الوردِ من تفضيلهِ خجلاً تورّدُها عليهِ شاهدُ
لم يخجل الورد المورود لونهُ إلا وناهله الفضيلة عائد
للنرجسِ الفضل المبينُ وان أبى آبٍ وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائدٌ زهرَ الربيع وان هذا طارد
شتانَ بين اثنين هذا مُوعدٌ بتسلُّبِ الدنيا وهذا واعد
واذا احتفظتَ به فأمتعُ صاحبٍ بحياتهِ لو أنَّ حياً خالد
يحكي مصابيحَ السماءِ وتارةً يحكي مصابيحَ الوجوه تُراصد
ينهى النديمَ عن القبيحِ بلحظهِ وعلى المدامةِ والسماعِ يُساعد
ان كنتَ تطلبُ في الملاحِ سميهُ يوماً فانك لامحالةَ واجد
هذى النجوم هي التي ربتهما بحيا السحابِ كما يربي الوالد
فانظر الى الأخوينِ مَن أدناهما شبهاً بوالدهِ فذاك الماجد
أين العيونُ من الخدود نفاسةً ورياسةً لولا القياسُ الفاسد

وقلت : ونرجس مثل أكفّ خُرَّدِ درن علينا بكؤوسِ الذهبِ
ناولنيه مثلهُ في حسنه فحلّ من قلبيَ عقدَ الكُرَبِ
مبتسمٌ عنهُ وناظرٌ به هذا لعمري عجبٌ في عجب

وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطى الغوايةَ حقها ونجري مع اللذات جريَ السوابق
بمحمرةِ الاجسادِ مبيضة الذُّرى كمثل سقيط الطلّ فوقَ الشقائق
لدى الصفر في أوساطِ بيضٍ كأنها كؤوسُ عُقارٍ في أكفّ عواتق

وقال ابن الرومي :

للنرجسِ الفضلُ برغم من رغم على صنوفِ الوردِ والفضلُ قسم
العينُ قبل السنّ وهي المبتسم فمــا لهــا والخدّ وهو المتــدّم
ماأطيبَ الريح وما أزكى النسم ماهو إلا نعمـــةٌ من النعم

ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظني طرفها يشبهُ ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُرَرٍ وشرابهم دُرَرٌ على ذهب

وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً فترى درهمــاً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلٍّ علقت بالنبات والأشجار
وتدلت على الغصونِ فجاءت كشنوفِ الكواعبِ الابكار

وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره مثلَ عروس تُجلى وتشتهرُ
نامَ الندَى في عيونه سحراً فاعتاده من منامه سهر
لم يغتمض والظلامُ حلَّ به كأنمــا في جفونه قصر
تحــيرَ الطَّــلُّ في مَدامعه فليسَ يرقا وليس ينحدر
كدمعةِ الصبّ كادَ يسكبها فردَّها في جُفونهِ الحذر

وقلت : وغنت الطيرُ بألحــانها فانتبهَ النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمهُ في الغصنِ قَرْصُ بَرْدٍ ضمّ فَم لقبلة من بُعد

وقلت فيه إذا تفتح :

مرَّ بنا يهتزُّ في خطره ما بينَ أغصان وأقمار
يديرُ في أعله وردةً جاءت من المسك باخبار
يلوحُ في حمرتها صفرةٌ كالخدّ منقوطاً بدينار

وقال ابن المعدل :

عشيةَ حيانى بوردٍ كأنه خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض

وقلت: قُومى انظرى ورداً كخدك أحمراً ترَكَ الربيعَ وراءهُ وتقدما

قد ضمهُ بردٌ ففتقهُ ندى كالصبِّ قبل فاك ثم تبسما

ولم أجد فى تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب ولكنى تركت الاكثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة وللبيضاء الوتيرَة ويشبه بها قرحة الفرس[1] قال عمرو بن معدى كرب :

يبارى قُرْحَةً مثل الـــوتيرة لم تكن مَعْدى

وقد أحسن على بن الجهم فى قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيتٌ يطيفُ بها زمردٌ وسطها شَذْرٌ من الذهب

وهو من قول أزدشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد يتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبهَ النيروزُ فى غلسِ الدجى أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما

يفتحهُ بردُ الندى فكأنه يبثٌّ حديثاً كان قبلُ مكتما

وقلت فى تفضيل الورد على النرجس :

أفضلُ الوردَ على النرجسِ لا أجعلُ الأنجمَ كالأشمس

ليس الذى يقعدُ فى مجلس مثلَ الذى يَمْثلُ فى المجلس

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيت مُنضدة على الزمردِ فى أوساطها الذهبُ

كأنه حينَ يبدو من مطالعهِ صَبٌّ يُقَبلُ صباً وهو مرتقب

ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس فى البيت دليل على أنه أراد الاحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

---

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الغرة .

أصبحَ الورد في الغصون يحاكي ‌ ‌ أوجهَ الحورِ في مقانع خضر
مثل فرسانِ غارةٍ يمتطيهم ‌ ‌ لمعٌ من دماء سَحْرٍ ونحر
ويلوحُ النهارُ أسفلَ منهُ ‌ ‌ فهو كالرَّجالِ (١) في عمائم صفر
بين نَبْذ من الشقائق يحكى ‌ ‌ غِلْمَةَ الدرّ في مطارف حمر

وقال ابن المعتز :

ولازورديّةٍ أوفت بزرقتها ‌ ‌ بينَ الرياضِ على زرْقِ اليواقيت
كأنها فوقَ طاقات ضعفنَ بها ‌ ‌ أوائلَ النارِ في أطراف كبريت

والصحيح أنه في الخُرَّم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافهُ فحكت ‌ ‌ دمعاً ينشفُ كحلا يوم تشتيت

قوله « كأنها فوق طاقات ضعفن بها » يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرَّم أشبه منه لـكبر نوره ودقة ساقه فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضةٌ كأنها من حسنها ‌ ‌ تبرزُ في أثواب سعد ومُنى
قد نثرَ الليلُ على أنوارها ‌ ‌ لآلىءَ الطلّ وأفراد الندى
بكت عليها مزنةٌ فابتسمت ‌ ‌ عن لؤلؤٍ بينَ فرادى وثنى
وحولها بنفسجٌ كأنه ‌ ‌ أواخر النيرانِ في جزلِ الغضا (٢)

وقال آخر :

وكأنَّ البنفسجَ الغضَّ فيه ‌ ‌ أثر اللطمِ في خدودِ الغيد

وقلت : وبحافاتها البنفسج يحكي ‌ ‌ أثرَ القرصِ في خدودِ العذارى

وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربى شيئاً :

ومغنَّج قالَ الكمالُ لخلقهِ ‌ ‌ كن مَجْمَعاً للطيبات فكانهُ
زعمَ البنفسجُ أنهُ كعذارهِ ‌ ‌ حُسناً فسلُّوا من قفاهُ لسانه

---

(١) أي الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جمره كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على وردِ البنفسج قبل تأنيبِ الحسود
فكأنما أوراقها آثارُ قرصٍ في الخدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرفات على قضبانها الذلل
كأنها دمعةٌ قد مسَّحت كُحُلاً جالت به وقفة في وجنتي خجل

وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد مايكون من التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لاتجول فنظمته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بينَ مكحل ومُجَسَّد
كالخدِّ يصبغهُ الحياءُ بحمرة وجرى عليه الدمعُ خلطَ الأثمد

ومن غريب ماقيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحمامِ وقد شجا شجوَ القيانِ فشقَّ فضلَ ردائه
وتحيرت مابين إثمد ماقه في الخدِّ دمعتهُ وبينَ حيائه
فكأنه الحبشيُّ بُضِّعَ جسمهُ فثيابهُ مُخضلةٌ بدمائه

وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدينارِ منقوطه

وقال التنوخي :

شقائقٌ مثلُ خدودٍ نقشت شواربٌ بالمسك فيها ولحى

وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لايشبه الشوارب .

ومن أحسن ماقيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني رُوح دِنانٍ صافيه
في روضةٍ كأنها جلد سماءٍ عاريه

كأنما أنهارها بمـاء ورد جاريه
كأن آذريونها غِبّ سماء هاميه
مداهنٌ من ذهب فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصيّر آذريونهُ فوقَ أذنه كـكأسِ عقيقٍ في قراراتها مسك

وقلت : ولاحَ آذريونُها مثلَ الغوالي في السرر

وقال الشمشاطي[1] :

تراهُ عيوناً بالنهارِ نواظراً وبعدَ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج

وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهب مُشرفاتٌ وسطهنّ غاليه

أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ماقيل في البهار قول ابن الرومي :

وروضـة عذراءَ غيرُ عانسه خضراء مافيها خلاة يابسه
فيها شموسٌ للبهارِ دارسه كأنها جماجمُ الشمامسه
ترُوقك النَّوْرةُ منها الماكسه بعينِ يقظى وبجيد ناعسه
وخُرَّمٌ في صبغهِ الطيالسه مثل الطواويسِ غدت مُطاوِسه

وقال ابن المعتز :

في روضة كحلل العروسِ وخرَّم كهامةِ الطاووس

وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي :

خرَّمَـةٌ كهامة الطاووسه داريَ من بهجتها مأنوسه
والعين في فنائها محبوسه محفوظةٌ تحسبها محروسه
تعجبني منظورة ملموسه مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بآل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

ياقوتة لكنها مفروسه في زهر[1] كالشعل المقبوسه

لخلال ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن خُرَّم غض خِلالَ شقائقٍ يلوحُ كخيلانٍ على وردتي خدّ

وإذا كان في الخد خيلان لم يستحسن الخال الواحد . وقلت :

على رياضٍ خُرَّم كأنها رؤوسُ هداب حرير الكحل

وقال ابن طباطبا :

وطوّس فيها خُرّمٌ فكأنها صاماتُ وشيٍ هُيئت لخازن

وقلت في البهار والورد :

وردٌ إلى جنبهِ بهار كالخدّ أصغى اليه قرط

وقد جمعت أصناف المنثور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوانُ منثورٍ يريك حسنها ألوانَ ياقوتٍ زها في عقده

ياحسنها في كفّ من يشبهها فانظر إلى الندّ بكفّ ندِه

من أشهل كعينه وأبيضٍ كثغره وأحمر كخده

وأصفرٍ مثلِ صريع حُبه إذا تغشاهُ غواشي صدّه

وقال السري في الورد :

أما ترى الوردَ قد باحَ الربيعُ به من بعد مامرّ حولٌ وهو اضمار

وكان في حللٍ خضرٍ وقد خلعت إلا عرى أغفلت منها وأزرار

وقلت : ليس ينفكُّ للغمام أياد تتكافا وأنعم تتجدد

فترى رعدهُ يشقُّ حريراً وسنى برقه يطرز مِطْرد

وترى للزمانِ غُصناً وريقاً يملكُ الطرفَ إذ يقومُ ويأود

---

(١) في نسخة « زهرة » .

أنبتَ الأرضَ عسجداً ولجيناً فالروابي مُكلَّلٌ ومقلد

وجرى الريحُ سَجسجاً[١] ورخاءً فالمناهي[٢] مسلسلٌ ومُسرَّد

وسبى العينَ لؤلؤ وعقيقٌ نظما في زمردٍ وزبرجد

فترى ثَمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثَمَّ وجنةً تتورد

قطرات الندى أحادٌ ومثنى مثل دُرٍ منظم ومبدد

وكأنَّ الشقيقَ كأسُ عقيقٍ طرحَ المسكَ في قرارتها ند

فترى النجدَ في رداءٍ موشى وترى الوهدَ في قميص مُعمد

وعليهِ منَ البهارِ عطاف ومن الوردِ والشقائق مُجسَّد

وترى النورَ مثلَ مضحكِ خودٍ وترى الغصنَ مثلَ شاربِ أمرد

ومن بديع ماقيل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :

فكأنهُ في الماءِ صاحبُ مذهبٍ أغراهُ وسواسٌ بأن لا يطهر

وقال السرى[٣] :

ونيلوفرٍ أوراقهُ الخضرُ تحتهُ بساطٌ اليهِ الأعينُ النجلُ شُخَّص

هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاصَ في الماءِ النمير حسبتهُ رؤوسَ إوَزٍّ في الحياض تغوص

وقوله « النمير » لايحتاج اليه . وقال آخر من أبيات :

كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته

وقلت : فشربتها عذراءَ من يدِ مثلها تحكى الصباحَ مع الصباح المشرق

في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها بمنمنم من نبتها ومنمق

فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلى زهر هناك مفرق

---

(١) في نسخة « سجسداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهي اليه الماء .

(٣) هو السرى الرفاء الموصلي ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبي والكبار ، وكان بينه وبين الخالديين معاداة .

تجبى بوردٍ كاللجين مكفرٍ منها وورد كالعقيق مخلق
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةَ أخلق
يبدو ويكمن في الغدير كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقى
فالى السرور لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلق

وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الرُّبى عن زخارف من الروض عنهن الثرى متهاملُ
ترى قضبَ الياقوت تحتَ زبرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائل
تلقحها الأنداء ليلاً بريقها فيصبحنَ أبكاراً وهنَّ حوامل

وقلت فى الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ مونقٌ كالنَّورِ غبَّ السَّبَل الساجم
طالعتُ فيه غرَراً وضَّحا كمثلِ أيامِ أبي القاسم
والآس فى كفى أحبيهمُ مثلَ شوابيرِ بنى هاشم

وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارضِ حين تبدو وفيها لين أعطافِ الغلام

وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارَها
وكانت أكنَّتْ لكانونها خبيئاً فأعطته آذارها

والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارَها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
ويسفح فيها دماء الشقيق ندى طلٍّ يفتض أبكارها
وتدني الى بعضها بعضَها كضمِّ الاحبةِ زُوَّارها

كأنَّ تفتحها بالضحى عذارى تحللُ ازرارها
تفضُّ لنرجسها أعيناً وطوراً تحدِّقُ أبصارها
اذا مزنةٌ سكبت ماءها على بقعة أشعلت نارها

وقال فيها : وأقبلَ ينظمُ أنجادَها بفيضِ المياهِ وأغوارَها
وأرضع جناتها دَرَّهُ فعمَّم بالنورِ أشجارَها
ودارَ بأكنافها دَوْرَةً تنسى الاوائل بِرْجارها

وقال أيضاً في الباقلى :

جنىٌّ يومٍ لم يؤخر لغدِ ولم ينقل من يدٍ الى يد
كالعقدِ إلا أنه لم يُعقدِ أو كالفصوص في أكفِّ الخرَّد
أو ككبار اللؤلؤِ المنضد في طيِّ أصداف من الزبرجد
مفروشة بالكرسفِ المُلَبَّد

وقلت فيه أيضاً :

أبدى الربيعُ لنا من حُسنِ صنعته شبائه اتفقت في الشكلِ والصور
خضرٌ ظواهرُها بيضٌ بطائنها تحكي القباطيَ تحتَ السندس النضر
بيضٌ شبائهُ في خضرٍ ململةٍ مثل الزبرجدِ مثنياً على درر
ينشقُّ أخضرُها عن أبيضٍ يققٍ كالثغرِ يشرقُ تحتَ الشاربِ الخضر

ومن المشهور في ورد الباقلى قول الصنوبرى :

وبنات باقِلى يُشبه نَوْرُها بلقَ الحمامِ مُشيلةً أذنابَها

وقلت فيه : وبُزْهى وَرْدُ باقلى كأطواقِ الشعانين

وقال السرى في غير ذلك :

في زاهر عبق تضوعهُ فكأنَّ عطاراً يعطره
ضاهى ممسكهُ معنبرهُ وحكى مُدَرْهمه مدنّرُه

ومن أجود ماقيل في البساتين ومواضع الاشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضي البصرة ليتيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل الي الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المدُّ صب مافيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يابنى هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ماأعطاك منها وادع بالبركة لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول فى وصفها :

ترفعت عن يدِ الاعماقِ وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
فالتفَّ بالزهرِ والريحانِ أسفلها ومالَ بالنخلِ والرمانِ أعلاها
وصارَ يحسده فيها أصادقهُ ولأمٌ لامَ فيها من تمناها
أبا معاويةَ اشكر فضلَ واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز فى السرو والنرجس :

لدى نرجسٍ غض وسروٍ كأنهُ قدودُ جوارٍ رحنَ في أُزرٍ خضر

وقلت : لبسَ الماءُ والهواء صفاءً واكتسى الروضُ بهجةً وبهاءً
فكأن النهاءَ صرنَ رياضاً وكأنَّ الرياض عدن نهاءً
وكأنَّ الهواءَ صارَ رحيقاً وكأنَّ الرحيقَ صارَ هواءً
وتخالُ السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهارِ سماءً
جللتها الانواءُ زهراً وصفراً يومَ ظلت تنادمُ الأنواء
فتراها ما بينَ نَوْءٍ ونَوْرٍ تتكافا تبسماً وبكاءً
وتظلُّ الأشجارُ تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرت خُلداتٍ(١) واكتست حينَ أورقت سيراءً(٢)
وترى السرو كالمنابرِ تزْهى وترى الطير فوقها خطباء

وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً تواتيني على القصف والفتك

---

(١) أى أقراط. (٢) نوع من الثياب .

بغرس كأبكار الجواري وتربة كأن ثراها ماءُ وردٍ على مسك

وقال السرىُّ في تفاح ودَسْتَنبوري ورمان :

إنَّ شيطانكَ في الظَّرْ فِ لشيطانٌ مَريدُ

فلهذا أنتَ فيه مُبدىءٌ ثم مُعيدُ

قد أتتنا طُرَفٌ منك على الظرفِ تزيدُ

طبقٌ فيه خدودٌ وقدُودٌ ونهودُ

وقد أحسن التنوخي في وصف النارنج حيث يقول :

لم لا تجنُّ بها القلوب وقد غدت مثلَ القلوب

وقال : تطالعنا بين الغصونِ كأنها خدودُ عذارى في ملاحفها الخضر

أتت كلَّ مشتاقٍ بريا حبيبهِ فهاجت له الأحزان من حيثُ لا يدري

وقال : إذا لاحَ في أغصانهِ فكأنه شموسُ عقيقٍ في قبابِ زبرجد

وقال في المركب :

مركب تعجبُ من حُسنهِ قد كنز الفضة في تبره

يشا كلُ العاشقَ في لونهِ ويُشبهُ المعشوقَ في نشره

وقال الصنوبري في التفاح وقد ظرف :

أعطت يداهُ محبهُ تفاحةً تعطى المحبّ أمانهُ من صدّهِ

وهذا البيت متكلف جداً :

فعلمتُ حينَ لثمتها من كفهِ انى سألثمُ أختها من خدّهِ

وقال أيضاً في أُتْرُجَّةٍ وأحسن :

جاءَ فحياني بأترجة من ذهبٍ قد حُشيتْ فضه

أتى بها ناعمةً غضةً من كفهِ الناعمة الغضه

تُبذَلُ للقبلةِ حُسناً ولا تصلحُ أن تُبذلَ للعضه

أحبب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضه

وقلت فى الأترج والنارنج :

ترى النارنجَ فى ورقٍ نضيرٍ فتحسبهُ عقيقاً فى زبرجد
وأترجٌّ على الأغصان يزهى كما رفعَ الفتى قنديلَ مسجد

وقال بعضهم فى دستنبوية :

يا حبذا تحيةٌ رحت بها مسرورا
مخزَّنة من ذهبٍ قد مُلئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهرُ فى السراج نشربها على كراةِ عاج
ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحدقَ ليمونٌ بأترجة كأنجم تحدقُ بالبدر
مخروطة الأجسادِ من فضةٍ ملبسات قُمصَ التبرِّ
قد شدَّ من هاماتها زرُّها ياعجباً من ذلك الزرِّ
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تُحفِ الدهر

ولبعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير فى معناها وهى التى أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر ألطافهم عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال المحمودة وتنظم الخلال الموموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ماوصفنا غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقفك على نبلها وأكشف لك عن سرائرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع فى التفاح الصفرة الدرية والحمرة الخمرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتونى بتفاحة أعتصم برائحتها ريثما أقضى وطرى من المناظرة. فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجودَ الأشياء لعلاج المزاج الحاد الكائن فى المعدة مع المزاج البارد الكائن فى الرأس وغثيان النفس وقلة الاستمراء للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانىء : ماعلل المريض المبتلى وسكنت حرارة الثكلى وردعت شهوة الحبلى ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى الغضبان ولاردت عرامة الصبييان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك وإن رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

حُمرةُ التفاح فى خُضرته ... أقربُ الأشياء من قوسِ قزح

والخمرة تفاحة ذائبة والتفاحة خمرة جامدة . وقال الشاعر *الخمر والتفاح شكلان*

وقال آخر: تفاحةٌ حمراءُ منقوشةٌ ... ركبتَها فى غُصنِ الآس

ألبستَها ورداً وكللتها ... إكليلَ نسرين على الراس

وقال آخر فى التفاحه :

كأنما حُمرتَها ... حمرةُ خدٍّ خَجِل

وقال ابن أبى أمية :

مازلتُ أرجوكَ وأخشى الردى ... معتصماً بالله والصبر

حتى أتتنى منك تفاحةٌ ... زحزحتِ الأحزانَ عن صدرى

حشوتها مسكاً ونقشتها ... ونقشُ كفيك من السحرَ

واهاً لها تفاحة أُهديتْ ... لو لم تكن من خُدَعِ الدهر

فاذا وصلت اليك ـ أوصلك الله إلى رحمته وعطفه ـ فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة جامدة وقلب ساهٍ وعقل لاهٍ وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه ولا يدري ماقدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهداه ولاتخدشها بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذاطال لبثها لديك وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب ببهجتها ويحول نضرتها فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره.

وقلت في الريحان :

ثم انثنينا الى خُضرٍ مُنعمةٍ   كأنَّ أوراقها آذانُ جُرذان
وقهوة كجنيِّ الوردِ وشَّحهُ   من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ سمطان

وقال السرى فى دستنبوية :

وأغنّ كالرشأ الغريـــر نشا خلالَ الربرب
فى خدّه وردٌ حمَا ه من القطافِ بعقرب
حيا بدستنبويةٍ مثل السنان المذْهب

وقال أيضاً فيها :

صفراء ماعَنَّت لعينيْ ناظرٍ   إلا توهمها سناناً مُذْهبا

وقلت : وأترج يحفُ بها أقاحٍ   كبدرِ الليلِ تكنفهُ النجوم

وقال السرى فى نارنجة :

أهدت على نأيِ المحلِّ وقد   أنأى التصبرَ طولُ هجرتها
نارنجةً منها استعيرَ لها   ما أُلبستْ من حُسنِ بهجتها
وشُعاعُها من نور وجنتها   ونسيمها من عطرِ نكهتها
وكأنَّ ما يخفيهِ باطنها   ماأضمرتْ من سوء غدرتها

وحكى اخضرارٌ شابَ وجنتها قَرْصَ الأكفّ أديمَ وجنتها
فأتتك مُكملةً محاسنها تختالُ في أثواب زينتها
فثمارُها صفوُ اللجين ومن ذهبٍ مصوغٌ ثوبُ بذلتها
تُهدى إلى الأرواح من بعدٍ تحفَ السرور لطيب نشوتها
ويصونها مسرَى روائحها من أن تباشرها بشمّتها
فاشربْ عليها من شقيقتها في نعتِ ريَّاها وصبغتها
واعطفْ عِنانَ النفسِ عن فكرٍ راحت معذّبة بفكرتها (١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الاترج :

ريحانةٌ في اصفرار مهديها شبهتها بعدَ فكرةٍ فيها
أحبةً لم تُصِخْ لعاذلها تسُدُّ آذانها بأيديها

فأورد المعنى في بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقمعة في غصن آس فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفرُ يهوى من ذؤابةِ أخضر كما انقضّ نجمٌ في الدجنة ثاقب
له شعبٌ تهوى (٢) على سرَواته كمثل بنان الكفّ يلويه حاسب
فناولنيه ذو دلال كأنما له الشمسُ أمٌّ والبدورُ أقارب
فأصبح مشهورَ الجمالِ مُشهراً له الحسنُ خدنٌ والملاحةُ صاحب

وقال بعضهم في الأترج :

لها ورَقٌ ريحها ريحهُ وما ذاك في غيره لو طلب
كأن تعطف أوراقها أكفٌّ تشيرُ إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

اذا ذلت الأشجارُ يوماً لجفوة فانّ لها عِزَّ القناعة والصبر
تَصرّفُ في اللذات من كلّ مطعم تصرفَ زيدٍ آخذاً بقفا عمرو

---

(١) في نسخة (بصحبتها) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت في التفاح :

ليسَ ريحُ التفاح عندي بريحٍ   لاولكنهُ صديقٌ لروحي
حمرةُ الخدِّ واخضرارُ عذارٍ   فمليحٌ يطوفُ حولَ مليح

وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحة فماتبني   فتىً رآها كخدِّ معشوقه
فقال خدُّ الحبيب تأكلهُ   فقلتُ لا بل أمصُّ من ريقه

وقال السري :

لو جُمِّدتْ راحُنا اغتدت ذهباً   أوذابَ تفاحُنا غدا راحا

وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضيا :

حكى الرمانُ أوّلَ ماتبدَّى   حقاقَ زبرجد يحشينَ دُرّا
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عقيقاً   ويكسوهُ مرورُ القيظِ تبرا
ويحكي في الغصونِ ثديَّ حور   شققنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانيهْ   تملكُ لحظَ الأعينِ الرانيهْ
مصفرة الوجنةِ محمرة   كأنها عاشقةٌ ساليه

وأجود ماقيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيٍّ مخطف الخصور   كأنه مخازنُ البللور
قد ملئتْ مسكاً إلى الشطورِ   وفي الاعالي ماءُ وردٍ جوري
لم يُبقِ منها وهجُ الحرورِ   إلا ضياءً في ظروف نور
له مذاقُ العسل المشورِ   وبردُ مسِّ الخصر المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ   لو أنهُ يبقى مع الدهور
قرّظ آذانَ الحسانِ الحور

وقال في معناه :

ورازقيٌّ مخطف خصورهُ قد أينعت أنصافهُ الأسافل
كأنها مخازنٌ مملوءةٌ من ماءِ وردٍ فيهِ مسكٌ ثافل

لايزيد على هذا الوصف أحد . ودخل اعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له هشام ماأطيب العنب عندكم ؟ قال مااخضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحنت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير المؤمنين راجلاً لحنتَ فلحنتُ ونحوتَ فنحوتُ . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

بأكرنا الدهرُ بسرّائه وكفَّ عنا بأسَ بأسائه
وجاءنا أيلولُ مستبشراً يثنى على الدهرِ بآلائه
أما ترى الرقةَ فى جوّهِ تناسبُ الرقةَ في مائه
أنظر الى أنواع أثمارهِ قد ضمها في بُرْدِ أحشائه
راحت عليها نسماتُ الصبا تقرصها فى بردِ أفنائه
أما ترى حسنَ ملاحيهِ يُهدَى الى بهجةِ شمرائه
أنظر الى رُمّانه ضاحكا حمراؤهُ في وجهِ بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجنَ من ورق كمااختبى الزنجُ فى خضرٍ من الأُزر

ويروى لابن المعتز فى التفاح :

وتفاحة صفراءَ حمراءَ غضة كخدِّ مُحب فوقَ خدِّ حبيب
أحيابها طوراً وأشربُ مثلها من الراح فى كفى أغن ربيب

وقلت فى النارنج :

روضٌ زهاهُ المزنُ فى كرّاتهِ بمكفرٍ [1] ومُزعفرٍ ومُضرَّج
فتبسم النارنجُ في شجراتهِ مثلَ العقيقِ يلوحُ فى الفيروزج

---

(١) أى ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغنّ يزينه   وجنات ورد في عذار بنفسج

ومن أجود ماقيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودي عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب :

ضربنَ العرقَ في يَنبوعِ عينٍ   طلبنَ مَعينه حتى ارتوينا (١)

بنات الدهرِ لايخشينَ محلاً   إذا لم تبْـقَ سائمةٌ بقينا

كأنَّ فروعهنَّ بكل ريح   عذارَى بالذوائبِ ينتصينا (٢)

وقد ملح النابغة في قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها   إذا طارَ قشرُ التمرِ عنها بطائر

من الواردات الماءَ بالقاع تستقى   بأعجازها قبلَ استقاءِ الحناجر

وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهن وردن الماءَ يعني الماء الذي في بطن الأرض معينا . وقال النمرُ «طلبن معينه» فجعل الماء الذي في بطن الأرض معيناً ، والمعين إنما هو الماء الجاري على وجه الارض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل في الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الاشرف (٣) :

ونخيل في تلاعٍ جمةٍ   تخرجُ الطلعَ كأمثالِ الاكف

وقال الربيع بن أبي الحقيق :

أذلك أم غرسٌ من النخلِ مترع   بوادي القرى فيه العيونُ الرواجعُ

لها سعفٌ جعدٌ وليفٌ كأنه   حواشي برودٍ حاكهن الصوانع

وهذا في وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودي عن الحرث بن اسمعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلي أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

---

(١) في نسخة « حتى روينا » . (٢) أي يأخذ بعضها بنواصي بعض .

(٣) هو كعب الطائي الشاعر الشجاع الجاهلي كان ينال من المسلمين فقتله الأنصار .

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت الأحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهى الشجرة التى نبتت على مريم بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهى شجرة مريم فاتق الله لاتتخذ عيسى إلـهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رَسَت بشاطى تَرعٍ رَيان
تمتارُ بالاعجازِ الاذقانِ لاترهبُ المحلَ من الازمان
ولاتوقَّ خَتلَ الذؤبان ولاترى ناشدة الرعيان
ولاتخافُ عِرَّةَ الاوطانِ سُحم الرؤوسِ كمتُ الابدان
لها بيوم البارح الحنانِ مثلُ تناصى الخرَّد الحسان
إذ هى أبدت زينةَ الرُّهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
يطلعُ منها كيد الانسان إذا بدت ماهومة البنان
عُلت بورسٍ أو بزعفران حتى إذا شبه بالآذان
من حمرُ الوحشِ لذى عِيانِ وهذا لفظ زائد على معناه :
شققهُ علجانِ ماهرانِ من لؤلؤٍ صيغَ على قُضبان
مصوغةٍ من ذهب خلصان ثم ترى للسبع والثمان
قد حالَ مثلَ الشذرِ فى الجمان يضحكُ عن مشتبهِ الأقران
كأنهُ في باطنِ الأفنان زمردٌ لاحَ على التيجان
حتى إذا تمَّ لَهُ شهران وانسدلت عثاكلُ القنوان
كأنها قضبٌ من العقيان فصلْنَ بالياقوتِ والمرجان
من قانىٍ أحمرَ أرجوان وفاقع أصفرَ كالنيران
مثل الأكاليل على الغوانى

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :

ونخيل وقفنَ فى ممطف الرمـــــلِ وقوفَ الحبشانِ فى التيجان
شربتْ بالأعجازِ حتى تروَّت وترائت بزينـةِ الرحمان
طالعَ الطلعُ في الجماجم منها كأكفٍّ خرجنَ من أردان
فتراها كأنها كُمْتُ الخيـــــلِ توافت مُصرةَ الآذان
أهو الطلعُ أم سلاسلُ عاجٍ حُملت فى سفائن العقيان
ثم عادت شبائهاً تتباهى بأعالى شبائه أقران
خرزاتٌ من الزبرجد خضرٌ وهبتها السلوكُ للقضبان
ثم حال النجارُ واختلفَ الشكـــلُ فلاحت بجوهرٍ ألوان
بينَ صُفرٍ فواقع تتباهى فى شماريخها وحُمرٍ قوانى

وقال بعض العرب * طلعاً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرُّطب :

كقطع العقيقِ يانعاتٍ بخالصِ التبرِ مُنوَّعاتِ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكنُ بن السعيد قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد يدمجه ولكنك ياابن العاص لاتمراً تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتقرف[1] فقال معاوية رغماً فقال عمرو أضعاف الرغم لك ومابى إلا بعض ما بك .

ومن الغلو فى صفة التمر ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن اسماعيل ابن أسحق القاضى عن أبى نصر قال قال الأصمعى قيل للغاضرى أى التمر أجود ؟ قال : الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة فى فمك فتجد

(١) أى تقذف .

حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحانى . وقال الخباز البلدى :

ذرَى شجر للطيرِ فيه تشاجرُ كأن بناتِ الوردِ فيهِ جواهر

كأن القمارى والبلابل بينها قِيانٌ وأوراقُ الغصونِ ستائر

شربنا على ذاك الترنم قهوةً كأن على أحداقها الدُّرَّ دائر

وقال غيره :

أىّ يوم لنا على التلِّ بالما ه[1] وعيش تضيقُ عنهُ النعوتُ

وردَّ الدرُّ فيهِ فى شجرِ اللو زِ وفي الخوخ وردَّ الياقوت

وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً ياله من حدائقٍ وجنان

خطرت بينها الرياحُ سُحيراً فتناصت[2] تناصىَ الأقران

وتناجى الغصونُ فيها سِراراً وتنادى الطيورُ بالاعلان

فتناجى الغصونِ شبه عتابٍ وتنادى الطيورِ مثلُ أغانى

من كرومٍ تمايلت بمناقيـ ـدِ كجُعدِ الزنوجِ والحُبشان

وملاحية تميلُ أخرى كوجوهِ الخرائد الغُرّان

كلآلى تشبثت بلآلٍ وبنانٍ تشبّكت ببنان

فهىَ كالنجم فى فروعِ كرومٍ وهىَ كالشمسِ فى بطونِ الدنان

وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصنافِ المعانى صلحنَ لوقتِ إكثارٍ وقله

وإحداهنَّ تبرزُ فى عباء وأخراهن فى حِبَرٍ وحُلّه

ومنها ماتشبّهه بدوراً فان قطّعتها رجعت أهلّه

وقلت : ولونٍ واحدٍ يُلقى فيأتينا بألوان

بسُمرانٍ وسُودانٍ وحُمرانٍ وصُفران

كوشى فى يدَىْ واشٍ وشهدٍ فى يدَىْ جانى

---

(١) الماه : اسم لناحية. (٢) أى أخذت كل واحدة بناصية الأخرى

فمن أُدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنان

وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنّ ظلٌّ باردُ الودائق يحملنَ لذاً طعمهُ للذائق
كأنها غدائرُ العواتق تُناطُ في حُجرٍ من المالق
كأنها أناملُ القرانق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في التفاح :

انظر الى التفاح تنظرْ معجباً يجلو عليك مُفضَّضاً في مُذهَب
يعلو مفارقَه قلانسُ أخفيت من تحتهنّ دراهمٌ لم تضرب

وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقةِ القاماتِ بيضٍ نحورُها وخُضرٍ نواصيها وصفرٍ جُسومها
لها حقبٌ لا تستطيعُ اطراحها وليس يطيقُ سلبَها من يرومها
وهنّ رماحٌ لا تريقُ دمَ العدى ولكن يُراقُ في القدود صميمُها
يميل على أعرافها عذباتُها كحور تناصى هندُها ورميمُها (١)
تناهي بها الأدراكُ حتى كأنها يُعلُّ بماءِ الزعفرانِ أديمُها
ترى الريح يُغريها بنجوى خفيّة إذا ماجرى قصرَ العشيّ نسيمها

ومن جيد ماقيل في السّدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرٍ منظراً أحسن من أفنانِ طلحٍ مَروح (٢)
كأنها والريحُ تسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفتوح
وسدرة مدت بأفنانها على سَواقٍ كمتونِ الصفيح

إلا أن قوله « للفُتوح » فضلٌ لا يحتاج اليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح مثلها إذا نُشرت لغير الفتوح فذكر الفُتوح لغو .

وإنما أوردفي هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيرى اختارها فأُريدُ أن

---

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أي أصابته الريح .

أدلُّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل فى النبق قول بعضهم :

أتانى فحيّانى بنبقٍ كأنه ... حُلِيٌّ عَروسٍ زان ليتاً وأخدعا
بأحمرَ كالياقوتِ يَقطُر ماؤه ... وأصفرَ كالعقيان ضمّهما معا

وقال آخر :

أقبلَ تحتَ الليل كالظبي الغَرِق ... بالراح والرَّيحانِ والمسكِ عَبِق
فجادَ بالوصلِ وحيّا بالنبق ... وقلتُ نبقى هكذا ونتفق
ما اخضرَّ عودٌ أبداً لا نفترق

وقلت فى النبق :

جلى الربيعُ علينا ... كواعباً أبكارا
مُتوّجات عقيقاً ... مسورات نهارا
ترى لهنّ من الور ... دِ شوذراً وخمارا
أهدى لنا جوهرات ... تحيرُ الابصارا
ياحسنَ حُمرٍ وصُفرٍ ... تريك جمراً ونارا
قد راقَ ذاك احمراراً ... وراع ذاك اصفرارا
وخلتُ هذا عقيقاً ... وخلتُ ذاك نُضارا
وذاك شهداً مشاراً ... وذاك راحاً عُقارا
لو كان يبقى سليماً ... نظمتُه تقصارا (١)

وقلت فى المشمش ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبحُ وَردىٌّ العَذَب ... بنادقاً مخروطةً من الذهب
قد ضُمّنتْ أمثالها من الخشب ... والتفَّ منها خشبٌ على غَرب
وصار منهُ السمُّ حشواً للضرب ... فهى لعمرى عجبٌ من العجب

الغرب الفضة ، والضربُ العسل . ولا أعرف فى التين أجود من قول القائل :

---

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتين جاءنا ... مُبتسماً على طبق
يحكي الصباحَ بعضُه ... وبعضُه يحكى الغسق
كسُفرٍ مضمومةٍ ... قد جُمِعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفُستق :

من الفُستقِ الشامىّ كلٌّ مصونة ... تصانُ من الاحداثِ فى بطنِ تابوت
زبرجدة ملفوفة فى حريرة ... مضمّنة دُرًّا مُغشى بياقوت

وقلت فى خيارة :

زبرجدةٌ فيها قراضةُ فضّةٍ ... فان رجعت تبراً فقد خسّ أمرُها
تلم بناطورين فى كلِّ حجّةٍ ... فيكثر فينا خيرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ ليسَ يفقدُ نفعها ... وعندَ الخريفِ ليسَ يُؤمَنُ ضرُّها

وأما ذمُّ البساتين فمن أجود ماقيل فيه قول ابن الرومى :

للهِ ماضيّعتُه من الشجر ... أطفال غرسٍ تُرتجي وتُنتظر
ومُعجبات من بقولٍ وزهر ... مصفرة قد هرمت لامن كبر
فى بقعةٍ لاسُقِيت صوبَ المطر ... حالقة لنبتها حلقَ الشعر
ضميرها النارُ وان لم تستعر ... كلُّ امرىء غيرى من هذا البشر
بستانُه أنثي وبُستانى ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابى :

مُطرنا فلما أن روينا تهادرت ... شقاشق فيها رائبٌ وحليب
ورامت رجالٌ من رجالٍ ظُلامةً ... وعدّت ذُحُولٌ بيننا وذُنوبُ
ونصّت ركابٌ للصبا فتروّحتْ ... ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
بنى عمنا لا تعجلوا انضبَ[1] الثرى ... قليلاً ويشفى المترفينَ طبيبُ
ولو قد تولى الضبُ وامترت القرى ... وحنّت ركابُ الحىّ حين تؤوب

---

(١) أى جفافه .

وصارَ غبوقُ الخَودِ وهي كريمةٌ على أهلها ذو جدّتين مشوبُ
وصارَ الذى فى أنفهِ خُنزُوانةٌ ينادى إلى هادى الرحا فيجيبُ
أولئكَ أيامٌ تُبَيِّنُّ الفتى أكابُ سليبٍ أو أشمُّ نجيبُ

« الفصل الثالث من الباب السابع »

فى ذكر النسيم

من غريب ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الأرضَ بالقطرِ كذيلِ الغلالةِ المبلولِ
وَوُجوهُ البلادِ تنتظِرُ الغيثَ انتظارَ المحبِّ رَدَّ الرسولِ

وقال ابن الرومى :

حيَّتكَ عنا شَمالٌ طافَ طائفها بجنّةٍ فجرت رَوْحاً وريحانا
هبّتْ سُحيراً فناجى الغُصنُ صاحبَهُ سِرّاً بها وتنادَى الطيرُ إعلانا
وُرْقٌ تغنّى على خُضْرٍ مُهدّلةٍ تَسمو بها وتشُمّ الأرضَ أحيانا
تخالُ طائرها نشوانَ من طربٍ والغصن من هزهِ عطفيه نشوانا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رياضاً قد تيقَّظ نورُها وبلّها دمعٌ من المُزنِ ذارفُ
كأنَّ عبابَ المسك بين بقاعها يفتحها أيدى الرياح الضعائف

وقلت : والصبا يجلبُ الغمامَ الينا فترى القطرَ للرياضِ نديما
وترى للغصون فيها نجِياً وعلى زَهْرةِ الرياضِ نسيما

وقال ابن الرومى :

كأنَّ نسيمَها أرجُ الخُزامى ولاها بعد وسميٍّ ولىٌّ [1]

---

(١) الولى المطر يأتى بعد الأول وهو الوسمى .

هدية شمأل هبت بليل لأفنان الغصون بها نجى
إذا أنفاسها نسمت سحيراً تنفس كالشجى لها الخلى

وقال ابن المعتز :

وماريح قاع عازب طله الندى وروض من الريحان درت سحائبه
فجاءت سحيراً بين يوم وليلة كما جر في ذيل الغلالة ساحبه

وقد أحسن التشبيه أيضاً فى قوله :

ومهمه كرداء الوشى مشتبه نفذته والدجى والصبح خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشفيق إلى تنبيه وسنان

وقلت :

وأقبل نشر الروض فى نفس الصبا فبات به ثوب الهواء مكفرا (١)

ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا المكتفى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه لهمرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم عاد فنظر فاذا الريح تحرك الباب حركة كأنها دق بيد ، قال فقلت له قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار :

طرقتني صباً فحركت البا ب هدوءاً فارتمت منه ارتيابا
فكأني سمعت حس حبيب نقر الباب نقرة ثم هابا

قال ما كنت أظن أنه قيل فى هذا شيء وما أقل ما يجرى مما لم يذكره الناس .

وقال ابن الرومى وأحسن :

لولا فواكه أيلول إذا اجتمعت من كل نوع ورق الجو والماء
إذاً لما حفلت نفسي متى اشتملت عليه هائلة الحالين غبراء
ياحبذا ليل أيلول إذا بردت فيه مضاجعنا والريح سجواء
وجمش القر فيه الجلد وائتلفت من الضجيعين أحشاء وأحشاء

---

(١) أي فيه كافور .

وأسفرَ القمرُ الساري فصفَّحته … ريَّالها من صفاء الجو لألاء
ياحبذا نفحةٌ من ريحهِ سحراً … يأتيك فيها من الريحان أنباءُ
قل فيه ماشئتَ من شهرٍ تمهِّده … في كلِّ يوم يد لله بيضاءُ

وقلت : ولهُ مجْنح الأصيلِ نسيمٌ … لين المعطفِ هين الخطران
أرجٌ يقتدى به نفسُ المســك وتحكيه نكهةُ الزعفران
كم غدا مُدْنفاً وراحَ حسيراً … يتهادى في دجلة المسرُقان
فرأينا لهُ لبوسَ شجاعٍ … ووجدنا بها ارتعاشَ جبان

وإلى هذا انتهى بنا القولُ في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأمللنا ولم نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير [1] والأعيان منه أولى وبالله التوفيق.

انقضى البابُ السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة وجعل لخلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوَّفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادع إعذاراً وتحذيراً وحجة وتنبيها فمن لم يُقنعه ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه حُكم فيه السيفُ وسلط عليه السوط ليردَّه إلى سبيل الحق بعد أن يجعلاه نكالاً للخلق والله عليم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿هذا كتاب المبالغة﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعانى ﴾

قالوا أبلغُ ماقيل في صفة الحرب قول الأوّل :

كأنَّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ ... وتحتَ النارِ آسادٌ تزير

وقريب منه قول مُحدث (١) :

ويوم كأن المصطلينَ بحرِّهِ ... وان لم يكن جمرٌ وقوفٌ على جمرِ

صبرنا له حتى تجلى وإنما ... تُفَرَّجُ أيامُ الكريهةِ بالصبرِ

ومن بليغ ما قيل فى شدة الروع قول زيد الخيل :

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسَها ... يوم الأكس به من نَجدَةٍ روق

وقول المفضل الكندى :

فـداءٌ خالتى لبنى حيٍّ ... خصوصاً يومَ كسُّ القومِ روقُ

معناه ان الأكس وهو القصيرُ الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أخذَهُ أبو تمـام فأجاده في قوله * فخيل من شـدة التعبيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مَدح لأن الكلوح في الحرب لايدل على الشجاعة . ومما يدخل فى هذا الباب وليس منه قول أبى فراس بن حمدان فى خيل طاردت يوم ثلج :

ويوم كأن الأرضَ شابت لهولهِ ... قطعتُ بخيل حشو فرسانها الصبرُ

---

(١) هذا البيت لنهشل بن حرى التيمى فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلى ـ كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طُرزٌ وأطرافها حُمرُ

أجود ماقيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبّستها بكتيبة حتى تقولَ نساؤهم هذا الفتى
يخرجنَ من خَلل الغبار عوابساً كأناملِ المقرور اقعى فاصطلى
يتخالسونَ نفوسهم برماحهم فبمثلهم بَاهى المباهى وانتمى

ومن أجود ماقيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :

والخيلُ من خَللِ الغبارِ خوارجٌ كالتمر ينثر من جِراب الجرمِ (١)

وقال آخر :

وربُّتَ غارةٍ أوضعتُ فيها كسحِّ الخزرجىّ جَريم تمر

وقد أحسن الاعرابى في قوله :

تُقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيئاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجُ
بغزوٍ كولغ الذئبِ غادٍ ورائح وكسرٍ كصدع السيفِ لا يتعرج

وقال أبو فراس :

وسمرٍ أعادٍ يلمعُ البيض بينهم وبيضٍ أعادٍ فى أكفهم السمرُ
وخيل يلوحُ الخيرُ بينَ عيونها ونصلٍ إذا ماشمتهُ نزلَ النصر
وقوم متى ما ألقهم رَوِيَ القنا وأرضٍ متى ماأغزها شُبعَ النسرُ

ومن أبلغ ماقيل فى اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق (٢) بأيدى لاعبينا

وقول قيس بن الخطيم * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب *

ومن أحسن ماقيل في الضرب قول الحمانى :

وإنا لتصبحُ أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سُفوك
منابرُهنَّ بُطونُ الاكفِّ وأغمادُهنَّ رؤوسُ الملوك

---

(١) جمع جارم الذى يجنى التمر. (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانّ أسيافنا بيضٌ مُهندةٌ عتقٌ وآثارها فى هامكم جُددُ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلاوهامُ بنى بكرٍ لها غمدُ

وقال مسلم * ونغمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذااحمرّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مقيلا

وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنابها أسود تنفضُ ألبادَها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجماجمَ أغمادها

وأحسن ماقيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شَقّ الصفوفَ بسيفهِ وشفى حزازاتِ الأحَنْ
دامي الجراح كأنه وردٌ تفتح في فَننْ

ومن عجيب ماقيل فى كثرة الطعن يقع فى الجسد قول بعضهم :

فلولاَ اللهُ والمهرُ المفدّى لرحتَ وأنت غِربالُ الاهاب

وقال قيس بن الخطيم فى سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ لهـا نَفَـذٌ لولا الشّـعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يَرَى قائمٌ من دونهاماوراءها

ومن أبلغ ماقيل فى مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفٍ قديم اثرهُ بادى
تظلّ تحفِرُ عنهُ ان ضربت به بُعد الذراعين والساقينِ والهادى

وهذا من الافراط والغلوّ وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان فى هـذا الحدّ وعند آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضروبَ وتجاوزه حتى غاص فى الأرض فاحتجتَ أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك فى الغلو قول النابغة :

يطيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قونسٍ (١) ويتبعها منهم فراشُ الحواجب
تقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعفَ نسجُهُ وتوقد بالصُّفَّاح نارَ الحُباحب (٢)

يقول انها تقدّ الدرعَ التي ضُوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدح النار بالصُّفَّاح ، وهي حجارة . ومن بليغ ماقيلَ فى صفة السيف قول ابن يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الاياسى القاضى عن الهيثم بن عدى قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يُسمى الصمصامة إلى الهادى وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدى فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بنى العباس خُلقاً وأكثرهم عطاءً للمال قال فجرّده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتل فيه دنانير فقال قولوا فى هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّبيدىِّ من بيـ ـن جميع الأنام موسى الأمينُ
سيفُ عمرو وكانَ فيما سمعنا خيرَ ماأُغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقَهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الزُّعاف القُيون
فاذا ماهززته (٣) بهرَ الشمسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصار كالقبسِ المشعلِ ماتستقرُّ فيه العيون
وكأن الفرندَ والجوهرَ الجا رىَ فى صفحتيه ماءٌ معينُ
نعمَ مِخراقُ ذى الحفيظة فى الهيـ ـجا بمضَّاتها ونعمَ القرينُ
مايبالى إذا انتضاهُ لضربٍ أشمالٌ سطت به أم يمين
وكأن المنونَ نيطت اليه فهو من كلِّ جانبيه مَنون

أُخِذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قد حطهُ درجاتٍ ، فقال موسى أصبتَ مافى نفسى واستخفه الفرحُ فأمر له بالمكتل والسيف

---

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوقى : درع منسوب لبلدة سلوق ، والحباحب ماافتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سللته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكتل ولى فى هذا السيف غنى ، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل ه .

وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب[1] الصمصامة لسعيد بن العاص فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هب لى الصمصامة فانك قد ضَعُفت عن حمله وكان وزنه سِتّة أرطال فقال عمرو ماضَعُفَتْ قناتى ولا جنانى ولا لسانى وان اختلّ جُثمانى وهو لك على انه أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه[2] ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهُ ... ولكنّ المواهبَ فى الكرام

خليلٌ لم أخنهُ ولم يخُنّى ... على الصمصامِ أضعافُ السلام

قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يُقبسه » يقول اذا كنتُ أستوحش من جانب العدو آنسنى واذا أظلم لىَ الليل اضاء لى . وقال البحترى :

مُصْغٍ الى حُكم الردَى فاذا مضى ... لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقّد يَبرى بأوّلِ ضربة ... ماأدركتْ ولو أنها فى يذبل

فاذا أصابَ فكلُّ شيء مَقتلٌ ... واذا أصيبَ فما له من مقتل

يغشى الوغى فالترسُ ليس بجُنةٍ ... من حدّهِ والدرعُ ليس بمَعقِل

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى قال حدثنى رجلٌ من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابىٌّ فى نمرته عاتٍ فى حجلته أسدٌ فى تامورته نبطىٌّ فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال بَصيرٌ قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخطىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

---

(١) كذا ولعل صواب رسمها « معديكرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنّ وعليه تدور الدوائر قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمّك الثكلى قال بل أمك والحمى أضرعتني لك . النمرة كساء أسودُ تلبسه الاعراب ، والعاتق الجارية الكعاب وصفه بالحياء والتامورةُ ههنا الاجمة ، فقال نبطيٌّ في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ، وقوله الحمى أضرعتني لك أي الاسلام قيّدني لك وأذلني ولو كنتُ في الجاهلية ما كلمتني بهذا الكلام ، وهو مثلٌ العرب تضربُه عند الشيء يضطرها الى الخضوع .

ومثل ذلك ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال قال الاغرّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يابُنيَّ كن يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلّ الموت واتّق الرمح فانه رشأ المنية ولاتقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتُطيع قال فبم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :

جلاميدُ املاء الاكُفّ كأنها رؤوسُ رجالٍ حلّقت في المواسم

فعليك بها فألصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحمامُ ولم يَزِغ عن ساحتيه وزاغت الابصارُ

فَقَنًا يسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصَّرُ الاعمارُ

ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكأنها تحتَ الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم جرّوا الحديدَ أزِجَّةً ودُروعا

وكأن أيديهم تُنفِّرُ عنهمُ طيراً على الأبدانِ كُنَّ وُقوعا

وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيعُ الكفُّ في هَواته وضربٍ كماشقَّ الرداءُ المرعبَلُ

وقال أيضاً :

قرَينا بعضَهم طعناً وجيعاً وضرباً مثلَ أفواهِ اللقاح

وقال البحترى وأحسن فى ذلك :

ألوى اذا طعنَ المدجج صَكهُ ... ليديه أو نثرَ القناة كعوبا
فأنا النذيرُ لمن تغطرسَ أوطغى ... من مارنٍ يدعُ النحورَ جيوبا

وقد ظرّف فى قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤٌ بفراره ... لكانَ لصدرِ الرُمح فيلؤلؤٍ ثقب

ومن المختار قول مالك بن نُويرة :

بسُمرٍ كأشطانِ (١) الجزُور نواهلٍ ... يجور بها ذو المنايا ويهتدى
يقعنَ معاً فيهم بأيدى كماتنا ... كأنَّ المنايا للرماح بموعد

ومن أبلغ ماقيل فيصفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربعى :

فالطعنُ شغشغةٌ والضربُ هيقعة ... ضربَ المُعَوّل تحتَ الديمةالعضدا
وللقسىّ أزاميلٌ وغمغمةٌ ... حِسّ الجنوب تسوّى الماءَ والبردا

الهيقعة : وقع الشىء الصُلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحديد ، وشبّه أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو أن يعمد الراعى اذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين متقاربتين ويستكن تحته ، والعضُد مايعضد من الشجرأى يُقطَع والعضْدالمصدر.

ومن أجود ماقيل فى نفوذ التدبير فى الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومى فيصاعد :

يَظلُّ من الحرب العوان بمعزل ... وآثارهُ فيها وان غابَ شُهَّدُ
كما احتجبَ المقدارُ والحكمُ حكمهُ ... على الناسِ طراً ليس عنه مُعَرَّدُ (٢)

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهرُ طلاعٌ بأحداثه ... ورُسلهُ فيها المقادير
محجوبة تُنفذ أحكامَها ... ليسَ لنا عن ذاكَ تأخيرُ

وقال: حصرتَ عميدَ الزَّنج حتى تخاذلت ... قواهُ وأودى زاده المُتزودُ

---

(١) جمع شطن وهو الحبل . (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل تحيفها حتى كأنك مبرد
تفرق عنه بالمكايد جنده وتزدارهم جنداً وجيشك محصد(١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوثبة عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقلّ برأسه مكان قناة الظهر أسمر أجرد
مناك له مقداره فكأنما تقوّض ثهلان عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعلل إلا درهم وهجرع وهو الطويل الأحمق ، وهبلع وهو الكثير البلع ، وقلعم وهو الكثير القلع للأشياء ، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح ، وكابر أيضاً على فتح الراء من « درم » فى قصيدته التى أولها :

* أفيضا دماً ان الرزايا لها قيم * وانما هو « دَرِم » .

وأحسن ما قيل فى الكيد والحرب قول أبى تمام :

هززت له سيفاً من الكيد انما تجذ به الاعناق مالم يجرّد
يسرّ الذى يسطو به وهو مغمد ويفضح من يسطو به غير مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته افتضحت وخبت .

وقد أحسن فى وصف الرماح حيث يقول :

أنهبت أرواحه الأرماح إذ شرعت فما تردّ لريب الموت عنه يد
كأنها وهى فى الأرواح والغة وفي الكلى تجد الغيظ الذى يجد
من كلّ أزرق نظار بلا نظر الى المقاتل مافى متنه أود
كأنه كان خدن الحبّ مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

ويشبّه بياض السيف بالملح فمن أجود ماقيل فيه قول النمرى :

ذكر برونقه الدماء كأنما يعلو الرجال بأرجوان فاقع

---

(١) أى قوى مجتمع متضافر .

وترى مضارب شفرتيه كأنها ملحٌ تناثرَ من وراءِ الدارعِ

ويُشَبَّه الفرند بمدبِّ الذّر فمن قديم ما قيل فيه قول امرىء القيس :

مُتوَسِّداً عَضْباً مضارِبُه في مَتنه كمدبةِ النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطباتٍ قدّهُ ابن مُجَدّع له رَونقٌ ذرّيه يتأ كلُّ

وأشبرنيه الهالكيُّ كأنه غدير جرى في متنه الريحُ سلسل

وأخرج منه القينُ أثراً كأنه مَدَبُّ دباً سودٍ سرى وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرّدَ من اغمادِه كلَّ مُرهَفٍ إذا ماانتضته الكفُّ كاد يسيلُ

ترى فوقَ متنيهِ الفِرندَ كأنما تنفسَ فيهِ القينُ وهو صقيلُ

وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانبِ خصرِه أمضى من الأجلِ المُتاح

وكأنما ذرَّ الهبا ءَ عليه أنفاسُ الرِّياح

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

أجالدُهم يومَ الحديقةِ حاسراً كأن يدي بالسيفِ مِخراقُ لاعِبِ

بسيفٍ كأنّ الماءَ في صفحاتهِ طحاريرُ غيمٍ أو قُرونُ جنادِبِ

أخذه ابنُ المعتز فقال :

ولي صارمٌ فيهِ المنايا كوامنٌ فما ينتضى إلا لسفك دماءِ

ترى فوقَ متنيهِ الفِرَندَ كأنه بقيّةُ غيمٍ رقَّ دون سماءِ

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خيرُ مااستعصمت به الكفُّ عضبٌ ذكرٌ متنُهُ أنيثُ المهزِّ

ماتأمّلْتَه بعينكَ إلاّ أبرقت صفحتاهُ من غيرِ هزِّ

مثله أفزعَ الشجاعَ الى الدّر ع فغالي به على كلِّ بزِّ

ما أبالى أصمّت شفرتاه في محزّ أو جازتا عن محزّ

وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغماد

وكأنّ الآجالَ ممن أرادوا وظباها كانت على ميعاد

وقلت : تميلُ كفى من سيف الى قلمٍ والعزّ نصفان بين السيف والقلم

وقال ابن المعتزّ :

وسيوف كأنها حين سُلت ورق هزّه سقوط قطار

ودروع كأنها شمط جعد دهين يضلّ فيها المدارى

وقال ابن الأعرابي أحسن ماقيلَ فى صفة الرماح :

وبكلّ عرّاص المهزّة مارن فيه سنانٌ مثلُ ضوء الفرقد

أحسن ماقيل في صفة الرماح قول المزرد :

أصم إذا ما هُزّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ المواثل

له رائدٌ ماضى الغرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمة الليلِ ناحل

وقال الأصمعى أحسن ماقيل فى صفة الرمح قول أبى زبيد :

وأسمر مربوعٌ يرى ماأريته بصيرٌ إذا صوّبته المقاتل

وقال ابن الأعرابي أحسن ماقيل في ذلك قول مسكين :

بكلّ رُدَيْنيّ كأنّ كعوبه قطا نسق يستورد الماءَ صائف

كأن هلالاً لاح فوق سراته جلاالغيمَ عنهُ والقتامَ الحراجف[1]

وأحسن ما قيل فى سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ اليهِ والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصى فىالنسيج الممددِ

الصيصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوبَ ، والصيصية أيضاً الحصن ويقال للناشز من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحترى في قوله :

في معركٍ ضنكٍ تخالُ بهِ القنا بين الضلوع إذا انحنينَ ضلوعا

---

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة .

وأجود ماقيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :

وقد طالَ حملى الرُّمحَ حتى كأنهُ على فرسى غُصنٌ من البان نابتُ
يطولُ لسانى فى العشيرةِ مُصلحاً على أنه يومَ الكريهةِ ساكتُ

والسكوت فى الحرب دليل على سكون الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمارة الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلتُ فى الرمح :

يغدو بصدْق الكعوبِ لدْن يهتزُّ ما بينَ كوكبينِ

أعنى الزج والسنان . وقال البحترى :

كأنما الحربة فى كفهِ نجمُ دُجى شيعهُ البدرُ

وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك لشهرته واستفاضته . أجود ماقيل فى القوس من قديم الشعر قول أوس بن حجر [1] وهو أوصف العرب للسلاح :

فجرَّدها صفراء لا الطولُ عابها ولا قِصرٌ أزرَى بها فتعطلا
كتوم طلاع الكفِّ لادونَ ملئها ولا عجسها عن موضع الكف أفضلا
وحشو جفيرٍ [2] من فروع غرائب تنطعَ فيها صانعٌ وتأمَّلا
تُخيرنَ أنضاءً وركبنَ أنصلاً كجمر الغضا فى يوم ريح تزيَّلا

وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبضَ الرامونَ عنها ترنمت تَرَنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائز

وقال آخر: وهى اذا أنبضت عنها تسجعُ ترنم الثكلى أَبتْ لاتَهجعُ

وقال آخر: تسمعُ عندَ النزع والتوتيرِ فى سيتيها رنّة الطنبورِ

وقال الاصمعى : أحسن كلام فى الايجاز قول عكلى فى صفة قوس :
* في كفه معطيةٌ منوع * ومن أحسن ماقاله محدث فى القوس قول ابن المعتز بالله :

---

(١) هو الشاعر التميمى المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الاسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام، والجفير الكنانة .

أتيح لها هفانُ يخطم قوسه (١) بأصفر حنان القرى (٢) غير أعزلا
فأودعهُ سهماً كدرى مواشط بهن به فى مفرق فتغلغلا
بطيئاً اذا أسرعت إطلاق فوقه ولكن اذا أبطأت فى النزع عجلا

وأجود ماشُبه به أفواقُ السهام قول الآخر :

أفواقها حشوُ الجفير كأنها أفواهُ أفرخة من النغران

والنغران جمع نغرة وهى عصفورة . وقال الفندُ الزمانى (٣) :

* ونبلى وقفاها كعراقيب قطاً طحل * أخذه عتابُ بن ورقاء فقال (٤) :

وحطّ عن منكبه شريانة مما اصطفى بارى القسىّ وانتقى
أمّ بنات عدها صانهُا ستين فى كنانة مما برى
ذات رؤوس كالمصابيح لها أسافلٌ مثل عراقيب القطا
ان حُركت حنت الى أولادها كحنة الواله من فقد الطلا (٥)
حتى اذا ماقُرنت بيمضها لانت ومال طرفاها وانثنى

وقال ابن الرومي فى قوس بندق (٦) :

كأنّ قراها والغرور (٧) التى بها وان لم تجدها العينُ الا تتبعا
مدرٌ سحيق المسك فوق صلاية أدبّ عليها دارجُ الذر أكرُعا
لها أولٌ طوع اليدين وآخرٌ اذا سمتهُ الاغراق فيه تمنعا
تطوعُ لراميها الرمايا كأنما دعاها لهُ داعى المنايا فأسمعا
يُقلبُ نحو الجوّ عيناً بصيرةً كعينك بل أذكى ذكاءً وأسرعا

---

(١) جعل الاثر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزمانى اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلى ، كان سيد بكر وقائدها فى زمانه .
(٤) من أمراء العرب الأبطال . (٥) هو الصغير من أولاد الحيوان .
(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) الغرور : الغضون

لها عَولةٌ أولى بها من تصيبهُ ... وأجدرُ بالأعوالِ من كانَ موجَعا

وهذا مثل قوله فى امرأة :

تشكى المحبَّ وتلفي الدهرَ شاكيةً ... كالقوسِ تصمى الرمايا وهى مرنان

وقال المتنبي فى سداد الرمى :

يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض ... فلولا الكسرُ لاتصلت قضيبا

وقال الراجز فى ضد ذلك :

مستهترٌ بالرمى واهٍ عَضده ... يطيعهُ القلبُ وتعصيه يَدُهْ

أحصنُ شيء يومَ يرمي طَرَدُه ... كأنَّهُ فؤاده أو كبده

وقال ابن الرومى فى سهام :

وكل ابن ريح يسبقُ الطرفَ معجه ... مَرُوقٌ ومنزوعٌ لدى حَومَةِ الجذب

صنيعٌ مريشٌ قوَّمَ القينُ متنهُ ... فجاءَ كما سُلَّ النخاعُ من الصلب

يغلغلهُ فى الدرع نصلٌ كأنهُ ... لسانُ شُجاع محرج همَّ بالسلبِ

وقال ابن المعتز فى قوس البندق :

وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ ... تحاكي الحلىَّ بأطواقها

غدونا عليهِ وشمسُ النهار ... لم تكسهُ ثوبَ إشراقها

فظلنا وظلت عُيونُ القسىِّ ... ترمى الطيورَ بأحداقها

وقد أحسن القائل فى صفة الرماح على العواتق :

ترى غابةَ الخطىِّ فوقَ رؤوسهم ... كما أشرفت فوقَ الصوار [1] قرونها

ومما يجرى مع ذلك قول أبى فراس بن حمدان :

وما الذنبُ إلا العجز يركبهُ الفتى ... وما ذنبهُ ان جاوزتهُ المطالبُ

ومن كان غير السيفِ كافل رزقهِ ... فللذلِّ منهُ لا محالةَ جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية فى النشاب شيءٌ إلا قول سيف بن

---

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذى يزن يذكر القوس :

هزّوا بناتِ الرياح نحوهمُ أعوجُها طامحٌ وزمزمها
كأنها بالفضاءِ أرشيةٌ يخفُّ منقوضها ومُبرَمُها

فأما النبلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ .

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :

وبيض من النسج القديم كأنها نهاء [(١)] بقاع ماؤها مترايعُ [(٢)]
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطارُ فالماءُ راجع

وهو مأخوذٌ من قول امرىء القيس :

تفيضُ على المرءِ أردانها كفيض الأتى [(٣)] على الجدْجدِ

وقال البحترى :

يمشون فى زرد كأنَّ مُتونها فى كل معركةٍ مُتونَ نهاءِ
بيضٌ تسيل على الكماة فضولها سيلَ السرابِ بقفرة بيداء
وإذا الأسنةُ خالطتها خلتها فيها خيال كواكبٍ في ماءِ

ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق اليه .

ومن مليح ماجاء فى صفة الدرع قول بعض بنى هاشم :

وعلىَّ سابغةُ الذُّيولِ كأنها سلخٌ كسانيهِ الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ماجاء فى صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائنى قال قال رجل من بنى تميم لعبادى: لم يكن لآل نصر بن ربيعة صولة فى الحرب قال لقد قلت بُطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا عُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد فى فيلق حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذا هاجت لم تتناه دون بلوغ اراداتها ومنتهى غايات طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمعُ جامع وقد وثقت بالظفر لعزِّ أنفسها

---

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أي متردد. (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالغلبة اضراوة عادتها فلها العلوّ والتمكينُ ولمن ناوأها الذلّ والتوهينُ خصّت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى معذلك ماأخبرنا به أبو القسم عن العقدى عن أبي جعفر قال أنشد جريرٌ هشام بن عبد الملك :

لقومىَ أحمى للحقيقةِ منكمُ وأضربُ للجبّار والنقعُ ساطع
وأوثقُ عندَ المُرْدَفاتِ عشيةً لحاقاً إذا ماجرّدَ السيف لامعُ

فقال هشام لم تركتَ نساءك حتى أُردفن ألا جعلتهن كنسوة الحَبّل فما سمعنا بعربيات قط أمنع منهن حيثُ يقول :

وساقطة كُور الخمار حييّة على ظهر عُرْى زالَ عنها جلالُها
تَشُدُّ يديها بالسنام وقد رأت مُسوَّمةً يأوى اليها رعالها
نزلنا فساقينا الكُماةَ دماءَها سجال المنايا حيث تُسقى سجالها

وأجود ماقيل فى ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عبّاد :

قرّبا مربطَ النعامةِ منى لقحتْ حربُ وائل عن حيال
قرّباها فأنّ كفىَ رهنٌ ان تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف اللهُ ذلك فى كتابه فقال (ان اللهَ يُحبُّ الذينَ يُقاتِلونَ فى سبيلهِ صفّاً كأنّهم بُنيانٌ مرْصُوصٌ)ولم يصف أحدٌ من المتقدّمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبوأحمدقال أخبرنا الصولىقال سمعتُ عبد الله بن المعتز يقولُ لولم يكن للبُحترى إلا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينيةمثلها ، وقصيدته فىالبركة ٭ ميلوا الى الدار من ليلى نحييها٭ واعتذاراته فى قصائده الى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار بن عبد الله التى وصف فيها مالم يصفه أحدٌ قبله أولها ٭ ألم تر تغليس الربيع المبكر ٭ ووصف حرب المراكب فى البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذاصفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً مّا ينشد له ويعجبُ من جودته :

غدوتُ على المـأمون صُبحاً وإنما | غدا المركبُ الميمونُ تحتَ المظفَّـر
إذا زجرَ النوتىُّ فوقَ علاته | رأيتَ خطيباً فى ذُؤابةِ منـبرِ
يَغضُّـونَ دُونَ الاستنامِ عيونهم | وقوفَ السماطِ للعظيمِ المؤمَّر
إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له | جناحا عُقابٍ فى السماء مُهجَّـر
إذا ما انكفا فى هبوةِ الماء خلتـهُ | تلفعَ فى اثناء بُردٍ محـبَّرِ
وحولك ركَّابونَ للهول عاقروا | كؤوسَ الردى من دارعين وحسر
تميلُ المنايا حيثُ مالت أكفُّهم | إذا أصلتوا حدَّ الحديد المذكَّر
إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم | ليُقلعَ إلا عن شواءٍ مُقـترِ
صدمت بهم صُهبَ العثانين دونهم | ضرابٌ كايقـاد اللظى المتسعر
كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم | إذا اختلفت ترجيعُ عودٍ مُجرجر
تقارب من زحفيهم فـكأنمـا | تؤلفُ من أعناقِ وحشٍ منفرِ
فما رحت حتى أجلت الحرب عن طُلى | مقطعـةٍ فيهم وهامٍ مُطـير
على حـين لا نقعٌ يطوّحـه الصبا | على الارضِ يلقى للصريع المقطر
وكنت ابن كسرى قبلَ ذاك وبعدهُ | مليـّاً بأن توهى صفاة ابن قيصر
جدحت له الموتَ الزعافَ فعافهُ | وطار على ألواح شطب مسـعَّـر
مضى وهو مولى الريح يشكرُ فضلها | عليه ومن يولى الصنيعة يَشكُـرِ

ومن أجود ماقيل فى السهم من قديم الشعر قول عنترة :

أبينا فما نُـعطي السَّـوامن عدونا | قياماً باعضاد السراء[1] المعطّـف
بكلّ هتوفٍ عجسها رَضويّة[2] | وسهـم كسيرِ الحميرىّ الموقفِ

وقال راشد بن سهاب[3] اليشكرى :

ونبلٍ قران كالنسور سَلاجـم | وفلقٍ هَتوفٍ لاسقىٍّ ولا نَشَم

---

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .
(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة ـ على مافى القاموس .

ومُشَطَّرِدِ الكعبين أحمر عاقد   وذات قتيرٍ في مواصلها دَرَم

صف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الأملس الذى حجمله ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذى يشرب الماء ، والنشم شجرٌ .

ومن أجود ماقيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل[1] :

اذا ماعــاونا ظهرَ نشزٍ كأنما   على الهام منا قَيْضُ بيضٍ مفلَّق

وقول الآخر * كأنّ نعــام الدَّوِّ باض عليهم * ورواه بعضـهم : كأن نعاج الجو باض عليهم * فقيل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج لاتكون في الجو والآخر انها لاتبيض . ومن أحسن ماقيل فيه قول ابن المعتز :

وبيضٍ كأنصافِ البدورِ أبيةٍ   اذا امتحنتهنّ السيوفُ خِيارُ

فتشبيهها بأنصاف البدور تشبيه غريبٌ مصيبٌ .

أجود ماقيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :

حمرُ السيوفِ كأنما ضَربت لهم   أيدى القيونِ صفائحاً من عسجد

في فتيةٍ طلبوا غُبارك انَّهُ   رَهجٌ ترفّع عن طريقِ السؤدد

كالرمح فيـــه بضعُ عشرةَ فقرة   مُنقادة خلفَ السنانِ الاصيدِ

وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

اذا شَــدُّوا عمائمهم ثنوها   على كرمٍ وان سفروا أناروا

يبيعُ ويشــترى لهمُ سواهم   ولـكن في الطعانِ هُمُ التجار

ومن أجود ماقيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

خُلِقت أناملهُ لقائمِ مُرهَفٍ   ولبثِّ عارفةٍ وذروة منـبرِ

يلقى الرماحَ بوجههِ وبصـدرهِ   ويُقيمُ هامتـــهُ مقامَ المغفـرِ

ويقولُ للطِّرفِ اصطبرلشبا القنا   فهدمتُ رُكنَ المجدِ إن لم تعقـرِ

واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبل   مُتسربلٍ سربال ليــلٍ أغبر

(١) هو الشاعر الجاهلى التيمى الحجازى، يُعَدُّ فى طبقة المتلمس .

أوما الى الكوماء هذا طارقٌ نحرتنى الاعداءُ إن لم تنحرِ (١)

ومن أبلغ ما حذر به الحرب قول بعض العجم : دافع بالحرب ما أمكن فان النفقة فى كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح .

وقال النابغة الجعدى :

وتستلبُ المالَ الذى كانَ ربُّها ضنيناً به (٢) والحربُ فيها الحرائبُ

فتبعه أبو تمام فقال * والحربُ مشتقة من الحرب * وقول جدل الطعان :

دعانى أشبُّ الحرب بينى وبينهُ فقلتُ له لا بل هَلُمَّ الى السِّلم

وإياك والحرب التى لا أديمها صحيحٌ وما تنفكُّ تأتى على الرغم

فان يظفرِ الحزبُ الذى أنتَ منهمُ وينقلبوا ملءَ الأكفِّ من الغُنم

فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهمُ وإلا فجرحٌ لا يكون على العظم

فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليهِ فلم يرجع بحزمٍ ولا عزم

وكان صريع الخيلِ أوّلَ وهلةٍ فبعداً له مختارَ جهلٍ على علم

ومن أجود ما قيل فى تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد فى خبر أخبرناه عن الصولى عن عبيد الله السكونى قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :

ياأيها الرجُلُ الذى بيمينه غيثُ الزمانِ وصولةُ الحدثان

أنعِم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا انّ السيوفَ تحيةُ الفتيان

قد أبطرتكَ سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من برٍ ومن إحسان

والدهرُ خِدنُ مَسرةٍ ومضرةٍ مُتقلّبٌ بالناسِ ذو ألوان

يخاطب نفسهُ ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عندَه للظلم نكير فيكون ذلك سبباً للحرب فيحيي بالسيوفِ فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيان .

وقال علىُّ بن جبلة :

---

(١) تقدم بعض هذه الأبيات فى الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كأنّ أرماحَهُ تعطى إذا عملت   تحتَ العجاجةِ أسماعاً وأبصارا

ومن أحسن ماقيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرِّدُ قول النابغة وذكر أنه أحسن ماقيل في تقسيم الخيل في الحرب :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ   تحت العجاج وخيلٌ تعلِكُ اللُّجُما

قال ثعلبُ قلتُ لابن الأعرابي الصائمة التي لا تصهل وغير الصائمة التي تصهل فما هذه الأخرى ؟ قال التي تعلك اللجم في الكمين .

أخذه محمد بن مسلمة البشري يصف تأديبَه فرسَهُ :

عوَّدْتهُ فيما يزور حبائبي   إهمالهُ وكذاك كلُّ مُخاطر

فاذا احتبي قربوسَه بعنانه   علكَ الشكيمَ الى انصرافِ الزائر

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الغُبار ولمعان الأسنة فيه من قديم الشعر قول النابغة :

تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةٌ   نوراً بنورٍ وإظلاماً بأظلام

قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضح الاسنة في سواد العجاج . ومن أحسن ماقيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوقَ رؤوسنا   وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وقال النمري : ليل من النقعِ لاشمسٌ ولاقمر   إلا جبينك والمذروبَةُ الشرُع

وقول ابن المعتز :

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه   دخانٌ وأطرافُ الرماح شرارُ

وأبلغ ماقيل في الاقدام والاقتدار على العدو قول بعضهم :

عشيةَ كنا بالخيارِ عليهم   أنَنقصُ من أعمارهم أم نزيدها

ومن بديع المعاني في صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلِّ جرداءِ القَرى (١) أعوجيةٍ   إذا طرَدت لم ينجُ منها طريدها

---

(١) القرى : الظهر .

وما قادَ من قوم الينا جيادَهم فنلقاهمُ إلا رجعنا نقودها

وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالىَ بالظبي وعمّوا البرايا بالّلهى والرغائب

إذا طلبوا روحَ الحياةِ وطيبها فبين سواقٍ للردَى وحواصب

إذ البيضُ في سُود القساطل أنجمٌ غواربُ تهوى في الطلى والغوارب

وتحملهم يومَ الكريهةِ ضُمَّرٌ تشولُ الى الهيجاءِ شَولَ العقارب

فكم وقفة في الروع منهم وحملةٍ أثارت بناتِ الحتفِ من كلّ جانب

تَردُّ الجياد تحت قسطلة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب

بأبيض مصقولٍ كأن بحدّه ضرائبَ من تصميمه في الضرائب

ومن أجود ماقيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق [(١)] :

بجأواءَ ينفي وردُها سَرعانها كأن وميض البرقِ فيها كواكبُ

الجأواء : الكتيبة يضربُ لونها الى الكافة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان : الأوائل ، يقول ان المياه لاتسعهم والأمكنة تضيقُ بهم فكلما نزل فرقة منهم رحل من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاءِ مريضةً مُعضلةً منا بجمع عرمرم

التعضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه . ومثله قول النابغة :

جمعٌ يظلُّ به الفضاء مُعضلاً [(٢)] يدعُ الاكامَ كأنهنَّ صحارى

وأعجب من هذا قول زيد الخيل [(٣)] :

---

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذى حضر حرب البسوس وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلا ضاق ، والأرض بأهلها غصت .

(٣) لقب بزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلل أحد أبطال الجاهلية كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء وأسلم وسُرَّ به الرسول ﷺ

بجيشٍ تضلُّ البلقُ في حجراتهِ ... ترى الأُكْم فيهِ سُجداً للحوافرِ
وجمعٍ كمثل الليلِ مرتجسِ الوغى ... كثيرٌ تواليهِ سريعُ البوادرِ

أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول * بجيش تضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خثعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه :

لعمري وما عمري عليَّ بهينٍ ... لنعمَ الفتى غادرتمُ آل خثعما
وكانَ إذا ما أوردَ الخيلَ بيشةً[1] ... إلى جنبِ اشراجَ أناخَ فألجما
فأرسلها رَهواً كأنَّ رعالها ... جرادٌ زهتهُ ريحُ نجدٍ فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تضل البلقُ في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ، ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة أن النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس المقداد[2] قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرسِّ النزوعِ[3] لياليا ... بأرعنَ جرارٍ عريضِ المبارك
ترى العرفجَ الحوليَّ[4] تذري أصوله ... مناسمُ أخفافِ المطيِّ الرواتك
إذا ارتحلوا عن منزلٍ خلتَ أنه ... قريبُ المدى بالموسم المتعارك
نسيرُ فلا تنجو اليعافيرُ وسطنا ... وان داءلت منا بشد مواشك

---

(١) بيشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان «النزيع» وكلاهما جائز.

(٤) في الديوان « العامي» وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ضرابٌ كأفواه المطىّ الأوارك

بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك

إذا أقبل الغضروط من أرض عالج فقولا له ليس الطريقُ هنالك

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا فى ترهيب العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابى في المعنى الذى تقدم :

وأقبلَ عامرٌ من لبن سيراً إلينا ثم أقسمَ لا يَديم

بجمع تهلكُ البلقاءُ فيـهِ فتنشدُ والمغضضةُ اللطيمُ

ومن بليغ ماقاله محدث في كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول أبى نواس :

امامَ خميسٍ أدجوانٍ كأنه قميصٌ محوكٌ من قنا وجيادِ

الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجى ، وروى الارجوان وهو الأحمر وقال البحترى :

لـما أتاك يقودُ جيشاً أرعناً يمشىَ عليهِ كثافةً وجموعا

وقال ابن الرومى :

فلو حصبتهم بالفضاءِ سحابةٌ اظل عليهم حصبها يتدحرجُ

وهو من قول قيس بن الخطيم :

لو انك تُلقى حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامةِ المُتقارب

السامُ : عِرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة فيالبيض. وقلت :

ولقد نقودُ الخيلَ تخطرُ بالقنا فتَصُبُّهنَّ على العدى آجالا

ماإن يلين لها مَدًى فتخالها تجرى بطاءً إذ جرَيْنَ عجالا

وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ماقيل فى صفة جيش قول النابغة :

أو يزجروا مكفهراً لا كِفاءَ له كالليـلِ يخلطُ أصراماً باصرام

تبدو كواكِبُهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنـورٍ وإظلاماً باظلامِ[1]

---

(١) فى ديوان النابغة المطبوع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجّاج :

كأنما زهاؤه لمن جهر ليلٌ ورزّ وغره إذا وغر

سارٍ سرى من قِبَلِ العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ماقيل فى صفة السوط قول الشعبي : أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدّث كأنّه لم يستمع من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدّث يوماً فقال له رُجلٌ كان يجالسه يقال له حُنيش : اتق الله ولاتكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدرج عظيم الثمرة لين المهزّة أحد من مغرز عُنقٍ الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك منك فيكثر لك رقصاتك من غير جذل . قال وماهو بأبى أنت وأمّى ؟ قال أمرٌ لك فيه أدبٌ ولنا فيه أربٌ . يعنى السوط .

ومن أحسن ماوُصف به الرأسُ اذا حُمل على القناة قول مُسلم :

ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبلِ مأخوذ من قول جرير *تيجان كسرى وقيصرا*

ومن أجود ماقيل فى المصلوب ماأنشدنيه بعضُ البصريين :

أنظر اليه[1] كأنّهُ فى جِذعهِ لما توشّح بالجبالِ وذرّعا

رامٍ رمى عن قوسهِ بمذلّقٍ وأراد صحةَ رميه فتسمّعا

وهذا من أتم ماقيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :

فتراه مُطّرداً[2] على أعوادهِ مثلَ اطّراد كواكب الجوزاءِ

وقول ابن الرومى :

يلعبُ الدستبندَ[3] فرداً وان كا نَ لهُ شاغلٌ عن الدستبند

وقال مُسلم بن الوليد :

---

(١) فى الأصل «الى» . (٢) أى مستقيماً . (٣) لعل الدستبند لعبة يأخذ فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدى بعض ويرقصون ، وهذا يمديده ليرقص وحده

كأنّهُ شِلو [١] كبشٍ والهواءُ له   تنورُ شاويةٍ والجذعُ سفّود [٢]

ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم عن العُقدى عن أبي جعفر عن المدائنى قال قال بعض أهل خراسان لوكيع كيف قتلت ابن خازم ؟ قال لما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر فغلبته بفضل القنا وقلت يالثارات دويلة فقال لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوى كف نوى وتنخّم فى وجهى فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه . فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال هل البسالة إلا أن يكثر الريق على تلك الحال .

ومن جيد ما قيل فى طرائق الدمّ على المطعون قول أبي خراش الهذلى :

ونهنهتُ أولى القومِ عنى بطعنةٍ   كأوشحةِ العذراءِ ذاتِ القلائد

أوشحة جمع وشاح وهو سير كأنّهُ شراك عليه ودع فشبه لون الدم بالسير والزبد بالودع . ومما يجرى مع ذلك ذكر الحذر من الموتور ما قلت فيه :

لا تأمننَّ أخا العداوةِ إنهُ   إن أمكنتهُ فرصةٌ لم يُمهلِ

للهِ دَرُّكَ كيفَ تأمنُ محنقاً   تغلى عداوةُ صدرهِ فى مِرجلِ

ما الحزمُ إلا في اجتثاثِ أُصولهِ   والأيمُ [٣] لم يؤمن إذا لم يقتلِ

ومن الجيد مما قيل فى سعة الطعنة قول بشر :

إذا نفذتهم كرت عليهم   بطعنٍ مثل أفواه الخبور [٤]

الخبرُ المزادة والجمع خبور . وقال عمرو بن شاس [٥] :

بطعنٍ كإيزاغ [٦] المخاضِ إذا اتقت   وضربٍ كأفواهِ المفرجة الهدل

شبه اللحم الذى يتدلى من فم الجرح بمشفر البعير الذى به قروح في فمه

---

(١) الشلو : المسلوخ .   (٢) السفود كتنور : الحديدة التى يشوى بها .

(٣) الأيم : الثعبان .   (٤) الخبور : القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلى الاسدى ، شهد القادسية فى الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشىء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :

وأسيافنا آثارهن كأنها مشافر قرحى فى مباركها هُدلُ

وقال غيره :

بضرب كآذانِ الفراءِ فضوله وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الفراء جمع الفرا وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :

وأطعن الشجساجة المشلشله على غشاشِ دَهَش وعجله
يردُّ فى نحرِ الطبيبِ فتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خداش بن زهير [1] :

وطعنةِ خلس كفرغ الأزاء [2] أفرغ فى مثعبِ الحائر
تهالُ العوائدُ من فرغها [3] تَردُّ السبار على السابرِ

السبار الشىء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والحاير المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

---

(١) شاعر جاهلى من أشراف بنى عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر.

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولهن فرغ الضربة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر اتماماً للنعمة على عباده واكمالاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنيعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الانْسَانَ عَلَّمهُ البَيان)وأخبرعن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إقْرَأ وَرَبُّكَ الأكْرَم الذى عَلم بالْقلمْ عَلمَ الانْسَانَ مالَمْ يَعْلمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجلِّ أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال(نَ والْقَلمِ وما يَسْطُرُون) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم فى شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

فى صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿الباب التاسع من كتاب ديوان المعانى وهو ثلاثة فصول﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة فى ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها وينظم منثورها . وقلت فى معناه :

الكتبُ عُقلُ شواردِ الكلم ... والخطُّ خيطُ فرائدِ الحكم
بالخطِّ نُظِّمَ كلُّ منتثرٍ ... منها وفُصِّلَ كل مُنتظم
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفهُ ... فرضٌ عليه عبادةُ القلم

واختلف الناسُ فى الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهمُ الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ ميت والمخاطب به حى يُمكن صاحبه أن يُبصرَه حتى يبلغ منه غرضَه .

ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صُور الناس مع اجتماعهم فى الصفة وخط الانسان كحليته ونعته فى اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه كاضافة القافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ماقيل في حُسن الخط والشكل قول أحمد بن اسمعيل :

مستودعٌ قِرطاسهُ حكما ... كالروضِ ميَّز بينهُ زَهَرُه
وكأنَّ أحرُفَ خطهِ شجرٌ ... والشكلُ في أضعافهِ ثمره

ووصف أحمدُ بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديمُ وجهها وكأن قلمها بعضُ أناملها وكأن بيانها سحرُ مُقلتها وكأن سكّينها سيفُ لحظها وكأن مِقطها قلب عاشقها .

وقلت : وخط من التصحيح فيه معالِمٌ ... من الحسن إذ يبدو عليه سبيبُ
يُعَبِّرُ عنه الروضُ وهو مُنمنمٌ ... ويُخبر عنهُ الوشيُ وهو قشيبُ
سوادُ مداد فى بياض صحيفة ... يقول شبابٌ بالمشيبِ مَشوبُ
كأنَّ ظلامَ الليلِ أذرَى دموعَه ... فظلَّت على خدِّ الصباح تصوب

ومن غريب ماقيل فى الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فـدو نكـه موشى نمنمتـه ... وحاكته الأنامل أى حوك
بشكل يؤمن الاشـكال فيه ... كأن سطوره أغصان شوك

وقلت : بياض صحيفة تلتاح حسناً ... كمتن السيف فى كف المليح
كغيم رق فى أطراف جو ... وماء ســاح فى قاع فسيح
ويحـكى أرض كافور صريح ... بها نبـذ من المسك الذبيح
كمثل الليل فى صبح صديع ... ومثل الصدغ في وجه صبيح
وبين سطوره عجـم [1] مصيب ... كمثل الخال فى الخد المليح

وأحسن ماقيل فى صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال سئل بعض الـكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال : إذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوره وضاهى صعوده حدوره وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت انقاسه [2] ولم تختلف أجناسه وأسرع فى العيون تصوره والى العقول تثمره وقدرت فصوله واندمجت وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعـد عن تصنع المحررين وقام لـكاتبه مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل فى صفة الخط :

إذا ما تجـلل قرطاسـه ... وساوره القلم الأرقش
تضمن من خطه حلة ... كمثل الدنانير أو أنقش
حروفاً تـعيد لعين الـكليل ... نشاطاً ويقرؤها الاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبي ... وأسمعت كلـاتى من به صمم

إلا أنه أحسن الاخذ وأجاد اللفظ . ومن مليح التشبيه قول الاعرابى وقد قال له هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابى

---

(١) العجم : النقط. (٢) النقس بالـكسر : المداد ج أنقاس .

يحسنُ القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بحلقة صغيرة تتبعها ثلاث كاظباء الكتابة يفضي الى هنة كأنّها قطاةٌ بلا منقار . ففهم هشام بالصفة أنها «خمسة» [1] .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولى عن أبي العباس الربعي عن الطلحي عن أحمد ابن ابراهيم قال دخل اعرابيٌّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واسمعيل يكتب بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطاً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد للاعرابي صف هذا الكاتب فقال مارأيت أطيش من قلمه ولاأثبت من كلمه ثم قال ارتجالاً :

رقيقُ حواشي الحلِم حينَ تَبورُهُ يريك الهوينا والأُمورُ تطيرُ
له قلمــا بُؤسَى ونُعمى كلاهمـا سحابتهُ فى الحـالتـينِ دَرُورُ
يناجيك عمـا فى ضميركَ لحظهُ ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسـير

فقال الرشيد قد وجب لك يااعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا فيه نحنُ نقومُ به ، ادفعوا اليه دية الحُرّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد . قوله « رقيق حواشي الحلم » ردىء لانّ الحلم يُوصَفُ بالرزانة لابالرقة ، واستعمل أبو تمام هـذا اللفظ فعيب به . وقوله « يريك الهوينا والأمور تطير » رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحبُ قلم صاحبَ سيف فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلافالى السيف معاده أما سمعتَ قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ فى حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعب

وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للاقلام مُذْ بُرِيَتْ انَّ السيوفَ لها مُذ أرهفت خدم

---

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ماالسيفُ سيفُ الكمِيِّ ... بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ

له شاهدٌ إنْ تأمّلتَهُ ... ظهرتَ على سرِّه الغائبِ

اداةُ المنيةِ في جانبيهِ ... فمن مثلهِ رَهَبُ الراهبِ

سِنانُ المنيةِ في جانبٍ ... وسيفُ المنيةِ في جانب

ألم ترَ في صدرِهِ كالسنانِ ... وفي الرِّدفِ كالمرهفِ العاضبِ

وقد أحسن الخالدى فى قوله :

ففى كفِّ ليث الورَى للندَى ... وفى كفِّ ليث الشرى فى الغياض

وقلت : أبيت بالليلِ غريب الكرى ... يأخذُ منى الدرسُ والكتبُ

وقيِّمُ الحكمةِ فى أعلى ... يصوغُ مايسبكهُ اللُّبُّ

أنفُ ضميرى حينَ أرعفتُهُ ... أفرغ مااستوعبَهُ القلبُ

لسانُ كفِى حينَ أنطقتُهُ ... أرضاك منهُ المنطقُ العذبُ

مُنحفٌ فى خَلقه ذابلٌ ... مُعظّمٌ في فعلهِ نَدبُ

ان لم يكن كالعضبِ فى حدّه ... فانه في فعله عضبُ

ينكسُهُ المرءُ فيعلو به ... ورُبَّ نِكسٍ غِبُّهُ نصبُ

ومُذْ عرفنا لذّةَ العلمِ لا ... يُعجبنا الحلوُ ولا العذب

وقال البحترى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم ... أبدّت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارح

فلا غرّ نى من بعدكم عِزُّ كاتبٍ ... اذا هو لم يأخذ بحجزة رامح

ومن أحسن ماوُصِفَ به القلم قول أبى تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلمُ الأعلى الذى بشباتِه ... تُنالُ من الأمر الكلى والمفاصل

لعابُ الافاعى القاتلاتِ لعابهُ ... وأرْىُ جنى شارته أيد عواسل

له ريقةٌ طلٌّ ولكن وقعها ... بآثارِهِ في الشرقِ والغربِ وابل

فصيحٌ اذا استنطقته وهو راكبٌ ... وأعجمُ إن خاطبتهُ وهو راجلُ

إذا ماامتطى الخمس اللطاف وأفرغت ... عليه شعابُ الفكرِ وهى حوافل

أطاعته أطراف الرماح وقوّضت ... لنجواه تقويض الخيام الجحافل

إذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت ... أعاليه فى القرطاس وهى أسافل

وقد رفدته الخنصران وسدّدت ... ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل

رأيت جليلا شأنه وهو مرهَفٌ ... ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانهِ ... قلبَ كئيبِ القلبِ حرّانهِ

لو فرجَ الكربةَ عن مُدنفٍ ... تشفُّهُ لوعة أحزانهِ

برقمة ينظمها كفه ... نظمَ لآليه ومرجانهِ

بمرهفِ الأحشاءِ ذى حُلةٍ ... مَوْشيّةٍ ترفعُ من شانهِ

لمابهُ يسرٌ وعسرٌ اذا ... جاد به تفليجُ أسنانهِ

إذا امتطاه بشبيهاته [(١)] ... كشّف أسراراً باعلانهِ

يركض فى ميدانِ قرطاسهِ ... ركضَ جوادٍ وسط ميدانه

وأحسن القصار فى هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم :

أفدى البنانَ وحسنَ الخطّ من علمٍ ... إذا تقمعن بالحناءِ والكتم [(٢)]

حتى اذا قابلت قرطاسها يدُها ... ترى ثلاثةَ أقلامٍ على قـــلم

ومن أحسن ماقيل في الدواة والاقلام قول أحمد بن اسماعيل :

فى كفهِ مثلُ سنانِ الصعده ... أرقش بزَّ الأُفعوانُ جِلدَه

يلتهمُ الجيشَ اللُّهامَ وحده ... لو صادمَ الطودَ المنيفَ هدّه

لو صافحَ السيفَ الحسامَ قدّه ... يأوى الى ظئرٍ لهُ مُحتدّه

---

١) فى الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخلط بالحناء، واذا طبخ صار مدادا

يُمزَجُ فيها صَبِرٌ بشُهده يُرضِعها من مقلةٍ مُسوده
يَمُدُّها جارٍ كثيفِ المُدّه كأنّه الليلُ اذا استمدّه
مُقلتُها مكحولة بِنَدّه

وقلت فى القلم :

أنظر الى قلمٍ تنكسَ رأسُهُ ليَضُمَّ بينَ موصلٍ ومُفَصَّلِ
تنظر إلى مخلابِ ليثٍ ضيغمٍ وغرارِ مسنونِ المضاربِ مفصل
يبدو لناظرهِ بلونٍ أصفرٍ ومدامعٍ سودٍ وجسمٍ مُنحل
فالدُّرجُ أبيضُ مثل خدٍ واضحٍ يثنيهِ أسودُ مثل طرفٍ أكحل
قسم العطايا والمنايا في الورى فاذا نظرتَ اليه فاحذر وأمل
طعمان شوبُ حلاوةٍ بمرارةٍ كالدهر يخلطُ شَهدَهُ[1] بالحنظل
فاذا تصرَّفَ في يديك عِنانُه ألحقتَ فيهِ مُؤمّلاً بمؤمِّل
ومُذلّلاً بمُعزّزٍ ولربّما ألحقتَ فيهِ معزّزاً بمذَلّل

وقلت : لك القلمُ الجارى ببؤسٍ وأنعم فمنها بوادٍ ترتجى وعوائدُ
اذا ملأ القرطاس سود سطوره فتلك أسودٌ تُتقى وأساودُ
فتلك جنانٌ تُجتنى ثمراتُها ويلقاك من أنفاسهنّ بواردُ
وهنّ برودٌ مالهنَّ مناسجٌ وهنَّ عقودٌ مالهنَّ معاقدُ
وهنَّ حياةٌ للولىّ رضيةٌ وهُنَّ حتوفٌ للعدوِّ رواصد

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائى قال أنشدني أبو الحسين بن أبي البغل :

لهم هِمَمٌ تُناطُ إلى الثريا وتحكمُ فى الطريفِ وفى التلاد
وأقلامٌ تشبهها سُيوفاً مُهنَّدةً هوادٍ فى الهوادى

---

(١) في الأصل « شُهده » بضم الشين وهو سائغ فقد جاء فى القاموس « الشهد بالفتح ويضم » .

يُخطُّ بهـا سوادٌ في بياضٍ فتحسبهُ بياضاً في سوادِ
إذا فزِعَ الصريخُ أمـدَّ خيلاً بخيـل تستثارُ من المـداد

وقد أحسن ابن الرومي في وصفِ الكتاب حيثُ يقول :

متمنطقٌ من جـلدهِ متختمٌ من خصره
أبداً تراهُ وصـدره في بطنـه أو ظهره

وقال ابن المعتز يذكر أرضةً أكلت كتاباً :

شـغلي إذا ما كانَ للناسِ شـغل دفترٌ فقه أو حـديث أو غَزَل
أرقطُ ذو لونٍ كشيبِ المكتهل تخالهُ مكتحـلاً وما اكتحل
راكبُ كفٍّ أينَ ماشاءَ رحل وهو دليـلٌ لمقـالٍ أو عمـل
يقيمُ وزنَ العقل حـتى يعتـدل ويُذكرُ الناسيَ ما كان أضل
كأنه ينشرُ عن نقش حلل يخاطب اللحظَ بنطقٍ لا يكل
ولا يملُّ صاحباً حتى يمل

ثم قال في وصف الأرضة * تأكل أثمـار القلوب لا أكل * وكتب الصاحب في وصف كتاب : وصل كتابك فجعلت يوم وصوله عيداً أؤرخ به أيام بهجتي وأفتتح به مواقيت غبطتي وعرفت من خبر سلامتك ما سألت الله الكريم أن يصله بالدوام ويرفعه على أيدى الأيام . وكتب أيضاً : وصل كتابه أيده الله بضحك عن أخلاقه الارجة ويتهلل عن عشرته البهجة ويخبر عن عارية الله إياه عمـا رأيت شمل الحرية به منتظما وشعب المروءة له ملتئما ويتحمل من أنواع بره ماأقصر عن ذكره ولا أطمع في شكره ويؤدى من لطيف اعتذاره في أثناء عتبه ما تزداد به أسباب السرور تمهداً . وقلت في كتاب أكلته الأرضة :

وجليس حسنُ المحـــضرِ مأمونُ المغيبِ
ميتٌ يُخـبرُ حيـاً بخفيـاتِ الغيوبِ
أبلهٌ غيرُ لبيبٍ وهو في حالِ اللبيب

جاهلٌ غيرُ أديبٍ وهو عونٌ للأديب
أخرسٌ غيرُ خطيبٍ ولهُ لفظُ الخطيب
مفحمٌ ينظمُ شعراً مثلَ إقبالِ الحبيب
ساكتٌ يروى حديثاً مثلَ إعراضِ الرقيب
عقته الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومَشيب
فيه إمتاعٌ لأبصا رٍ وأنسٌ للقُلوب
دبَّ فيهنّ دبيبٌ كان من شرِّ الدبيب
من صغيراتِ جسومٍ وكبيراتِ الذنوب
أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبي
أفرَحتْ قلبَ جهولٍ وكوت قلبَ لبيب
ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
وأفانينِ كلامٍ بين سهلٍ وصليب
من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
بُدّلَ الاصلاحُ منهـ ـنّ بافسادٍ عجيب
فنجومُ العلمِ والفهـمِ تهاوتْ للغُروب
كلُّ شيءٍ سوفَ يفنى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصِف به الورّاق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبي هفّان قال سألتُ ورّاقاً عن حاله فقال : عيشى أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج وحظى اخفى من شق القلم ويدى أضعف من قصبة وطعامى أمرّ من العفص وشرابى أسود من الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاء ببلاء فحسبك .

وقلت في المحبرة والاقلام :

مَنهلةٌ من أشرف المناهـل تضمنُ رىّ الصفر الذوابل
مَركبها ذوائبُ الانامـلِ إذا مشت عاليـةَ الاسافل
بكت على الطرسِ بدمع هاملِ فارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غُـرر الدلائل بيضاء تبدو فى لباسِ الثاكل
لـكنها تلبسهُ من داخل

ومما لا أعرف فى معناه خيراً منه قول كشاجم الـكاتب [١] :

لا أحبُّ الدواةَ تحشى يراعاً هى عنـدى من الدَّوىّ معيبه
قـلم واحدٌ وجودَةُ خطٍ فاذا زدتَ فاستزد أنبوبه
هـذه قعدةُ الشجاع عليها أبداً سـيرهُ وتلك جَنيبه

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنمـا النقسُ إذا استمده غاليـةٌ مدوفةٌ بنـده

ونتن الـكرسف [٢] مما يُعابُ به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب [٣] :

مِدادٌ مثـلُ خافية الغراب وأقـلامٌ كمرْهفةِ الحراب
وقرطاسٌ كرَقراقِ السرابِ وألفاظٌ كأيام الشباب

وقلت : أكثر ما تُثبته الأقـلامَ لم تسع فى زواله الأيامُ
يالك من خُرسٍ لها كلامُ موتى اليها النقضُ والابرامُ

---

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالـكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد فى اسمه طاء من طبيب فقيل طـكشاجم ولـكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة .

(٢) الـكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .

(٣) كان معاصراً لأبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لما مات رثاه البحترى .

قِوامُ مجـد مالهُ قِوامُ نِظامُ ملكٍ خانه النظامُ
أصاغرٌ شؤونها العظامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إنما الزعفرانُ عطرُ العذارى وسوادُ الدّوِىّ عطرُ الرجال

وقلت فى سكين :

انجاز وعدك فى السكينِ مكرمةٌ غراءفضلك فيها غيرُ مجحودِ
أحسنْ بهِ أزرقاً في أبيض يَقَقٍ لهمناطق من بيضٍ ومن سودِ
خلفُ الوعيدِ حميدٌ لايذمُّ بهِ ولم يكن خلف موعودٍ بمحمود

وكتب كافى الكفاة فى ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وابرامه نقض تستغيث الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان حثثته بالأنامل قطف فألفاظى فى سنيه مأسورة ومعانىّ فى شقيه محصورة وقد صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عسرته وأقول لعله يصلح بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زللاً وعثاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطىء فيمحو مايخطه بريقه وهو :

ورأيتهُ في الطرسِ يكتبُ مرةً غلطاً يواصلُ محوَهُ برُضابِه
فوددتُ أنى فى يديهِ صحيفةٌ وودتهُ لايهتـدى لصوابِه

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا الغلابى قال حدثنا مهدى ابن سابق قال رأى المأمون فى يد جارية له قلماً وكان ذا شغفٍ بها واسمها منصف فقال

أرانى منحتُ الودَّ من ليسَ يعرف فما أنصفتنى فى المحبة مُنصفُ
وزادتْ لدىَّ حظوةً يومَ أعرضت وفى أصبعيها أسمرُ اللونِ أهيف
أصمّ سميعٌ ساكنٌ متحركٌ ينالُ جسيماتِ المدى وهو أعجف

عجبتُ له انى ودهرك معجب ... يـقوّمُ تحريفَ العباد مُحرَّفُ

وكتب الصاحبُ أبو القسم في وصف كتاب : ومن هذا الذى لايحبُّ أن يواصل علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم ومجمع الدراية والفهم أم من لايرغب فى مكاثرة من ينتسب الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَـه من طبعـه ويتوشح بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابهُ فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه حتى إذا فضضتُ ختامَـه أقبلت الفـكرةُ تتـكاثر والدُّررُ تتناثر والغُـررُ تتراكم والنُـكتُ تتزاحم فاذا حكمتُ للفظة بالسبق أتت أختها تنافس وأقبلت لدتها تفاخر حتى استعفيتُ من الحـكومة ونفضتُ يدى من غبار الخصومة وأخذتُ أقول كلـكنَّ صوادرٌ عن أصُولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالمن ونواقدٌ عن معدنٍ فاردٍ فتصالحن وقد وليتُ النظر بينها من كمل لنسجِ برُودها ووفى بنظم عُـقُـودها .

ومثل ماتقدَّم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاى أنشأتُ هذه الأحرف وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يَسلمُ معها فـكرٌ ولا يسمح بينها طبعٌ وتناولت قلماً كلابن العاق بل العدو المشاق فاذا أدرته استطال وإذا قومته مال وإذا حثثته وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق مُتفاوتُ البريِ معدوم الجرى محرَّفُ القط مشبج الخط ثم رأيت العدُول عنه ضرباً من الانقياد لأمره والانخراط فى سلـكه فجهدته على رغمه وكددته على صغره لاجرم أن جناية اللجاج بادية على صفحات الحروف لاتخفى وعادية المحك لائحةٌ على وجوه تتجلى .

وكتبتُ فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستفزنى الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبلَ مشاهدته فما أدرى أسمعت بورود كتاب أم ظفرتُ برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل عريض فتأملته فلم أدر ما تأملت أخطاً مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منثوراً أم وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ في أثنائه أبيات شعر أم عُـقُـودُ دُرٍّ ولم أدرِ ما حملته أغيثٌ حل بواد ظمآن أم غوثٌ سيق إلى لهفان ،

وكتب الصاحب : ووصل كتاب القاضي فأعظمت قدر النعمة في مطالعه وأجللت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضر منه فضلا ولم أتخطى سطراً الا إلى أحسن منه نظما ونثرا .

ورفع رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتذر فيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قبول عذرك فاقتطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أوما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ويمكن له درك البغية .

وقال علي رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشي ظرفاً(١) وإناء شحن مزاحاً(٢) وجداً ان شئت كان أبين من سحبان وائل وان شئت كان أعيا من باقل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت شجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبناطق أخرس وببارد حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون على بعض بنيه فوجده ينظر في كتاب فقال يا بني مافي كتابك ؟ قال بعض مايشحذ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذى رزقني ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظل مفكراً في قول ولده الطفل .

---

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

« الفصل الثانى من الباب التاسع »
فى ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال يعنى قولا واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الايجاز وترك الفُضولَ . وليس يصلحُ الايجاز فى كل مكان كما لا تصلح الاطالة فى كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقّه ولم تسلك به طرقه . وقال محمد الامينُ عليكم بالايجاز فان للايجاز افهاماً وللاطالة استبهاماً . أى عليكم بالايجاز فيما كان الايجازُ فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للايجاز موقعٌ يحمَد ولا حالٌ تعتمد . والايجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب وقد يكون من الرسائل والخُطب مايكون الايجازُ فيه عِيّاً ولا أعرفه الا بلاغة فى جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحى ومعانيه كالسحر مع قربها من الفهم . والذى لابدّ له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة الذبيانى * فانك كالليل الذى هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنّهُ   ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

وقال أعرابىٌّ : أبلغُ الناس أسهلهم لفظا وأحسنُهم بديهةً . وهذا حسنٌ جداً لأنّ سهولة اللفظ وحُسنَ البديهة يدلان على جودة القريحة والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولاشىء أذهب بماء الكلام وطلاوته ورونقه منهما ولايحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومى فى قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة فى الغزارة كما جعلها غيره فى الايجاز .

وقيل لهندى ماالبلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وقيل لآخر ماالبلاغةُ ؟ فقال تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام .

وقال الحسنُ بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة. وقال عبيد الله بن عتبة: البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكثم بن صيفى أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعانٍ تجرى فى وجوه فمنها مايكون شعراً ومنها مايكونُ سجعاً ومنها مايكونُ خطباً ومنها مايكونُ رسائل فعامة مايكون من هذه الأحوال فالوحى فيها والاشارة إلى المعنى أبلغُ والايجازُ البلاغة . وتأويل هذا ماقدمناه . وقال غيره : البلاغة قولٌ يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علمٌ كثير فى قول يسير . وقال جعفر بن يحيى: البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلى على مغزاك ولاتستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد غنياً عن التأمل . وقال اعرابى : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجازٌ فى صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة . وقال محمد بن الحنفية : البلاغةُ قولٌ مفقهٌ فى لطف . وقال علىٌّ رضى الله عنه: البلاغة إيضاحُ الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يُمكن من العبارات .

ومثله قول الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : البلاغةُ الافصاحُ عن حكمةٍ مستغلقة وابانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علىّ رضى الله عنه : البلاغةُ تيسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ماغمض من الحق وتصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق . والذى قاله صحيح لايخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لتصحيحه حتى يوجدُ العيى فيه خطيباً وإنما الشأن فى تحسين ماليس بحسنٍ وتصحيح ماليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض ليخفى موضع

الاساءة ويغمض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تظفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قوم الايجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال للكتاب: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا.

وقال بعضهم في المذهب الأول اذا كان الايجاز كافيا كان التطويلُ عيًّا وإذا كان التطويلُ واجباً كان التقصيرُ عجزاً . وقيل لاعرابي ما البلاغة ؟ فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابي فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ في البلاغة سواء فمن تعلم البلاغة بلغةٍ من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، ويدلك على هذا أيضاً أن تراجم خُطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خُطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولدُكِ مَن دَمَّى عَقبيكِ » [١] وقول الفرس « هرك نزاد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسنُ ، وقولهم « كشنند ميدْ » مثل قول العربي « من يسمع يَخلْ » سواء في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم «أصيد بركة خوْرده [٢] » وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

---

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فمر بك عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابتها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أميد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سألته عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربى أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فان حروف تفسيره بالعربية ضعفا حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « بهشاه أشناه نرودهمدوره » والعربُ تقولُ «جاور بحراً أوملكاً» .

وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيلُ فيه ولكن لايراد أمثلة فى البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخمولُ استكثف النقص ، يحثُ على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور. وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزَان) يعنى العدل في الحكم . ونحوه قول على رضى اللهُ عنه : السفرُ ميزان القوم . وقول الآخر : العروضُ ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تنفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخرُ منهم : الصوابُ قرينُ التثبت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : عاملوا أحرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وسوسوا السفلة بالمخافة والهيبة . وقريبٌ من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف واللئيمُ يقسو إذا ألطف .

وقال بعضهم : ينبغى للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسد فاقة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فانما يصولُ الكريمُ إذا جاع واللئيم إذا شبع . وقال بعضُ حكماء الفرس : أحزم الملوك من غاب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبهُ عن كيده . وقال أنوشروان : القصدُ غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لايكن عندك لعمل البرّ غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية فى القلة . ووافق هذا من العربى قول الافوه الأودى :

والخيرُ تزدادُ منهُ مالقيتَ بهِ والشرُّ يكفيكَ منهُ قلما زادُ

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الظلم على المظلوم .

وقال أبرويز : لاتفشُّوا قليلا فتنغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذ امرؤ

منكم سيفه حتى يشحذ عقله . وأظنُّ المتنبي ألمَّ بهذا فقال :

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ   هو أوّلٌ وهي المحلُّ الثاني

وقال لكاتبه : اذا فكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تستعن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولاتقصرن عن التحقيق فانها هُجنة في المقالة ولا تلبس كلاماً بكلام ولاتباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مماتريد في القليل مما تقول . ووافق هذا قول العربي : مارأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الالفاظ تقصيراً . يحث على الايجاز . وقال له إذا أمرت فاحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشي [(١)] فيسرع   ويضرب في ذات الاله فيوجع

وقال ازدَشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبتهُ وفحُش حرصُه ومن فَحُش حِرصه ذلّت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لاينفعه حزيناً على مالاينالهُ ، وهذا معنى قول الشاعر : * ليس للحاسد إلاماحسد * وقال:من شغل نَفْسَهُ بالمُنى لم يخل قلبه من الأسى .

وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقٌ لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته واكرامُ أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويصححها ويحسم مواد الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه عمومُهم بالمودّة ثم تخصيص كل واحد منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ماخفي عليه من منفعة رعية وجهاد عدوٍّ وعمارة بلدٍ وسدِّ ثغرٍ .   وقال بُزرجمهر : لاينبغي للعاقل أن يجزع من حطّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر الاخطار .   وقال بزرجمهر : الزام الجهول الحجّة يسير واقراره بها عسير .

وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبّة من قلوب الخلق .

---

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمضي فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ماأشدّ الأشياء على الأحمق؟ قال السُّكوتُ . وقيل له أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبى البغل في قوله :

الصَّعْو يَصْفِرُ دائباً ولأجله ... حُبِسَ الهِزارُ لأنه يترنّمُ
لو كنتُ أجهلُ ماعلمتُ لسرّنى ... جهلى كما قد ساءنى ماأعلمُ

وقال المتنبي :

ذو العقلِ يشقى في النعيم بعقلهِ ... وأخو الجهالةِ فى الشقاوة ينعمُ

وقلتُ : أواصلُ الهمَّ فى ضيقٍ وفى سعةٍ ... كأنّ بينى وبينَ الهمِّ أرحاما
إن إمرأً عظمتْ فى الناس همته ... رأى السرورَ جوًى والوفر إعداما

وقلت : وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يغمنى ... وليس لغمِّ العارفينَ مفرج

ورؤى الحسنُ البصرى حزيناً فقيل له فى ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من
عقلى ولو كنت جاهلاً لكنت فى راحة من عيشى . وافتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتى إلى المال الذى يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتم سره .
وقال بعض أهل الهند : ليس شىء أعرفُ بنفسه من الأنسان ولا أجهلُ بها منه .
وقيل لسقراط أى السباع أجمل؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره فى التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذى يصاد بالقفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يبغى الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ماسبب
موت أخيك؟ قال كونه . ومثل ذلك ماأخبرنى به عم أبى أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لى من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قدعرفتُ ذلك قال ومتى عرفته وماسبق البريد خَبرٌ ؟قال عرفتُ ذلك يوم وُلد . فعجب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفزعها فيما ينوبها .

وقال بعضهم حب المال وتد البلايا . وقال سقراط اللذةُ خناق من عسل .

وقيل لجاوس توفي مانيدس فقال الويح لى قد ضاع مسنُّ عقلى . وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذى تشتهى . وقريب منه قول الاعرابى * وقلة ماقرت به العين صالح *

وقال سقراط الحظ في إعطاء مالا ينبغى ومنع ماينبغى سواء . ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين : التبذير للمال ذمة كحب التقتير فاجتنب التقتير وإياك والتبذير . وقريب منه قول العربى وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجمد فى حق ولا أزور في باطل .

ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر .

ونحو هذا قول بعض المحدثين :

ما ان يزالُ ببغداد يزاحمنا ... على البراذين أمثالُ البراذين

وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لئيماً دميما :

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجباً ... فانظر الى البدر فى يدِ القردِ

وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ الـــظبيَ على مرقدٍ من الوردِ

وذُمَّ دهراً يفيضُ أنعمه ... على اللئيم المذمم الوغدِ

وانظر الى حمرة وأتنه ... فوقَ مُتونِ السوابح الجرد

فأسخنَ اللهُ عينهُ زمناً ... ماذا رأى فى تجنبِ القصد

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون . وقال بعض حكمائهم لمتكبر : وددت أنى مثلك فى نفسك وان أعدائى مثلك فى الحقيقة . وقريب من هذا المعنى قول على رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحهُ : أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ماتضمرُ في جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسانُ عما يشتهى قال أحسن منه أن لا يشتهى إلا ماينبغى .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل مابقيت ـ يخاطب جاهلا .

« محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب »

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام [(١)] السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة مُحتاجةٌ إلى المودة والمودةُ مستغنيةٌ عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجبُ المرءِ بنفسه أحد حساد عقله . ومن موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشةُ كاسمها . وقولهم أصاب مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفوُ زَكاةُ الجاهِ . وقولهم راجى البخيل مُكد . وقول بعضهم قلما تصدقك الامنيةُ . وقيل الصيانة مألف المروءة . وقال بعض الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلىّ من أن أكون ذنباً فى الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ فقال عمر الحمد لله الذى أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله

---

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها المراد .

ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية لاتبلغ . وقولهم لا ينفعك من جار سوء توقٍّ . وقولهم سرك من دمك . وقيل من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلمه . ومن الصدق الذى لا ارتياب فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ماروى ان بنى أمية وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا مالا تنكر وجئناك من بعد ونمتُّ من قرب فمهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ، فتطاول عبد الملك وقال يا أهل الشام هذا كلام قومى . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في ظل رقيق الحواشى فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط لسان اليد . وقال النبى صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الحَلاَلُ أنْفَ الغَيْرَة) وقالوا الفكرة مُخُّ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الخمول دفن الحي . وقلتُ السخاء سُلم المجد . وقلتُ المراء ينقض مَرَّ المودّة والتوانى يُثمِر النَدامة والكسلُ يُنتجُ الفقر . وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتابُ مُقَدِّمَةُ السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلٌّ لا يَفُكه إلا شكرٌ أو مُكافأة ، وقلتُ العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذّل رسيل الدَّين والشكر ضامنُ المزيد والغنى مظنة البطر . وقال آخرُ اللحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكر مرتبط النعم . وقال آخر من جرى في عنان أمله عَثُر بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل التواضع سُلّم الشرف . وقلت المال عدوّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة . وقال الاحنف الأدب عُروةُ العزّ . ومن أصدق كلمة أعرفها قول ابن المعتز : من قوى عَقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريعةُ الفوت وبطيئة العود .

وقال نرقّع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقّع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضح العذرُ لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُثَيثَةٌ تَقْرِمُ جِلداً أملساً * [١] وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأسف وعاقبتها الندامةُ وليس لذى لب بها مستمتعٌ . ومن فصيح أمثال العرب قولهم: الفرارُ بقرابٍ أكيسُ [٢] . وعزّى اعرابىٌّ رجلاً فقال لاأراك اللهُ بعدهذه المصيبة ماينسيكها . وعزى شبيبُ بن شيبة ذمّياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ماأعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بنُ زرارة أول المعرفة الاختبار .

وقال رجلٌ للأحنف ممّن أنت قال ممن ودّنى . وقال البلاغةُ البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتّدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب [٣] إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أمابعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا اللهُ عليهم فنزل القضاءُ بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم فى جماعة من حماتهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقون ليلاً عن مُعسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأوّلها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج :الحمد لله الكافى بالاسلام ماوراءه الذى لاتنقطع موادٌّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادّ الشكر عليها وإنا كنا وَعدوُّنا على حالتين يَسرُّنا منهم أكثر مما يَسُوءُنا ويَسُوءُهم منا أكثر مما يسرُّهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجلهُ فقطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبى صفرة . وفى الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتنى نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر عنك . وقال أعرابىٌ لمعاوية هززتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد مُعوَّلا إلا عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودنى نحوك الرجاء وتسوقنى اليك البلوى والنفسُ مستبطئة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط رحلك ياأعرابى . وقال سفيان الثورى رأيتُ أعرابياً مُتعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول يارب عندى لك حُقوقٌ فهبها لى وللناس عندى حقوقٌ فتحملها عنى ولى عندهم حقوقٌ فقيضها لى وأنا ضيفك اليوم فاجعل قِراى الجنة . وذكر بعضهم رُجلا فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يُرضيه القليلُ ولا يُسخطه الكثيرُ .

« أمثلة فى البلاغة الكتابية »

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن يبتدئوا فى الأمور بالحمد لله رب العالمين يُقدمونهُ أمام طلابها كما بُدىء بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمدُ بن مهران : الحمد لله الذى كثرت أياديه عن الاحصاء وجلّت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً : الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمير سنى الرتبة وعز الدعوة ووصل له حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً يؤدّى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ فى زيادة الأمير والزيادة به وعلى يديه والأيدى الصائلة على عدُوّه بمنّه ولطفه . فأخذ ابنُ دُريد قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمترى المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادى اليه فى التوفيق لما يُدنى من رضاه ويجير من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله ذى المنن والطَّوْل والقوة والحول والغاية والصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومذيله [1] المنزل رحمته على من جاهد

---

(١) أذاله : حقره وأهانه .

في طاعته والحل عقوبته بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر وبخذلان حربه حتى يدحر الذى لايفوته الهارب ولاينجو منه الموارب ولا يعييه المعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الاثقال الغنى المفتقر اليه القوى المعتمد عليه بالغ أمره بلا مؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبى ﷺ أنهقال لما هزم الأحزاب « الحمدُ للهِ الذى صَدَقَ وَعْدَه وَنَصرَ عَبدَه وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَه » .

وكتبتُ : الحمد لله الذى وفّر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير أيديها وأفاض بالاحسان واديها وعلمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار الخيرة للاخيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتثنت أغصانها وتهدلت أفنانها ولانت أعطافها وتناهت ألطافها فكأنها هي أيام أبى تمام التى وصفها فقال :

أيامُنا مصقُولةٌ أطرافها بك والليالى كلها أسحارُ

بما منح من حُسن رأيك أطال الله فى كنف السلامة بقاءك وحجب عن عيون الغير نعماءك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم أصفاها من الشوائب وأبعدها من مُلاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمّته كما قاد اليك الفضل بأزمّته ولازال بك الزمان جديد الحُلّتين مُطرز الطرتين مُتوّج المفرق بمآثرك حالى الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولانزع عنك عارفةً وفر عليك كمالها :

رأيتُ جمالَ الدهرِ فيكَ مُجدّداً فكن باقياً حتى ترَى الدهرَ فانيا

وكتب بعضهم : الحمد لله الذى استسلمت نهاية الشكر لدون ماألزم بصنائعه .

وكتبت : الحمد لله على ماتطوّل به من البرّ وما أوزع (١) على ذلك من الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعى المزيد من جزيل إحسانه .

وكتبتُ : الحمد لله الذى قيض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرُمة البكر

---

(١) أوزع : أي ألهم .

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمدُ لله الذى جعل من آلبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

﴿ ومن جيد الأدعية ﴾

ما كتب الصاحبُ أبو القسم بن عباد : أسعد اللهُ سيدنا بالفضل الجديد والنيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حافظةً لجميل العادة مُوذنة بظاهر العزّ والبسطة وتزايد السرور والغبطة مؤمنــة من عوادى الأيام وبوادر الزمان وأراه ســادتى الفتيان قد اقتفى كلٌّ منهم مجده وحكى في طلب المعــالى أباه وجَدّه وجعــل سيدنا آخذاً من كل مادعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الاعداد.

وكتب الصابى الى أبى القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاى الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفى أيامه كلها معافى سالمــاً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً مختوماً له ببلوغ الآمال مطروفاً عليه [(١)] عين الكمال محظور الافنية عن [(٢)] النوائب محمّى الشرائع عن [(٢)] الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليــه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحبك اللهُ بقاءك عزاً يبسط يدك لوليك وعلى عدُوك وكلاءة تذب عن ودائع مِننه عندك وزاد فى نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بَعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبى نواس :

دارت على فتيةٍ ذلَّ الزمانُ لهم   فمــا يُصيبهمُ إلا بمــا شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقــدار مرزوقاً نهاية الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ بلغك اللهُ نهاية من العمر لا نهاية لمستزيد وراءها . وقريبٌ منه قول البحترى :

---

(١) فى الأصل (عنه) . (٢) فى الاصل (على) .

عَمرتَ أبا اسحقَ ما صَلَحَ العُمرُ ... ولا زال معموراً بأيامك الدهرُ

وقول الآخر :

فلا زالتِ الأرضُ معمورَةً ... بعُمرك ياخيرَ عُمَّارها

ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبى تمام :

من يسأل اللهَ أن يُبقى سَراتكمُ ... فانما رامَ أن يستبقىَ الكرما

وقول المتنبى :

أعيذكم من صروف دهركمُ ... فانهُ بالكرام مُتهم

وقلت: فلا زالت الأقدارُ دونَ محالكم ... سواقطَ والمكروهُ عنكم[1] مقصِّرا

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذور فى كنف .

وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالى على هواك مُساعفة تتلقاك بأوفر الحبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجرى مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس عنك بالمحذور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل والقماءة[2] . وكتب ابن المعتز أخّرتنى العلة عن الوزير أيدهُ اللهُ فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ويعمرَ ما أخلَّته العوائق منى أسأل الله أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويجب له ويتقبل ما نتوسل به الى مرضاته ويضاعفُ الاحسان اليه على الاحسان منه ويُمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه فى مَسرَّةٍ نقيصةً ولا يقطع عنه فيها عادة جميلة . وهذا مأخوذٌ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ماقبله مُقصراً عما[3] بعده .

وكتب ابنُ المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح لك وأجزل من الخير حَظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .

وكتب الى عليل: مسحك الله بيد العافية ووجّه اليك وافد السلامة وملاك

---

(١) فى النسخ « منكم » . (٢) القماءة : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) فى الأصل « على ما بعده » .

ماأفادك وهنّأك ماقسم لك وأمتع بك وليك والان لك طاعة عدوّك وجمّل الدولة ببقائك وزيّنها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم لمولانا ولى النعم التمكين والبسطة والعلوّ والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ماضمنها من خشية صولته ليزداد أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن فى ارتحاله وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولى نعمته ويستديم المقسوم له من محمدته .

وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى على بن عيسى : وهنّأ الله الوزير ماأتاه وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءًا وفاتحةً وأسلمه مالاً وعاقبةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً [1] ويسر لديه العسير وقرب على يده البعيدوالشطير [2] إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابى لرجل النعم ثلاثٌ نعمةٌ في حال كونها ونعمةٌ ترجى مُستقبلة ونعمةٌ تأتى غير مُحتسبة فأدام الله لك ماأنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

(المديح)

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أورده هنا صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :

ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رُخص السعر وأمن السبل وادراك الأماني وبلوغ الآمال . وكتب بعضُ الكتاب : وجرى لك منذكر ما خصك اللهُ به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهد فى السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجرى مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا فى شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاء الأصل ونماء الفرع وسنيّ الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيقٌ بتصديقها فيه وتحقيقها[(١)] عند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً [(٢)] والأذن بياناً . ومما يجرى مع ذلك أن بعضَ الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيّ اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان .

وكتب الصاحب : وليس ببدع أن يجود كلامه وتعتدل أقسامه ويتهذب بيانه ويتسع جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عُد الفقه كان البازل الذى ذلّل الفحولَ مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم وفحص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكاثر مُكاثرة الآحاد وإن جُورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابةُ فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاديه .

وقال رجلٌ لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلّ وتجبر مااعتل وتكثر ماقل .

وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من وُلاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدبيره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزهُ ويزيدُ فى تأييده .

---

(١) فى الاصل (تحقيقا) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿فأما الذم والتهجين﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بالمُنى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدبار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم فى المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : نزلتَ بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندمٍ وارحل بعدمٍ . وقال أعرابيٌّ : أولئك قومٌ سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلباسُهم في الدنيا الملامة وزادهم فى الآخرة الندامة . وقال أعرابيٌّ لا تُدنس شعرك بعرض فلان فانه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نُواس قوله :

بما أهجوكَ لاأدرى لسانى فيكَ لايجرى
إذا فكرت فى عرضـــك أشفقتُ على شعرى

واستشارت امرأةٌ امرأةً في رجل تزوجه فقالت لا تفعلى فانه وكالٌ تكالة يأكل خلاله . ووُكالة وتُكالة بمعنى واحد وهو الذى يتكلُ فى الأمور على غيره ولا يقومُ فيها بنفسه والتاء فى تكالة واوكما قيل تُراثٌ وهو من ورث ، والخلل مايخرجُ من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريبٌ منه قولهم فلان يُثيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طمعه وشرهه يُثيرها يطلبُ تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظماً لقد حدثتَ نفسك بالمحال

﴿فى الشكر [١]﴾

وكتب ابنُ المعتز فى الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى اللهُ مكافأتك

---

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جُهدى بمـا هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورأفته ، وهذا من قول طريح بن اسمعيل * فقصرت مغلوباً وإنى لشاكرُ * وكتب آخر : إذا كان مجهودى فى شكر النعمة واعترافي بحق العارفـة يُبلغنى أقصى نهـاية الشاكرين وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قـدر شكرى كزيادة قيمتك فى نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقـة عنى . وكتب بعضهم قلبي نجى ذكرك ولساني خادم شكرك . وممـا يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فان أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤملين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضَه فتـذال لك و نفسَـه فتواضع دونك وقلبَـهُ فـكان فى رجائك وتأميلك ولسانَه فـكان فى ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبَ واغتدى   يتعلم الادابَ حتى أحكما

فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ   من حُرِّ ماحاك الضميرُ ونظما

مُتشاغلاً عما يُمارسُ غيرُه   حتى لقد أثرى اللئامُ وأعدما

ثقةً برعى الأكرمينَ ذِمامَهُ   لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُحرَما

وكتبتُ : وتأملتُ التوقيع في معنى المعيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونُه ونامت عيونهُ وتنحت عن ساحتى خُطوبهُ وهذه نعمٌ أعيا بذكرها فكيف أطمعُ في إداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شُكراً لها ومقابلة بمـا خلص إلىّ منها وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .

وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال علىّ بن عُبيدة : النعمة كالروضة والشكرُ كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى عافية لا عيب فيها الا فقدك و نعمة لامزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمةٍ أن يجعلك المقـدم فيها وإذا امتحن بمحنة أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصلٍ : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

ضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية فى البرّ والعقوق .

وكتب أبو على الضرير : تجاوز بى ذكر فضلك ووصف محاسنك والاخبار بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بحاجتى قبلك ليس لأنى جهلتُ الحق علىّ لك ولا لأنى ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكنى رأيتنى فيما أتعاطى منه كالمخبر عن ضوء النهار الباهر الذى لايخفى على ناظر وكالمنبه على الأمر الواضح الذى يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك وو كلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القولُ فى هذا الباب إلى هنا لعلمنا انا ان أردنا استيعابَهُ لم نقدر عليه لكثرته ونرجو أن يقع الاكتفاءُ به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى دَلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ماخلق من الصور وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسان وبهيمةٍ وجان وطائر يمسح صفحات التراب ويأخذ باهاب السحاب وحنش ينطوى على أدراجه ويستوى مرة فى اعوجاجه إلى غير ذلك من خلقٍ مُختلفة وأجرام متباينة حقيرُها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ وجعل منافعها متاعاً للانسان الذى كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾
في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأنا أجيء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرته واستفاضته ولا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ماعرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا مالا بد من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ماجاء عن القدماء في صفة الفرس قول أبي دؤاد :

يحمل منه بعضُهُ بعضَهُ   فراكبٌ منهُ ومركوبُ

وقول الاعرابي :

وأحمرُ كالديباج أما سماؤهُ   فَرَيا وأما أرضُه فمحُولُ

سماؤه : أعاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ماقيل في تأنيف اذن الفرس ماأنشده القتبي * كأن آذانها أطراف أقلام *
وأحسن ماقيل في اصطفاف الخيل قول الاسعر (١) :

يخرجنَ من خللِ الغبارِ عوابساً   كأناملِ المقرورِ أقعى فاصطلى (٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أى كأنهن يبادرن الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذه على بن جبلة فقال رحمه الله :

كأن خيلك فى أثناء غمرتها أرسالُ قطرٍ تهامى فوق أرسالِ
يخرجن من غمرات النقع سامية نشر الأنامل من ذى القرة الصالى

والاول أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلوع الجنب *
وفى وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمدانى :

وتهدى بى الخيل المغيرة نهدة اذا صبرت صابت قوائمها معا

ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت احدى يديه بثبرة[1] تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا

وكان الاحسن أن لا يصفها بالعثار الا أن قوله * تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا *
مستعار حسن يعنى على إساءته فى وصفه إياه بالعثار ، ودعدع مثل قولهم « لعاً » وهو دعاء للعاثر بالحياة . وأهدى بعضهم شهرياً[2] وكتب : بعثت بشهرى حسن المجموع لين الموضوع وطئ المرفوع همه أمامه وسوطه لجامه . وقد أحسن ابن المعتز فى قوله :

وخيل طواها القودُ حتى كأنها أنابيب سمر من قنا الخط ذُبّل
صببنا عليهم ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل

فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها . وقد أجاد فى قوله أيضاً * أضيع شىء سوطه اذ تركبه *
وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول جرير :

وطوى الطرادُ مع القياد بطونها طى التجار بحضرموت بُرودا

وقد أحسن الاعرابى القول فى سرعة الفرس حيث يقول :

غايةُ مجد رُفعت فمن لها نحن حويناها وكنا أهلها
لو ترسلُ الريح لجئنا قبلها

---

(١) الثبرة : الكوم من التراب . (٢) الشهرية بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُه يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يَمَسّ الأرضَ منهُ حافرُه

وهذا غاية فى وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره * رديء لانه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عُبيدة بن الطيب فى الثور :

يخفى الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ في أربعٍ مَسّهنّ الأرض تحليلُ

يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف يمينه بالتحلة لا تراخي بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنّ مايهربُ منهُ يطلبه

وقد أجاد القائل فى صفة كلاب * كأنما يرفعن مالا يُوضع * ومن عجيب ماقيل في ادامة الجرى قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانَهُ ويُبارى شباة الرُّمح . ويستحبُّ في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ماقيل فى ذلك قول على بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ فى استقبالهِ حتى إذا استدْبرْتهُ قلتَ أكبّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى فى قوله :

إن أدبرتْ قُلتَ لاتليلَ لها أوأقبلت قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طِرْف اذا استقبلته قلتَ حبا حتى اذا استدبرتَهُ قلتَ كبا

ذو أربع يلقى الصفا بمثلها وللحصى من خلفها وثب دبا

اذا ترامينَ به فى سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حِرْزٌ وبُطونُها كَنْزٌ » وقال الاشعرُ الجعفى في معنى قول النبي ﷺ ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقّيّ الردَى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ماوصف به حُضْرُ (١) الفرس قول الاعرابي في فرسه « يحضر ماوجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :

على هيكل يعطيك قبلَ سُؤالِهِ ... أفانينَ جريٍ غير كزٍّ ولاوان

قوله « قبل سُؤاله » عجيب الموقع ، وقوله «أفانين جرى» أعجب وأبلغ.

وأجودُ ماوُصف به ظفره عند الطلب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها ... بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكل

فجعل الاوابد وهى الوحش مقيدة له ينالها كيف يُريد .

وقد أجاد أيضاًوأحسن القول فى اليقين بالظفر حيث يقول :

اذا ماولدنا قالَ ولدانُ أهلنا ... تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطبُ

وأحسن عمارة التقسيم في قوله فى هذا المعنى :

وأرى الوحشَ فى يمينى اذاما ... كانَ يوماً عِنانهُ فى شمالى

ونقله الشماخ بن ضرار (٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلاد غير قوسٍ وأسهم ... كأنَّ الذى يرمى من الوحش نازرُ

أى جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد . وجعله أبو نواس في نعت كلاب فقال :

بأكلُبٍ تمرحُ فى قداتها ... تَعُدُّ عيرَ الوحشِ فى أقواتها

وهو من قول أبى النجم « تعد غابات اللوى من مالها » وقوله :

يردى على حوافرٍ لاتخذُله ... صم الشوَى يحملها وتحمله

حافٍ ومايحفى وماتنعّلهْ ... نار عجاج مستطيل قسطله

تنقش منه الخيـل مالا تعزله ... فى جنبه الطائر ديث عجله

كأنَّ تُربَ القاع وهو يسحله ... ضيقُ شياطـين رقتهُ شمأله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازنى ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام، كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أو خلقٌ ينشقُّ عنــه سمله ترى الغــلامَ ساجياً لايركاه
يعطيهِ ماشاء وليس يسأله فوافت الخيل ونحن نشـكاه

ويستحب في الخيل سعة المنخرين فمن أبلغ ماقيل فى ذلك قول مزاحم بن طفيل العقيلى * من منخرٍ كوجار الثعلب الخرب * فجعله خرباً ليكون أوسع. وقال العباس بن مرداس :

مِلء الحزامين وملء العـين ينفشُ عنـدَ الربو منخرين
كنفش كيرين بكفى قين

ومن أبلغ ماقيـل فى طول عُنق الفرس قول مُزاحـم العُـقيلى أيضاً * كأن هاديه جذعٌ على شرفٍ * فلم يرض ان جعلها جذعا حتى جعلها على شرف كصنيع الخنساء فى قولها * كأنه علمٌ فى رأسه نار * وقلت :

بمعقودِ السراة على اندماج ومزرورِ القميصِ على انشمار
يُريكَ جبينهُ لمانَ بَرْقٍ وسائرُ جسمهِ لمعـانَ قار
فيشبه تحتَ جُنح الليلِ ليلاً ويحكى الخالَ في خدِّ النهار
ويقبلُ حينَ يُقبلُ فى سموٍّ ويُدبِرُ حينَ يُدبِرُ في انحدار
ويُمسك وهو كالفدن المعلى ويحضرُ وهو كالمسد المغار
يلوحُ البـدرُ منهُ فى جبينٍ وتتضحُ الثريا فى عـذار

وقد أبدع القائل فى وصف فرس أبلق أغر فقال :

وكأنمـا لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منهُ فخاضَ فى أحشائه

إلا أنه أساء فى العبارة وذلك أن اللطم لا يكونُ إلا على الخد وضرب الجبين لايسمى لطماً والقصاص يكون بمثل الفعل فالقصاص باللطم اللطم لا الخوض فى الاحشاء . وقال ابن دريد وأحسن في وصف الغرة والتحجيل :

كأنما الجوْزَاءُ فى أرْساغِهِ والنجمُ فى جَبهتِهِ إذا بدا

ونحوه قول كشاجم :

قد راحَ تحت الصبح ليلٌ مُظلِمٌ ... لو راحَ في السرج المحلى الأدهم
ضحكَ اللجينُ على سود أديمه ... وكذا الظلام تنير فيه الأنجمُ
فكأنهُ بينات نعش مُلبَبٌ ... وكأنما هو بالثريا مُلجمُ
وقال: عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مُطهم ... يهوى لطيئه هُويَّ الأعقب
ذاوي العسيب قصيرهُ ضافي السبيـــب طويلهُ صافي الأديم محبب
كالنور بينَ العشب يبهرُ حسنهُ ... بين الجيادِ إذا بدا في موكب
وتطيرُ أربعـهُ به في أبطح ... فكأنه من طولها في مرقب
صم الحوافر شرب صم الصفا ... منها الأهلةُ في الصفا والصلبِ
وكأنَّ غرتهُ نفضضُ وجهه ... والنقعُ يذهبهُ وإن لم يُذْهب
وكأنَّ في أكفاله وتليله ... غسق النجوم فتستطيلُ وترتبي
وكأنما الأرساغ ماءٌ لم يسل ... والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطب
لم يُطلب إلا يفوتُ ويطلب ... إلا يفوزُ فلم يخب في مطلب
والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا ... تُ أسيرةٌ في شدة المتلهب
وكأنما يحوي مدارُ حزامه ... احناءَ بيتٍ بالعراء مطنبِ

وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله ❊ يرمي الجلاميد بأمثالها ❊ ثم قال رُؤبة ❊ يرمي الجلاميد بجلمود مدق ❊ وأبلغ ما وصف به شدةُ قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشناندانى عن الجرمي :

سِـيانَ تحت طموه وطموره ... أكم الفلا ومقايل الولدان
يطأ الخبار فلا يطيرُ غبارهُ ... ويرضُّ حافرهُ حصى الحزّان

يقول سواء عنده إذا طما في سيره أي ارتفع وإذا طمر أي وثب ، الأكم وهي المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهي ملاعب الصبيان إذا لعبوا بالتراب فمدّوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبؤا خبيئاً فمن أخرجه فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهى الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار فى الرقاق من الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهى مواضع الحجارة ناقل فيها لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر * شادخة تشدخ من أدلالها * يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذى لاشبيه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمر قادح رفعت قوائمه غمامة قسطل
ومحجل غر اليمين كأنه متبختر يمشى بكم مسبل

وقد أحسن القائل فى قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأوله فى منعه الخطو آخره
وقد قطعت من لونها الشمس غرة له وحجولاً ثم كالظل سائره

وقال ابن المعتز :

تمت له غرة كالشمس مشرقة يكاد سائلها عن وجهه يكف
إذا تقرط يوماً بالعذار غدا كأنه غادة فى أذنها شنف

وقلت : إذا تحلى بالعذار ومشى قلت فتاة تتصدى لفتى
كأنه تحت الحلى روضة در عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ماقيل فى طول الفرس فى الهواء قول أبى دؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق
كأنى إذا عاليت حوزة متنه تعلق برى عند بيض أنوق

وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ، فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مضطرم الغدو والرواح تخاله يمشى على أرماح

وأخبرنا أبو القسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال أهدى رجل من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسرى برذوناً وقعد بين يديه فقال ماهذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نعس وان حركته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عـدا   أطوعُ من عنانه إذا جُذِب

ويشبّهُ الفرس فى عدوه بالنار فأجمعُ ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربمـا أغدو وتحتى طِرفٌ   لاحقٌ بالهاديات [1] طمر

طُوِىَ الشحمُ على متنيه   مثل مايطوى القباطى تجر

فهو نارٌ والتراب دُخانٌ   مستطيرٌ وحصى الأرض جمرُ

وقال : وكم غدوت بفتيانٍ تسيل بهم   سوابقٌ أحكمتهنّ المضامـير

مكنفات بآذانٍ نواصيها   كما يشقُّ عن الطلع الـكوافير

تنزو كراتهمُ فى كل مُعـترك   كما يطـيرُ من الذعر العصافـير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ماوصف به الجرى السهل . ويُستحب فى الفرس الشدق وهو سعه الشدقـين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب * وان يُلق كلبٌ بين لحييه يذهب * ومن مليح ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر في غرة شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ماجمه يفتحان سفطا

وقال : وغدونا بأعنـة خيـل   تأخذُ الأرض بأيدى عجال

زينتها غررٌ ضاحـكاتٌ   كبـدورٍ في وجوهِ الليـالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عنـد السير بجراء كلاب بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلابٍ بيض   دون صافيه الى التمريض

وقال العمانى الراجز :

---

(١) في نسخة (بالعاديات) .

كأن تحت البطنِ منه أكلبا بيضاً صغاراً ينتهشن المنقبا

وتبعه الحمانى فقال :

وليل مثل خافية الغرابِ عمىٌّ مذاهبٍ وخفى باب
دلفتُ لهُ بأسودَ مستمر كما نظرَ الغضابُ الى الغضاب
أجشٌّ كأنما قاباتُ منهُ تبعّقَ لجّةٍ وحريقَ غاب
تراهُ كأن عينكَ لا تراهُ إذا وصلَ الوثاب الى الوثاب
كأن لدَى مغابنهِ التماعا يهادس عنده بُقع الكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذكر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعاً ووضعاً كما خفقت بنانُك بالحساب

ومن أحسن ماقيل في الحصى الذى يترامى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرىء القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته (١) رجلها خذف أعسرا

وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وأتى بمعناه :

يقذفُ بالرجل حصى الطريقِ كأنهُ رامٍ بلا تحقيقِ

وقال : ينفى خفاف الحصى والنقعُ منتشرٌ كأنها خلف رجليه الزنابير

وقد أجاد الكميت فى قوله :

كأن حصى المعزاءِ بينَ فروجها نوى الرضخ يلقى المصمد المتصوّب

فجعلها لكثرتها تتلاقى في الهواء وزاد فى ذلك على الممزق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاءِ بينَ فروجها بوادى نوًى رضاخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز فى قوله * يرضخ مايرضخ مالا يرضخ (٢) * يقول إذا وطأ الحصى نبت من تحت سنبكه فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكأن رضخه أى رمحه والرضخ الرمح . ويشبّه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرىء القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذه ابن المعتز فقال :

---

(١) النجل : الرمى كما هو ظاهر . (٢) فى الاصل (يضرخ) فى مواضع

قد اغتدى بقادحٍ مُسوَّم يعبوب
ينفي الحصى بحافر كالقدح المكبوب
قد ضحكت غرتُه عن موضع التقطيب

وقد أحسن أبو تمام فى قوله :

بحوافرٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلق أحلقِ

فجعل البيت كله تجنيسا ولعله ماسبق الى ذلك . وقد عاب الآمدى قوله « وصلب صلّب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لاتحفر الأرض وأكثر ماذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور فى صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة فى نعتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجيءَ البدرِ حين تمامه
واسودَّ ثم صفت(١) لعيني ناظر جنباته(٢) فأضاء فى إظلامه
مالت نواحي عُرفه فكأنها عذباتُ أثلٍ مال تحت حمامه
ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
وكأن فارسه وراء قذاله ردفٌ فلستَ تراه من قدامه
لانت معاطفه فخيل انه للخيزرانِ مناسبٌ بعظامه
وكأن صهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقعقع في ازدحام غمامه
مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه
والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه

وقوله أيضاً : وأغرّ في الزمن البهيم مُحجّل قد رُحتُ منهُ على أغرّ مُحجَّل

(١) فى الأصل (صفا) . (٢) كذافي الديوان ، وفى الأصل (جلبابه) .

كالهيكل . المبنيّ إلا أنه في الحسن جاءَ كصورةٍ في هيكل
ذَنبٌ كَسحبَ الرداء يَذُبُّ عن عُرفٍ وعُرفٌ كالقناع المسبلِ
جذلانُ ينفضُ عذرةً في غرةٍ يقق تسيلُ حجولها في جندل
تتوهمُ الجوزاءُ في أرساغهِ والبدرُ غرةُ وجهه المتهلّلِ
وتراهُ يسطعُ في الغبار لهيبهُ لوناً وشداً كالحريقِ المشعلِ
هزج الصهيل كأنّ في نغماته نبرات معبدَ في الثقيل الأول
ملأَ العُيون فان بدا أعطينهَ نظرَ المحبّ الى الحبيبِ المقبلِ

وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمسٍ أشرقتْ في وجهه لم تمح منهُ دجى الظلامِ المطبقِ
واذا تمطر في الرهانِ رأيتهُ يجرى أمامَ الريح مثلَ مطرّق

وقال ابن المعتز :

تحملني طِرْفَةٌ صادِرَةٌ واردهْ
ترضيك في يومها وهي غداً زائده
ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيتُ الدّيْنَ ديناً يُؤفك وأمست القبّةُ لاتستمسك
تُفتقُ من أعراضها وتهتك سرت من الباب فسارت دكرك
منها الدجوجيُّ ومنها الارمك كالليلِ إلا انها تحركُ

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتنيها وأنت على غير وضوء ، قو كالليل ألا إنها تحرّك * استثناء عجيبٌ . وقال ابن المعتز :

اذا مابدا أبصرتَ غرةَ وجههِ كعنقود كرمٍ بينَ غصنينِ نوّرا
وردفاً كظهرِ الترس أسبلَ خلفهُ عسيباً كعيص الطود لما تحدّرا

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليل (١) بفتيانٍ غرر على جيادٍ كتماثيل الصور
كأنما خيطوا عليها بالابرْ أوسُمِّر الفارسُ فيها فانسمر

وباسنادٍ لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكاتبه أنائمٌ أنت ؟ قال لا وأيّد الله الأمير ، قال ماأطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة فى ابّان جوعة ، قال فما ألذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفىء بها غليلك أو كأسٌ تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التى تدخلُ اليها والهاً وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذى اذا طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت لله درك ، اعطه ياغلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه ياغلام . فأعطاه ألفى دينار .

وقيل لاعرابى أتعرف الجواد المبرز من البطىء المقرف قال نعم أما الجواد المبرز فهو الذى لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا انتصب اتلأبّ ، والبطىء المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الارنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرسانى واذا قلت أرسله قال أمسكنى .

وقال المهدى لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلتَ زاخر واذا استعرضتهُ قلت زافر ، قال فأى البراذين خيرٌ ؟ قال ماطرفهُ أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شرٌ ؟ قال الغليظ الرقبة الكثيرُ الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى .

ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال : إنها لخليقة للجودة وآية ذلك انها سامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فاتت

---

(١) في نسخة « قد أشهد اللهو » .

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ، صليب الدخيس والكاهل والعجب ، عريض اللبان والجبهة والخد ، مُنيف الجوانح والقذال والقوائم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن مُناذر في وصف فرس :

وإذا أعْرَضَ قطريهِ لنا وفيا واستوفيا قَدّاً بَقدّ
فهو كالقِدْح أقامت درأهُ كفُّ باريهِ فما فيه أوَدْ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقي العصب يبوع بيديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوزُ الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن زجرته حار وإن طرحت عنانهُ سار كموج في لجة أو سيل في لجوة ان وجد علفاً أمعن وإن فقده ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب اليه : قد بعثت اليك ببرذون لين المرفوع وطيء الموضوع حسن المجموع طويل العذار أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن على بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره :

جُعلتُ فِداك قد أمسى حماري لهُ سَرْجٌ وليس لهُ لجامُ
كمثل العاطل الحسناءِ أمستْ لها حَلْيٌ وليسَ لها نظام

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها

أطرف ماقيل في صفة الابل قول القطامي :

يمشينَ زهواً فلا الاعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ على الاعجازِ تتكلُ
فهن مُعترضاتٌ والحصى رَمِضٌ والريحُ سا كنةٌ والظلُّ معتدل

قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ماقيل فى صفة هاجرة .

ومن مليح ماقيل فى ضمر الناقة قول ابن الخطيم :

وقد ضَمرتْ حتى كأنَّ وضينها (١) وشاحُ عروس جالَ منها على خصرِ

ويُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ماقيل فى ذلك قول الشاعر :

يعالج مثنى حضرمى كأنّه حباب نقا يتلوه مرتجلٌ يرمى

وقال ذو الرمة :

رجيعةُ (٢) أسفار كأنَّ زمامها شجاع (٣) على يسرى الذراعين مطرق

وأخذه المتنبي فقال « كأنّ على الاعناق منها الافاعيا »

من أجود ماقيل فى ضمر الابل قول الفرزدق :

اذا ماأنيختْ قابلتْ عن ظهورها حراجيج أمثال الاهلة شسَّف

شبهها بالاهلة لضمرها واحد يدابها . وتُشَبهُ بالقسِيّ فمن أجود ماقيل في ذلك وأجمعه قول أبي عبادة البحترى :

وخدان القلاص (٤) حولاً إذاقا بلنَ حُولاً من أنجم الاسحار
يترقرقنَ كالسراب (٥) وقد خضـنَ غماراً من السرابِ الجارى
كالقسيّ المُعطفاتِ بل الأسـهم مبريَّةً بل الاوتاد

وقال ابن دُريد :

ألـيَّةً باليعْمَلاتِ يرتمى بها النجاءُ بينَ أجوازِ الفلا

---

(١) الوضين كالحزام . (٢) أى معاودة . (٣) الشجاع هنا : الحية .

(٤) كذا فى ديوان البحترى ، والذى فى الأصل « وحذاق القلاص » .

(٥) كذا فى ديوان البحترى ،والذى فى الأصل« بالسراب » .

خوص كأشباح الحنايا ضُمَّر يرعفن بالامشاج من جذب البرى
يرسبن فى بحر الدُّجى وفي الضحى يطفون فى الآل[(1)] اذا الآل طفا

ومن غريب ماقيل في عين الناقة قول ذى الرمه :

كأنما عينها منها وقد ضمرت وضمها السير في بعض الاضى ميمُ

فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهى الغدير ، وقد قصر بذى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره فرآه ترك في الخط لاماً فقال له ذو الرمة أكتب لاماً فقال حماد وانك لتكتب قال لا أكتم عليك فانه كان يأتى باديتنا خطاط فعلمنا الحروف تخطيطاً فى الرمل فى الليالى المقمرة فاستحسنتها فثبتت فى قلبى ولم تخطها يدى .

ودخل أبو تمام على المأمون فى زىّ اعرابى فأنشده :

دِمنٌ ألمَّ بها فقالَ سلامُ كم حلَّ عُقدةَ صبرهِ الالمامُ

فجعل المأمونُ يتعجبُ من غريب مايأتى به من المعانى ويقول ليس هذا من معانى الاعراب . فلما انتهى الى قوله :

هُنَّ الحمامُ فان كسرتَ عِيافةً من حائهنَّ فانهنَّ حِمامُ

فقال المأمونُ اللهُ أكبرُ كنتَ ياهذا قد خلطت علىّ الامر مُنذ اليوم وكنتُ حسبتك بدويا ثم تأملتُ معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس فى في وصف الناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة اذا صام النهارُ وقالتِ العُفرُ[(2)]
شدَنيّةٌ[(3)] رعتِ الحمى فأتت ملء[(4)] الجبال كأنها قصر

---

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو بياضها حمرة (٣) شدَن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .

(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنترة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها   فدَنٌ لأقضي حاجةَ المُتلوِّم

إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامذةً (١)   فتقول رنق فوقها نسرُ

أما إذا وضعته عارضةً   فتقولُ أسبل خلفها (٢) سترُ

أخذه من قول أبي دواد « قوادم من نسور مضرجات » وليس بيت أبي دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفُّ أحياناً فتحسبها   مسترسماً يقتادُهُ أثرُ

فإذا قصرتَ لها الزمامَ سما   فوقَ المقادمِ ملطمٌ حُرُّ

وكأنها مُصغٍ لتُسمِعَهُ   بعضَ الحديثِ بأذنهِ وقرُ

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامى :

ألمن يقصرنَ من نجب مُخَلَّسةٍ   ومن عرابٍ بعيداتٍ من الحادى

أي يسبقن الحادى فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تَذَرُ المطيَّ وراءَها فكأنها   صفٌّ تقدمهنَّ وهي امامُ

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقةٍ في مهمهٍ رمى بها   همٌّ إذا نامَ الورَى سرَى بها

فهيَ أمام الركبِ في ذهابها   كسطرِ بسم اللهِ في كتابها

ومن مُصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تاقي الفلاة بخفٍّ لا يقرُّ لها   كأنَّ مسقطهُ في تربها طبقُ

وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمها :

كأنا عندَ نهضتهِ رفعنا   خباءً فوقَ أطرافِ الرماح

---

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامذة» وهي الناقة التي تشيل ذنبها نشاطاً .   (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرةٍ كأنَّ حجاجها وقبٌ أنافَ بشاهقٍ لم يُحالِ
وكأنَّ مسقطها إذا ماعرَّست آثارَ مسقطِ ساجدٍ مُتبتلِ
وكأن آثارَ النسوع بدفها مسرى الأساودِ فى دهاسٍ أهيل
ويشدُّ حاديها بحبل كامل كعسيب نخل خوصُه لم يُنجل

وقال أيضاً :

كأنّ المطايا إذ غدَوْنَ بسحره تركنَ أفاحيصَ القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ماقيل فى سمن الابل :

لنا إبلٌ ملءَ الفضاء كأنما حملنَ التلاع الجوّ فوق الحوارك

وقد أحسن القائل في وصف سُرعتهن حيث يقول :

خُوصٌ نواجٍ إذا احث الحداةُ بها حسبتَ أرجلها قُدَّامَ أيديها

وذكر دعبل بن على الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخالُ آخرهُ في الشدّ أوّلَه وفيهِ عدْوٌ وراءَ السبقِ مذخورُ

وقد أحسن مسلم فى قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلقٌ من الريح في أشباح ظلمان
كأن أفلاتها والفجرُ يأخذها أفلاتُ صادرةٍ عن قوس حبسان

وقال آخر :

كأنّ يدَيْها حين يجرى ضفورها طريدانِ والرجلانِ طالبتا وترِ

ومن بليغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرتُ بها سباح قفرٍ كأنّه يخافُ لحاقاً أو يبادرُ أولا
توارثهُ الايجافُ حتى كأنّهُ لميس ضنى أعيا الطبيب المعذّلا

ومن بديع ماجاء فى ذلك قول رؤبة بن العجاج [(١)]

كأن أيديهنَّ بالقاع القرقْ أيدي المذاري يتعاطينَ الورق

وقد أحسن أبو الشيص [(٢)] فى قوله :

وليــل يرْكبُ الركبا نُ فى أمواجــه الخضر

توكلتُ عــلى أهوا لهــا بالله والصبر

وأعمــال بنات الريــــح فى المهمهةِ القفر

شماليــل يصافحنَ مُتونَ الصخرِ بالصخر

بايجافٍ يقــدُّ الليــــل عن ناصيةِ الفجر

وقلت : لنا هجماتٌ تنثنى سرواتها بأسنمةٍ مثل الاكام سوامق

خبطنَ الربيعَ وانتسفنَ نباته كامرت الاجلامُ فوق المفارق

بناها بناء البيت حون رواعدٌ تجىء على آثارِ جونٍ بوارق

تدورُ بأحقيها البروقُ وتنثنى كأنّ عليها مذهبات مناطق

وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خضتُ ظلامهُ بأزرقَ لمــاع وأخضر صارم

وطيارة بالرحل صرف كأنمــا تصافح رضراض الحصى بجماجم

وقلت : وليلة خبطت من ظلمائها بنازح الخطو إذا الخطوُ دنا

قد انبرَى يعترف السير بنا في طرق يخبط فيهنَّ الهدى

ينهى الوجى [(٣)] أمثاله عن السرى وساعدته ميعةٌ تنهى الوجى

ومن مصيب التشبيه قول الراعى :

فى مَهمــه قلقتْ بهــا هاماتُهــا قَلقَ الفؤوس إذا أرَدْنَ نصولا

---

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها وغريبها ، ولمــا مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعى ، كان معاصراً لأبى نواس ومسلم بن الوليد ، فى شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل المهارى نسلها إذا ترامتْ يدُها ورجلها
حسبتها غيرى استفزَّ عقلها أنى التى كانت تخافُ بعلها

أى كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياهما غيرى تخاصم وتشير بيديها لا تفتر . وقلتُ :

وَمَهمهٍ[1] قَلقتْ فيهار كائبنا والليلُ في قلق تسرى ركائبهُ
ركبته فكأنَّ الصبح راكبهُ وجُبته فكأن النجم جائبهُ
بكل ذى ميعة جدَّ الوجيف[2] به فانهدَّ غاربُهُ وانضم حالبه
وبات ينهب جنحَ الليل فى عجل كأنه لاعبٌ طابتْ ملاعبه
حتى بدا الصبحُ مُبيضاً ترائبهُ وأدبرَ الليلُ مخضراً شواربه .
وإنما النجحُ فى ليل ترادفهُ إذا تأوَّب أوصبحٍ يواكبه
وساهر الليل في الحاجات نائمه وذاهب المال عند المجد كاسبه

وقال أبو تمام :

على كلِّ روَّاد[3] الملاط تهدمت عريكته العلياءُ وانضمَّ حالبه
رعته الفيافى بعد ما كان حقبةً رعاها وماءُ الروضِ ينهل ساكبه

وقلت : واستنهضتكَ الى المآثرِ والعلا هممٌ تخال زهاؤهن جبالا
أردفتهن عزائماً فكأنما أردفتَ مُرهفة النصالِ نصالا
حملتها قلص الركابِ كأنها قلص النعام إذا اتبعن رِيالا
مهرية الرى السفاد بنحضها فتخالها تحت الرحال رحالا

وقال مسلم :

اليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيافى كل مرتٍ وفدفد[4]
أخذنَ السرى أخذَ العنيفِ وأسرعتْ خطاها بها والنجمُ حيران مهتدى

---

(١) المهمه : المفازة . (٢) . الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .
(٣) فى ديوان أبى تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المفازة .

لبسن الدجى حتى نضتْ وتصوبت ... هوادي نجومِ الليلِ كالدحو باليد

وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسي عُثنونُهُ زبداً ... فنصيلاهُ الى نحره [1]

ثم يعتمُّ الحجاج [2] به ... كاعتمام النوفِ في عشره

ثم تذروه الرياحُ كما ... طارَ قطن الندْفِ عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه ... على كلِّ خيشومٍ كريم المخطم [3]

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مُدلّةٍ ... بُعيد الشباب حاولتْ ان تعذرا

من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعت ... فراسَ بن غنم أو لقيطَ بنَ يعمرا

بها شرفٌ من زعفران وعنبرٍ ... أطارت من الحسن الرِّداء المحبَّرا

تقول وقد بلَّ الدموع خمارَها ... أبت عفتي أو منصبي أن أُعيَّرا

كأن بذِفراها مناديلَ قارقت ... أكفَّ رجالٍ يعصرونَ الصنوْبرا

وقال الراجز : كأنها نائحة تُرجِّعُ ... تبكي بشجوٍ وسواها الموجَعُ

وهو نحو قول الراجز ٭ حسبتها غيري استفزَّ عقلها ٭ ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراعا بذية ... مفجّعة لاقت حلائلَ من عُفر

سمعن لها واستفرغت من حديثها ... فلا شيء يفري باليدين كما تفري

فوصفها بأنها بذيةٌ وقد أوجعتْ ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفرٍ أي بعد زمان وتلك الشكوى في نفسها فجعلت تحدث وتحرك يديها في حديثها فلا تكاد تسكنهما . وقال أبو تمام :

---

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج : العظم المحيط بالعين . (٣) في ديوان أبي نواس (نبيل المخطم) ونفحن حركن ، واللغام : الزبد ، والمخطم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتى إذا كان الصلاء بها جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ماأرغمت آنفها والهادياتك وهى الشرَّدُ الضُّلل

وقال البحترى :

والعيس تنصلُ من دجاه كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشيب

وقال ابن المعتز :

ولم نَزَلْ نخبطُ الفلاةَ بأخــفافِ المطايا والظِّلُّ مُعتدِلُ
كأنّنا طارَ تحتنا قزعٌ على أكفِّ الرياح ينتقل
يفرى بطونَ النقا النقى كما يطعنُ بيضَ الجوانح الاسلُ

وقال في الناقة :

تُصغى الى أمرِ الزِّمامِ كما عطفتْ يَدُ الجانى ذرى الغصن

وقال فى لقاح :

حواملُ شحم جامدٍ فوقَ أظهر وان تستغث ضراتهنّ به ذابا
اذا ماسكاء الدرجاءت بشخب كما سُلَّ خيطٌ من سدى الثوب فانسابا

وهذا في دقة الشخب (١) حسنٌ جداً :

رأيت انهمارَ الدرِّ فوقَ فروجها كما عصرت أيدى الغواسل أثوابا
خوازن محضٍ في الجلود كأنها تحمل كثباناً من الرّمل أصلابا

وقد أحسن فى الناقة والزمام :

وسل البيداءَ عن رَجُـــل يخطمُ الريـــح بثعبان

وقال : وقفتُ بها عيسى تطير بزجرها ويأمرُها وحيُ الزّمامِ فترقلُ
طلوباً برجليها يدَيها كما اقتضتْ يَدُ الخصم حقاً عند آخر يمطلُ

وقال بعض العرب :

تطـــير مناسمها بالحصى كما نقدَ الدرْهمَ الصيرف

---

(١) الشخب و يضم : ماخرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ماقيل فى تقدم الناقة صواحبها[1] فى السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد مَلَّ ثَوَاء البحرينْ   يَنْسلُّ مِنهنَّ اذا تدانينْ

مِثلَ انسلال الماءِ من جَفنِ العينْ

وأبلغ ماقيل فى غزر الناقة قول أبى حيَّة :

تدِرُّ للعصفورِ لو مراها   يَملأُ مسك الفيلِ لو أتاها

ومن جيد ماوصفَ به سعة الاخلاف قول ابن لجا :

كأنَّما نصّتْ الى ضرّاتها   من نخرِ الطلح مُجَوَّفاتها

وقال مُسلم بنُ الوليد في غير هـذا المعنى :

أتَتك المطايا تهتدِى بمطيّةٍ   عليها فتى كالنصلِ يؤنسهُ النصلُ

وقال أبو نواس :

أياحبذا عَيشُ الوجادِ وضجعة   الى دف مقلاقِ الوضين سَعومِ

ترامى بها الايجافُ[2] حتى كأنها   تحيّفُ من أقطارها بقدوم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو قال سمعت جندل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بُردة :

نعوسٌ اذا درّت جرورٌ إذا غدت   بُويزل عام أوسديسٌ كبازل

قال فكاد صدرى ينفرجُ من جودتهاحتى كتبتها . ودَرَّةُ الابل مع النعاس والغنمُ تدر مع الاحتراس فمن أجود ماقيل فى ذلك قول جبيها الأشجعى :

رقودٌ لوأنَّ الدُّفَّ يُضرَبُ تحتها   لتنحاشَ من قاذوره لم تنا كر

أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة اذا كان يتجنب النساء ويتقى مجامعتهنّ .

ومن الوصف الحسن قول القطامى فى نوق :

جفادٌ اذا صافتْ هضابٌ اذا شَتتْ   وفى الصيفِ يَرْدُدْنَ المياه الى العشر

يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها فى أيام الربيع والقيظ وهي فى الشتاء كالهضاب

---

(١) فى الاصل «حواجبها» . (٢) فى ديوان أبى نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً واذا شربت فى اليوم العاشر التفت فى مثـله وفى كروشها بقية من المـاء .

وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشترى كيف لبنها ؟ قال احلب فى أى اناء شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على الحائط ماشئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير شيئاً مما توهمه بصفة شريح فعاد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك قال فأقلنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنّ أولاها على أخراها

مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعان من رغاها

واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انهـا كبـيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فابيضت القيعان منهـا والرغا جمع رغوة ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمتها قول أبى دؤاد :

فاذا أقبلت تقول اكام مشرفات فوق الأكام اكام

وإذا أعرضت تقول قصور من سماهيج فوقها آطام

وإذا مافجيتها بطن غيب قلت نخل قد حان منه صرام

الغيب ماواراك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

﴿ الفصل الثالث ﴾

فى ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ماقيل فى صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومهمه فيه السراب يلمح يدأب فيه القوم حتى يطلحوا

ثم يظلون كأن لم يبرحوا كأنمـا أمسوا بحيث أصبحوا

وقال رؤبة بن العجاج * يكل وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًّا

* ويسبقُ وفد الريح من حيثُ ينتحى * وقال مُسلم بن الوليد :

تجرى الرياحُ بهامرضي مولهةً حسرَى تلوذُ بأطراف الجلاميد

قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست فى بيت رُؤبةَ . ويشبهون استواء الفلاة باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمهٍ كمثل ظهر الترس *

وأحسنَ ذو الرمة حيث يقول فى هذا المعنى :

ودَوٍّ ككفِّ المشترى غيرَ أنهُ بساطٌ لأخماس المراسيل واسع

شبهه بكف المشترى لأن كفه الصق ، وفي رواية أخرى لأن المشترى يبسط كفه للصفق . وقلت فى نحوه :

وبحر ككفِّ الأكرمينَ يجفهُ صعيدٌ كأيدى السائلينَ مديد

وقال بعضُ المحدثين :

ودَوِّيةٍ مثل السماءِ قطعتها مطوقة آفاقهـا بسمائها

ومن عجيب التشبيه فى وصف الآل قول بعض الاعراب :

كفى حزَناً أنى تطالَلتُ كي أرَى ذرَى علمى دَمخ فما يُريَان

كأنهما والآلُ ينجابُ عنهما من البعدِ عينا بُرقع خلقان

وهذا من أغرب ما رُوى من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر فى السراب :

ألا تيكما أعلامُ بثنةَ قد بَدَتْ كأنَّ ذراها عممته سبيب

طوامس لى من دونهنَّ عداوةٌ ولى من وراءِ الطامساتِ حبيبُ

بعيدٌ على كسلانَ أوذى ملالةٍ وأما على ذى حاجةٍ فقريب

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآلُ ينزو بالصوى أمواجه نزو القطا الكدرىِّ فى الاشراك

والظلُّ مقرونٌ بكلِّ مطيةٍ مشى المهارِ الدُّهم بين رماك

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* وانتعل الظل فصار جوربا * وقال آخرُ :

اذا شئتُ أدّانى صَروم مُشيع معى وعقام تتقى الفحل مُقلات
يطوف بها من جانبيها ويتقى بهاالشمس حى فىالاكارع ميتُ

أدانى : أعاننى ، صروم : أى صارم ، مُشيع : شجاع كأنّ معه أصحاباً يُشيعونه فهو جرىء يعنى قلبه ، العقام : التى لاتلد فذاك أشدّ لها يعنى ناقة ، والمقلات : التى لا يبقى لهاولد ، وحىٌّ فى الأكارع ميتٌ : يعنى ظِلا قد ضارع عند انتصاف النهار . ومن بديع ماقيل فى السراب قول ابن المعتز :

وماراعنى بالبين إلا ظعائنٌ دَعونَ بكائىفاستجابت سواكبه
بدَتْ فى بياضِ الآل والبعدُ دونهُ كأسطر رقٍ أمرضَ الخط كاتبه

ولهمفي وصف الاسفارفى البحارشعر قليل فمنأجود ماوصفبه الموجقول الهذلى :
* نعاجٌ يرتمين الى نعاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقولُ وقدمالتْ بنا نشوةُ الكرَى نعاساً ومن يعلق سُرى الليل يكسل
أنخ نُعطِ انضاء النُعاسِ دواءَها قليلاً ورفّه عن قلائص ذبّل
فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الطريقة مُنجلى

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عودٍ خلق كأنه والليل يرمى بالغسق
مَشاجبٌ وفِلقُ سقبٍ وطاق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسِنّ ، على عود خلق أى طريق قديم دارس فكأنّه يُريدُ كأنّ ذلك كماقال رُؤبَةُ :

فيها خطوطٌ من سواد وبلق كأنّه فى الجلدِ توليعُ البهق

أى كأنّ ذلك شبّه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمودٌ من عمد

الحباء ، وشبّه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريبٌ منه قول الآخر :

عودٌ على عَـودٍ قوود للابل يموتُ بالـترك ويحيا بالعمل

عَودٌ : بعير ، على عود يعـني طريقا ، يموت بالترك : يعني الطريق يدرس اذا لم يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر :

فأصبحنَ بالموماةِ يحملنَ فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العمائم

كأن الكرى سقاهمُ صرخديّةً عُقاراً تمشي في المطا [1] والقوائم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :

كأن يديها وقد أرقلت وقد حرنَ ثم اهتدينَ السبيلا

يدا سابح خَرَّ في غمـرةٍ فأدركَهُ الموتُ إلا قليلا

ومما يجري مع ذلك قول الاعرابي :

بدأن بنا وابن الليالي كأنّهُ حُسامٌ جلا عنـه القيون صقيل

فما زلتُ أفني كلَّ يوم شبابَهُ الى أن أتتك العيسُ وهو ضَئيل

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد ومايجري مع ذلك)

فمن أجود ماقيل في وصف الثور اذا عـدا فيخفي تارة ويظهر أخرى قول الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :

يبدو وتضمرُهُ البـلادُ كأنّهُ سيفٌ على شرف يُسَلُّ ويغمد

وقد أحسن عديّ بن الرقاع [2] في وصف ثورين ومايثيران في عدوهما من الغبار وهو

يتعاورانِ من الغبـارِ مُـلاءة بيضاءَ مُخملةً همـا نسجاها

---

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسيا وإذا السنابك أسهلت نشراها

لا أعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنّ كأن إبرةَ روقِهِ قلمٌ أصاب من الدواةِ مدادها

وقد أحسن الراعى فى وصف الوعل :

يرودُ بها ذبّ الرياد كأنه فتىً فارسيٌ فى سراويل رامح

ذبّ الرياد أى(١) الوعل ، ويرود يجىء ويذهب ، شبّه ما على قوائمه من الشعر بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاوٍ من الوحشِ ناشطٍ تخالُ قرون الأجل من خلفه غابا

الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحا جآذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد

قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراود من سحيق الاثمد

وقال ابن المعتز :

شغلته لواقحٌ ملأته غيرةً فهو خلفهن كمىٌّ

قابضٌ جمعها اليه كما يجـــمع أيتامَه اليه الوصىٌّ

كلما شمّ لاقحا سىء منها رأس فحل برجلها معلىٌّ

خارجٌ من ظلال نقع كما مـــزّق جلبابَه الخليعُ الغوىٌّ

قد طواها التسويق والشد حتى هى قبٌّ كأنهن القسىٌّ

هربت في رؤوسهن عيونٌ غائراتٌ كأنهن الركىٌّ

وقال أيضاً: كأن آثارَ أظلاف الظباء به ودعٌ يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ماقيل فى الكلب وبليغه قول أبى نواس :

كأن لحييه على افتراره(٢) شك مسامير على طواره

---

(١) فى الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتراره» .

طواره : نواحيه .

سمعٌ(١) إذا استروح لم يعاره · إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره · افت المشير موهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره (٢) · خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخدى ميسان المنكب · يشبُّ في القودِ شبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بحد المخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى من سعة جلده يميس منكبه. ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابهِ · موسى صناعٍ رُدَّ في نصابهِ
تراه في الحضرِ إذا هاهابه · يكادُ أن يخرجَ من اهابِه

أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايغال باقية · حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يُزجيها على شياتها · شمّ العراقيبِ مُؤنفاتها
مفروشة الأيدى شرنبثاتها · مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها · غرّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبّاتها · ذل المآخير عملساتها (٣)
لتفثأ الأرنب عن حياتها · ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

---

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في احضاره) . (٣) في الأصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الاطواقِ ضواحك من سعة الأشداق

وقال في شدة عدو الكلاب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس * كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ماقيل في شدة العدو قول الأحمر في الثور :

وكأنما جهدت أليتهُ ان لا تمسَّ الأرضَ أربعهُ

ومن جيد وصف السرعة قول الحماني :

يبادرُ الناظر وهو يبدرُهْ كأنّ من يُبصرُهُ لا يبصرُهْ

وقال الأصمعي وأحسن ماقيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور :

ترى طرفيهِ ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عُودُ النبعةِ المتتابعُ

ينامُ باحدى مُقلتيهِ ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب :

أطلس يخفي شخصهُ غبارُهْ في فمهِ شفرتهُ ونارُهْ

هو الخبيث [1] عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه عن أبي عمرو قال : رأيتُ باليمن غلاماً من جَرْم ينشدُ عنزاً فقلت له صفها ياغلام فقال : حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين غثرة الدهسة وقنو الدبسة سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنمتيها تتوا قلنسوة يالها أم عيال وثمال مال . الحسراء : التي قل شعر مقدمها ، والشعراء : التي قد كثر شعرها ، والغثرة غثرة كدرةٌ ، والدهسة لون الأرض ، والقنو شدة الحمرة ، والدبسة حمرةٌ كدرةٌ ، والسجحاء السهلة الخدين ، والخطلاء الطويلة الأذنين المضطربتهما ، والفقساء المتباعدة بين طرفي القرنين ، والصورُ : القرن .

(١) في النسخ غير منقوطه فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث عينه فراره : تعرف الخبث في عينه إذا أبصرته » . وفي النسخ « عيبه » بالباء وهو تصحيف .

والزنمتان اللحمتان الملقتان تحت حنك الشاة (١) ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذنب مثل الشواء يمده ومتن كمتن القوس أعوج متأد
طواه الطوى حتى استمر مريره فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضقض عصلاً في أسرتها الردى كقضقضة المقرور أرعده البرد
عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأتبعته أخرى وأضللت نصله بحيث تلوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره في الفيل :

أجرد كالعود طويل النابين بعيد ما بين محط الرجلين
ينفض أذنين كفضلي بردين

وقال ابن الرومي فيه :

ولا أعضل النابين حامل مخطم به حجن طوراً وطوراً به فمم
يقلب جثماناً عظيماً موثقاً يهد بركنيه الجبال اذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه إذا أعمل النابين في الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

في ذكر الطيور

مما جاء من منثور الكلام في وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين عاجى

---

(١) قال المحبي في جنى الجنتين في تمييز المثنيين « الزلمتان هنتان تكون للمعز في حلوقها ، فان كانتا في الأذنين فهما زنمتان بالنون » ولم يخصص في القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين [١] سبجي الجناحين كأنما خطا بقلمين دري الدفتين فضي الحقيبة والبطن والكشحين أرجواني الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافي والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب الهامة ذكي الحركة بعيد الدرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أُريد حرمي الطرق عاجي المنقار أغنَّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق قرطاسيّ الدفتين سبجي الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أوشربتا عندماً وكأن عينيه جمرة ورأسه زُبدة . وقلت في حمام أبلق :

ومُتفقات الشكل مُختلفاته	لبسنَ ظلاماً بالصباح مرقّعا
أخذنَ من الكافور أنفاً ومنسراً	وخضبن بالحناءِ كفاً وأصبعا
وتدنو بأبصارٍ إذا ما أدرتها	جلونَ عقيقاً للعيونِ مرصعا
تطيرُ بأمثال الجلام كأنها	جنادلُ تدحوها ثلاثاً وأربعا
تبوع [٢] بها في الجوّ من غير فترة	كأن مجاذيفاً تبوعُ بها معا
إذا هيَ عبّت في الغدير حسبتها	تزقُّ فراخاً في المغادر جُوّعا

وقال بعضهم في عين العقعق :

يُقَلِّبُ عينين في رأسهِ　　كأنهما نقطتا زئبق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كأن الديكَ ديكُ بني نميرٍ　　أميرُ المؤمنين على السرير

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

---

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره ـ كما في جنى الجنتين للمحبي .

(٢) أي تسرع .

صفّق إما ارتياحةً لسنى الصبح وإما على الدُّجى أسفا

وقال ديك الجن :

أوفى بصبغ أبى قابوس مفرقهُ كدُرَّةِ التاج لما عُلِّيت شرفا

وقوله « صبغ أبى قابوس » يعنى شقائق النعمان ، وهذا كلامٌ بعيدُ المتناول ظاهر التكلف . وقلتُ فيه :

مُتوَّجٌ بعقيقٍ مقرطٌ بلجينِ عليه قرطقُ وشيٍ مُشمّرُ الكفين

قد زيّنَ النحر منه ثنتان كالوردتين حتى إذا الصبحُ يبدو مُطرّزُ الطرّتين

دعا دُعاءَ طروبٍ مُصفقُ الكفين يزهى بتاج وطوقٍ كأنه ذو رعين

وقال السرى الرفاء :

كشفَ الصباحُ قناعَهُ فتألقا وسطا على الليل البهيم فأطرقا

وعلا فبشرَ بالصباح مُدرّعٌ بالوشى تُوّج بالعقيق وطُوّقا

مُرخى فضول التاج في لَبّاته ومُشمرٍ ثوباً عليه منمقا

وقال ابن المعتز :

وقامَ فوقَ الجدارِ مُشترفٌ كمثل طرف أعلاهُ أسوارُ

رافعُ رأسٍ طوراً وخافضهُ كأنما العرفُ منه منشار

ومن أجود ما قيل في وصف النعام قول عدّى بن زيد :

ومكانٍ زعلٍ ظلمانهُ كرجالِ الحبُشِ تمشى بالعمد

فقال شبّه أعناقها إذا مدت بالعمد. ومن أحسن تشبيه أخذه العمانى :

كأنها حين مدت عنقها حرقا سُودُ الرجالِ تعادى بالمزاريق

وكان ينبغى أن يقول « مدت أعناقها » والذى قال ردىءٌ ، وقد جاء مثله .

وقال ابن أبى عيينة :

ياجنةً فاتت الجنانَ فما تبلغها قيمةٌ ولا ثمن

ألفتُها فاتخذْتها وطناً إنَّ فؤادى لحبها وطن

أنظر وفكر فيما تطيفُ به ... إنَّ الأريبَ المفكر الفَطِن
من سفنٍ كالنعام مقبلةٍ ... ومن نعام كأنها سُفُنُ

ومثله قوله :

زر واديَ القصرِ نعم القصرُ والوادي ... وحبذا أهلهُ من حاضر بادي
ترقى قراقيرُهُ والعيسُ واقفةٌ ... والضبُّ والنونُ(١) والملاحُ والحادي

وقول الآخر :

كأنّ بالسهب على خربائه ... عرشاً يجر الريحُ في قصبائه
يضحك جنُّ الأرضِ من نجائه ... كأنّ قوسَ الغيم من ورائه

يعني الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاختة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنّها ... تُعلُّ مع الاشراق راحاً مُفلفَلا

ويروى « تُعل رحيقاً في الغُصون مُفلفَلا » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها ... تجللُ من جلدِ السحابةِ مفصلا
بدَتْ تجتلي للعينِ طوقاً ممسكاً ... وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلا
لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما ... تُقَشِّرُ طلعاً أو تجرِّدُ منصلا
اذا حلقت في الجوّ خلتَ جناحها ... يردُ صفيراً أو يحرك جُلجلا

وقال أبو نواس في حُباريات :

يَخطرنَ من برانس قُشوب ... من حبرٍ عُولينَ بالتذهيب
فهن أمثال النصارى الشيب

وقلتُ في قبجة (٢) :

أهديتها كالهدىّ آنسة ... وهي سليلُ النواشزِ النفرِ
تلبسُ سمُّورةً مُشمّرةً ... تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرها ... فضمَّ لبَّاتها مع الثغر

---

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

تخطرُ في حلة مُصَدرةٍ كأنّ أكمامها من الحِبَرِ
واحمرّ منقارُها ومنخرها تفتُّح الوردِ في ندَى السحرِ
كأنّها حينَ نقط قرطمها تضربُ ياقوتةً على دُرَرِ

وقال أبو نواس في طير الماء :

كأنما يصفرنَ من ملاعق صرصرة الاقلام في المهارق

ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

يصفرُ أحياناً إذا لم يهزج من مثل حرفِ المجدح المغنج

المجدح : مايجدح به السويق ، والمغنج : المعطف .

وأحسن ماشُبِّهَ به ذلك قول بعض الاعراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

يضربنَ أحناكاً إلى الماءِ كأنها لبيقٌ كمفروج المناقيشِ أسجح

لبيقٌ : أي رفيق بذلك حاذق به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ، والمفروج : المفتوح مابينه . وقلتُ في الخطّاف :

وزائرة في كلِّ عامٍ تزورنا فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها
تخبرُ (١) أنَّ الجوَّ رَقَّ قميصهُ وأنَّ الرّياضَ قد توشّى ازارها
وأنَّ وُجوهَ الغُدرِ راقَ بياضها وأنَّ وجوهَ الارضِ راعَ اخضرارها
تحنُّ الينا وهي من غيرِ شكلنا فتدنو على بُعد من الشكل دارها
فيعجبنا وسطَ العراصِ وقوعُها ويؤنسنا بينَ الديارِ مطارُها
أغار على ضوءِ الصباح قميصها وفازَ بألوانِ الليالي خمارُها
تصيحُ كما صرّت نعالُ عرائس مَشت اليها هندها ونوارها
تجاورُنا حتى تشبَّ صغارُها وتقضي لباناتِ النفوسِ كبارها

ولم أسمع في ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبة حنّتْ الى أوطانها جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبلِ

---

(١) في النسخ مهملة من النقط .

فرشتْ جناحَ الآبنوس وسطّرتْ بالعاج فيـهِ وقهقهتْ بالصندل

وقلت فى أصواتها :

أياعجبـاً من آنس لك نافرٍ يُعاوِدُ وصلاً وهو فىحالِ هاجرِ

يزور على بُعدِ المكان ولم يُرِد وصالاً فقل فى زائرٍ غـيرِ زائر

له فى الذُّرَى شذرٌ يمُرُّ وينثنى كما حرَّك الكعبين كفُّ مُقامِر

وهذا معنى لم أسبق اليه . وقال أبو نواس فى أصوات الخطاف :

كأنّ أصواتها في الجوّ طائرةً صوتُ الجلام إذا ماقصت الشعرا

وقال ابن المعتز فى البازى :

فارسُ كفٍّ مائل كالأسوار ذو جُؤجُؤ مثل الرخام المرمار

أو مصحفٍ منمنم بأسـطار ومقـلة صفراء مثـل الدينـار

يرفع جفناً مثل حرف الزُّنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل فى منسر البازى قول أبى نواس :

ومنسر أكاف فيه شيئا كأنه عقـد ثمـانينا

وقال ابن المعتز في عين البازى وأجاد فيـه :

ومقلةٍ تصدقهُ إذا رَمقْ كأنها نرجسةٌ بلا وَرَقْ

وقال أبو نواس :

فيهامةٍ علياء تهدى[1] منسراً كعطفـة الجيم بِكفٍّ أعسرا

وقال ابن المعتز فى بُزاة :

وفتيان غـدوا والليـلُ داجٍ وضوءُ الصبح متهمُ الطلوع

كأن بُزاتهم أمراءُ جيشٍ على أكتافها صدأ الدُّروع

وقال فى عين البازى ٭ كأنها في الرأس مسمار ذهب ٭

---

(١) فى الأصل « غلباء تهذى » .

وقال أيضاً : ومنسر عضب الشباه دام كعقدك الخمسينَ بالابهام
وخافق للصيد ذى اصطلام ينشرهُ للنهض والاقدام
كنشرك البردَ على المستامِ

وقال أيضاً : ذى جؤجؤٍ محبر موشىِّ ومقلةٍ تلحقُ بالقصىّ
كأنها دينارُ صيرفىّ واتصلت براته القُوهىّ
صاف كغصنِ الذهبِ المجلىِّ

وقال أيضاً : أقمر من ضرب بزاة قُمرِ يصقل حملاقاً شديد الطحر
كأنه مكتحل متبر فى هامةٍ مثل كلم الفقر
تريح ان راح لأمرٍ بهر من منخرٍ رحبٍ كعقدِ العشر

وقلت في الصقر :

وصلتان فلتان أعـر كأنه إذا هوى للأعفر
مُعتبرٌ يهوى الى مزعفرِ بأبيض من البزاة أقمر
منمنم الصدرِ كصدرِ الدفتر بمثل اهداب جفون الاحور

وقلتُ : بصلتانٍ سلطٍ جسورِ تخالهُ فى مفصل مزرور
ضمَّ جناحيهِ على سمور معوّج المنسرِ والأظفور
كالجيم فى منقطع السطور

وقلت فى عصفورة يقال لهـا السقا :

ومفتنَّـة الألوانِ بيض وجوهها وحمر تراقيها وصفر جنوبها
كأنّ دراريعـاً عليها قصـيرة مرقعة أعطافها وجيوبها
تعـدلُ ألوان الأغانى كأنمـا تعدل أوزان الأغانى عريبها
تسامُ استقاءً فى المشاء إذا عرى وعطلَ أيام المصيف ذنوبها

وكان الأصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح فى صفة الظليم مجتاب . وقلتُ في بلابل :

مررتُ بديكٍ القمص سودِ العمائم ... تفى على أعرافِ غيدٍ نواعم
زُهينَ بأصداغ تروقُ كأنها ... نجومٌ على أعضادِ أسود فاحم
ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ مآخر ... لها ولجيناً بطنه بالمقادم
فياحسنَ خلق من نضارٍ وفضة ... وخز وديباج أحمّ وقاتم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى ذكوان وأبى خليفة عن التوزى قال قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الأصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا أحسن ماقيل فى وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشىء فقال الأصمعى أحسن ماقيل فيها:

باتتْ يورِّقها في وكرها سَغبٌ ... وناهضٌ يخلس الأقواتَ من فيها

وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً ... لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى

فقال الرشيدُ مابعل [1] القوم بشىء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .

وقال آخر فى الغُراب :

وجرى ببينهم غداةَ تحملوا ... من ذى الأبارقِ شاحجٌ يتفندُ
شنج النسا خرقُ الجناح تخالهُ ... فى الدارِ إثر الظاعنينَ مُقَيد

وقال آخر فى عقعق :

إذا باركَ اللهُ فى طائرٍ ... فلا باركَ اللهُ فى عقعق
طويل الذنابى قصير الجنا ... ح متى مايجد غفلةً يسرق
يُقلِّب عينينِ فى رأسهِ ... كأنهما قطرتا زئبق

وقال آخر فى الزنابير :

لهـا حماةٌ كأنها شعر ... تظهرُ مسودَّةً وتستترُ
قد أذهبت فى الجبينِ غرَّته ... إذ فضَّضت فى جيادنا الغرَرَ

وقلت فى ظبية داجنة وقمارى :

(١) بعل بأمره كفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر مايصنع ،

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ ... تومى بناظرها إلى ظمياء
تختالُ فى متصندلٍ متكفر ... تبراً أضرَّ بفضةٍ بيضاء
ودقيقة الأطرافِ وهى جسيمةٌ ... ريّا تمرمر فى متونِ ظماء
ومغنيات من وراءِ ستائرٍ ... مشقوقة الأوساط والاحناء
غنَّتْ فلم تحوج إلى مشهورة ... وشَدَتْ فلم تفتقر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهن أهلةٌ ... سودٌ تبدل ظلمة بضياءِ

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(فى ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث وما يجرى مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم فى وصف قنفذ : قد أتحفتك ياسيدى بعلق نفيس يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر فى أوصافه ويتبلد المعتبر في آياته فما تعرف بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حى سلاحه فى حضنه ورام سهامه فى ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط أكنافه وهى أمضى من الأجل وأرمى من ثعل ان رأته الأراقم رأت حينها أو عاينته الأساود عاينت حتفها صعلوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجبن فى حنادسه ــ شعر :

كمغشم الفتيان غير مهبل ... سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدلدل سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حثاثا بات بليلة الأنقد ، وذكره الشيهم وهو الشيظم وأنثاه عيمة معرفة لايدخل الألف واللام عليها كنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفس مآكلها وأفخر مطاعمها حتى تراه أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الاعراب انه من مراكب الشيطان وهو ألطفُ من الفرس حسّاً وأصدق سمعاً وقد جاء في المثل (أسمع من قنفذ) ومن أوابده أنه يَسود إذاهرم ويصير كأبر مايكون من الكلاب وأعظم ويشبَّهُ به ركب المرأة عقب النتف والنورة ولذلك قال ابنُ طارق في أرجوزة له :

يصيرُ بعدَ حلقهِ ونورتهْ ... كقنفذِ القفِّ اختبي في فروته

ويُشبَّهُ الساعي والنمام به لخبثه ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :

كقنفذِ الرملِ لاتخفى مدارجُهُ ... خبٌّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم

وقال عبدة بن الطبيب (١) :

قومٌ إذا دَمسَ الظلامُ عليهم ... حدجوا قنافذَ بالنميمة تمزعُ

وقال جرير :

يَدبّون حَوْلَ ركياتهم ... دبيبَ القنافذِ فى العرفج

فخذه ياسيدى ممتّعاً واقبله شاكراً برّى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى فى حفظه واسأله إطالة عمره وهو حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرّة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهانى قال فيها :

أرقتْ مُقلتى لحبِّ عَرُوس ... طفلةٍ فى الملاح غيرِ شموس

فتنتنى بظلمةٍ وضياءٍ ... إذ بَدَتْ لى كالعاج فى الابنوس

---

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذى شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقّ الظلامَ من مُقلتيها بشعاع يحكى شُعاعَ الشموس

ذات دَلّ قصيرة كلما قا مت تهادى طويلة فى الجلوس

لم تزل تسبغُ الوضوءَ وتنقى كلَّ عضوٍ لها مس التنجيسِ

دأبها ساعةَ الطهارةِ دفنُ الـعنبرِ الرَّطبِ فى الحنوط اليبيس

ومن أجود ماقيل فى الحيّة قول النابغة :

صِلٌّ صفا لاينطوى من القصَرْ طويلةُ الاطرافِ من غير خَفَرْ

مهروتةُ الشدقين[1] حولاءُ النظَرْ تفترُّ عن عُوجٍ حِداد كالابَرْ

داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خُلقت لهازمة عرين ورأسهُ كالقرص فطح من دقيقِ شعير

فكأنَّ شدقيه إذا استعرضته شدقا عجوز مضمضت لطهور

وأجاد خلف فى قوله :

ثم أتى بحيَّةٍ ماتنجحى أبتر مثل بيذقِ الشطرنج

وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنني ساورتنى يومَ بينهم رقشاءُ مجدولة فى لونها باق

كأنها حين تبدو من مكامنها غصنٌ تفتح فيهِ النورُ والورق

ينسل منها لسانٌ تستغيثُ به كما تعوَّذَ بالسَّبابةِ الغَرِقُ

وقوله أيضاً :

أنعتُ رقشاء لايحيى لديغتها لوقدها السيف لم يعلق به بللُ

تلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كمُّ درع قدَّهُ بطل

وقلت : وخفيفة الحركاتِ تقترع الرُّبى كالبرقِ يلمعُ فى الغمام الرائح

منقوطة تحكى بطونَ صحائف ابانَ تبدو من بطونِ صفائح

ترضى من الدنيا بظلّ صخيرةٍ ومن المعايش باشتمام روائح

---

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعم واكتفت بالنسيم .

وقال اعرابي :

وحنش كحلقة السوارِ غايتهُ شبرٌ من الاشبار
كأنهُ قضيبُ ماءٍ جاري يفترُّ عن مثل تلظي النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعني برقيته سواه

وقال أبو العباس ثعلبُ يُقالُ انه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد :

كأنما لسانُه على فيه دخانُ مصباح ذكت ذواكيه

وقال عبد الصمد بنُ المعدل في العقرب :

يارُبَّ ذي إفك كثير خُدَعه يبرُزُ كالقرنين حين يطلعه
في مثل ظهر السبت حينَ تلطمه أسود كالسبحة فيه مصبعه
لا تصنعُ الرقشاءُ مالا تصنعه

وقلتُ فيها أيضاً :

وإذا شتوتُ أمنت لسعة عقرب كالنارِ طارت من زنادِ القادح
قد خلتها تمشي بسبحة عابد كلا اقد تمشي بصعدة رامح

وقال آخر: يحملُ رُمحاً اذا كعوبٍ مُشتهر فيه سِنانٌ كالحريق يستعر
انفَ تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنف القوس شُدَّت بالوتر

ومن أحسن ماقيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالعظاة تأتى شجرة بالتنضبة فتمسكُ بيديها غصنين منها وتُقابلُ الشمس بوجهها فكلما زالت عين الشمس عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح في الأرض وترتعُ قال أبو دواد :

إني أتيح لها حرباءُ تنضبة لايرسلُ الساقَ إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزمُ من الحرباء لانها لاترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشبّه به الرجلُ الحصيف [1] الذي لا يترك سبباً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة ورقيبها :

مابالها قد حسنت ورقيبها   أبداً قبيحٌ قبّح الرقباء
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى   أبداً يكونُ رقيبها الحرباء

وقال بعض العلماء : الحرباء فارسيّةٌ معرّبةٌ وأصلها خورباء أى حافظ الشمس ، وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرُّمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودَوّيّةٍ جرداء جدّاء خيّمت   بها صبواتُ الصيفِ من كل جانب
كأنّ يدى حربائها متمسكاً   يدا مُذنب يستغفرُ اللهَ تائب

وقال أيضا : وقد جعل الحرباء يصفرُّ لونهُ   ويخضرُّ من حرّ الهجير غباغبه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه   أخو فجره أوفى به الجذع صالبه

وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلا   على الجدل إلا أنه لا يُكبّر
إذا حوّلَ الظلَّ العشيُّ رأيته   حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّر

وهذه تشبيهاتٌ مصيبة عجيبةُ الاصابة دالةٌ على شدة الحذق وثقوب الذهن ، وقد أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمهٍ فيه بيضاتُ القطا كِسرا   كأنها فى الأفاحيصِ القواريرُ
كأنّ حربائها والشمسُ تصهرُه   صال لنا من لهيب النار مقرور

وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلا أنّ للأوّل ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ماقيل فى الضب قول الحمانى :

ترى ضبّها متسعاً رأسه   كما مدّ ساعِده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردِ الوشىّ   وبطنٌ كما حسر الاصلع
هو الضبُّ مامَدّ سكانه   فاذ ضمّه فهو الضفدَع

ومن أجود ماقيل فى البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

(١) فى نسخة « الخصيف » وفى أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ماأثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتْ أصواتها وأخـذَ اللحنَ مُغنياتها
لم تُطرب السامع خافضاتها وأرّقَ العينين رافعاتهـا
صغـيرةٌ كبـيرةٌ أذاتهـا يقصر عن بـُغـيتها بُغاتها
ولا يصيب أبداً رُماتهـا رامحـة خرطومهـا قناتهـا

وقال آخر : * غنـانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بليـلٍ كلهُ لم أطرفِ قِرقسهُ (١) كالزيبر المنتّـف
يثقبُ الجـلدَ وراء المطرفِ حتى ترى فيه كشكل المصحف
أو مثل روس العصفر المندّف

وقلت : غناءٌ يسخنُ العينَ وينفى فَرَحَ القلبِ
ولا يأتى على الزمرِ ولا يجرى مع الضرب
غنـاء البـقّ بالليــلِ ينافي طرَبَ الشرب
إذا ماطرَقَ المـرء جرى فى طلق الـكرب
نحيفٌ راح كالشنّ ولـكن بات كالوطب
إذا مانقبَ الجـلدَ ةَ أخفى موضعَ النقب
سوى حمرٍ خفياتٍ تحا كي نقطَ الـكتب

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيـه إلاقول عنترة فى الذباب فانه لم يتعرض (٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغنى وحـدَهُ زجلاً كفعل الشاربِ المترنم
هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعهِ فعلَ المـكبّ على الزنادِ الأجذم

وقلت : وبدا فغنانى البعوضُ مُطرباً فهرقتُ كأس النوم إذ غنانى
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعى نقطَ المعلم مُشكلَ القرآن
حتى إذا كشفَ الصباحُ قِناعَه قرأتْ لىَ الذّبانُ بالالحان

---

(١) القرقس بالـكسر : البعوض . (٢) فى الاصل «لاتعرض» .

وكتب أبو القسم الآمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام ساباط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان فى هذا الوقت شيخ كان يخلفنى ويخلف من كان يلى الديوان قبلى يُعرَفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلتَ هذا نوح النبي ﷺ سمتاً ووقاراً وليس له عمل خلف سلّته إلا الصيد الذبانِ فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرّ به ذبانَ يطير عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكر وهذا أنثى وهذا ربيعى وهذا صيفى وهذا مُليح وهذا لجوج يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلسّاع وهذا يقع على الأقذار وهذا نَزِه عيوف لا يقع إلا على المآكل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق ـ وهو العنكبوت الطويل الأرجل ـ وهذا يسفد وهو يطير وهذا لايسفد إلا واقفاً وهذا مما يدخل رأسه فى رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الاكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كحل عمى من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هَزِج مغنٍ وهذا صموت وهذا يُنذِر وهذا يُبشّر بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يَعِدُ ويُوعِدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسنا فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر في باب الذُباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هُنالك ففاتحته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذُباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ماقيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيالعبادِ الله مالقبيلةٍ إذاظهرت فى الأرضِ شدّ مُغيرها

فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ولا ذو سلاح من معدٍّ يضيرُها

وقال آخر :

هنيئاً لأهلِ الرّيِّ طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرّيِّ يحيى بنُ خالدِ

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاقرت ... براغيثها من بينِ مثنى وواحدِ
ديازجةٌ سودُ الجُلودِ كأنَّها ... بغالُ بريدٍ أرسلتْ في المزاود

وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصري ... كأنَّ جفنيَّ عن عيني قصيرانِ
يطلبنَ مني ثأراً لستُ أعرفهُ ... إلا عداوة سودانٍ لبيضانِ

وقد شكاهن الرماح الأسدى فأحسن في قوله :

تطاولَ بالفسطاط ليلي ولم يكن ... بجنو الفضا ليلى عليَّ يطولُ
يؤرقني حُدبٌ صغارٌ أذلةٌ ... وانَّ الذي يؤذينهُ لذليلُ
إذا ماقتلناهنَّ أضعفنَ كثرةً ... علينا ولا ينعى لهنَّ قتيلُ
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وليس لبرغوثٍ إليَّ سبيلُ

وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمي ... خلت في كلِّ موضع منهُ خالا

وأما القمل فأعجب ماقيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ ... من بين مقتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنَّ إذا علونَ قميصهُ ... فردٌ وتوأمُ سمسمٍ مقشورِ

وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصيبانَ عاكفةً عليهِ ... كمنفقة الفرزدقِ حين شابا

وقلتُ في النمل :

وحيٍّ أناخوا بالمنازلِ باللوى ... فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدَّارِ ظلتْ كأنَّها ... تبددُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذا طرقوا قدري مع الليلِ أصبحت ... بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يُمنى ويُسرى إذا مشوا ... كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كمينا
ويمشون صفاً في الدِّيارِ كأنَّما ... يجرّونَ خيطاً في التراب مبينا
ففي كلِّ بيت من بيوتيَ قريةٌ ... تضمُّ صنوفاً منهمُ وفنونا

فيا مَنْ رأى بيتاً يضيقُ بخمسةٍ   وفيهِ قرِّياتٌ يَسمنَ مئينا

قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرّ قول بعض القدماء :

به البقٌّ والحمى وأسدٌ خفيّةٌ   وعمرو بنُ هند يعتدي ويجورُ
وبالمصر برعوثٌ وبقٌّ وحصبةٌ   وحُمى وطاعونٌ وتلك شرور
وبالبدوِ جُوعٌ لا يزالُ كأنّهُ   دُخانٌ على حدِّ الأكامِ يمورُ
ألا أنّما الدنيا كما قالَ ربّنا   لأحمدَ حُزنٌ تارةً وسرورُ

وقلت في الجراد :

أجنحةٌ كأنها أرديةٌ من قصبِ   لكنها منقوطةٌ مثل صدورِ الكُتبِ
وأرجل كأنّها   مناشرٌ من ذهب

وقلت : وأعرابيةٍ ترْتادُ زاداً   فتمرقُ من بلادٍ في بلادِ
غدت تمشي بمنشار كليل   تبوعُ به قرارةَ كلِّ وادي
وتنشر في الهواء رداءَ شرب   على أرجائه نقطُ المدادِ
وتلبسُ تحتَ ذاك عطاف لاذ   على أكنافه ودع الجساد

ومن عجيب ماقيل في الفأر ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن الرياشي قال دخل اعرابيّ البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك :

عجل ربُّ الناس بالعقاب   لعامراتِ البيتِ بالخرابِ
كحل العيونِ وقص الرقابِ   مجردات أحبل الأذنابِ
مثل مدارِ الطفلةِ الكعابِ   كيف لها بأنمر وثاب
مُنهرت الشدو حديد الناب   كأنما يكشرُ عن حرابِ
يفرسها كالأسدِ الوثّابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتنفه وراهنه فجعل لنا في أنفسنا مواعظ وفى أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يُرديننا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شيبة لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغيير الحدثان إيانا حمداً تتألف أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثى)

والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الاعرابى يقولُ لا أعرفُ في التفجع على الشباب وفى ذم الشيب أحسن من قول أبى حازم الباهِلى على قُرب عهده :

لا تكذبنَّ فما الدُّنيا بأجمعها ... من الشبابِ بيوم واحدٍ بَدلُ

شَرْخ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ... ما جدَّ ذِكرك إلا جدَّ لى ثكلُ

كفاك بالشيب ذنباً [1] عندَ غانيةٍ ... وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ

---

(١) فى نسخة « كفاك بالشيب عيبا » .

وأحسن منه عندى قول منصور النمرى[1] :

ما تنقضى حسرةٌ منى ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجَعُ
بانَ الشبابُ ففاتنى بشِرَّتهِ[2] صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدَعُ
ما كنتُ أوفي شبابى كنهَ غِرته حتى انقضى فاذا الدنيا لهُ تبع

قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه ، وسمعه الرشيد فقال نعم لاخيرفى دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب .   وقال محمود الوراق :

لايحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش قبلَ الثلاثينَ يُستطاب

وقال غيره :

فقالتْ وهل بَعدَ الثلاثينَ مَلعب فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ ملعبُ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحى قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل ذلة .   وقال ابن المعتز :

لهفى على دَهر الصبا القصيرِ وغُصنهِ ذى الوَرَقِ النضيرِ
وسُكرهِ وذَنْبهِ المغفورِ وَمَرَحِ القلوبِ فى الصُّدورِ
وطولِ حبل الأملِ المجرورِ فى ظلِّ عيشٍ غافلٍ غريرِ
أغدو وجنىّ الصبا أميرى ملء العيونِ الغانياتِ الحورِ

وقال الحمانى :

وأيامهُ الغُرُّ مثل الخطوطِ فى المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

---

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شِرة الشباب : نشاطه ، وفى الأغانى (بلذته) .

ليالىَ أنت جُذيل الصِّبا   وأيامه وعُذيق الغوانى

وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغوانى   كالسوادِ من القلوبِ

فاذا استطعنَ خبأنى   بين المخانقِ والجيوب

وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع   فاحزنْ فلستَ بمثلِه مفجوعا

وقال يصف نفسه فى شبيبته :

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى   كقضيبِ بانٍ ناعمٍ رَطْبِ

فاذا رأتنى عينُ غانيةٍ   قالتْ أوابدُ طرفها حسبي

ونحوه قوله : إذا ما مشت فى عين خريدة   فليست تخطَّانى الى من ورائيا

وقال أعرابى : سقى اللهُ أياماً لنا ولياليَاً   لهنَّ بأكنافِ الشبابِ ملاعبُ

إذ العيشُ غضٌّ والشباب بغرة   وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وانما آتى بالبيت والبيتين لأنى أعتمد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو تحذلقت(١) في المعانى وأضفتُ الى كل شىء منها شكله وقرنتُ اليه مثله أو أكثرت من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلا فى حدّ الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما . وقلتُ فى معنى ابن المعتز :

تذكرُ إذ أنتَ قضيبٌ رطيب   عليه للحسنِ رداءٌ قشيبْ

خالطَ ماء الحسنِ فى وجههِ   ماء شبابٍ لم يَرقه المشيبْ

إذا مشى يخطر في بردهِ   غاير فيه الشكل حسن رطيبْ

كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضب   وأنتَ من بَعدُ قضيبٌ قضيبْ

فاللهو مُغبر مقادِيه   مُعفرُ الوجهِ حريبٌ سليبْ

---

(١) في الأصل (تحزقت)

خذ بنصيبٍ من سرورِ الصبا ... فما لشيخ من سُرورٍ نصيبْ

وأول من بكى الشباب وذمّ المشيب عبيد بن الأبرص فى قوله :

والشيبشينٌ لمن أمسى بساحته ... لله درُّ الشبابِ اللهه الخالى

وقال مُزاحم العقيلي [١] :

عزاء على مافاتَ من وصلِ خلّة ... وريق شباب سَلّهُ الشيبُ منجلى

ومثل لياليناا بحطمة فاللوى ... بلبينَ وأيام قصار بمأسل

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكانَ غضاً ... كما يعرى من الورَقِ القضيب

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَهُ بما فعلَ المشيب

وقال : قوامٌ كما شاءَ المشيب معوجٌ ... ووجهٌ كما لا تشتهيه مُشنج [٢]

وفرع جلاه الشيبُ حتى كأنما ... تغشّاه معروفٌ من الصبح أبلج

وعهدى به بالأمس جوناً كأنما ... تجلّله عرفٌ من الليلِ أدعج

ليالىَ جاءتك الليالى عرائساً ... تَروق وتصبى أو تضوع وتأرج

حسان الوجوه كالرياضِ أنيقة ... تحيطُ لها كفُّ الغمامِ وتنسج

رِقاقُ جلابيبِ النسيم أريجةٌ ... لها نكهةٌ كالمسك ابّانَ يمزج

وقال رُؤبَة وأحسن فى ذلك :

كرَّ الجديدانِ بنا وانطلقا ... ولا يجدّانِ إذا ماأخلقا

---

(١) شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذوالرمة فسأله كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله .

(٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشبابَ أنفقا والشيب لا سوقَ له ان سُوّقا

وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيضٌ لها في مَفرِقِ الرأسِ انتشار

جديدٌ واللبيس(١) أعزُّ منه وأحرَى أن ينافسهُ التجار

وقد أحسن الفرزدق فى قوله :

وفى الشيبِ لذاتٌ لخادع نفسهِ ومن قبلهِ عيشٌ تعلل جادبه

ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :

ومنازل لك بالحمى وبها الخليطُ نزولُ

أيامهنَّ قَصيرةٌ وسُرورُهنَّ طويل

وسعودُهنَّ طوالع ونحوسُهنَّ أفول

والمالكية والشبا ب وقينةٌ وشمول

ومن أبلغ ماقيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددتُ بياضَ السيفِ يومَ لقيننى مكانَ بياضِ الشيبِ حَلّ بمفرقي

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب فى قوله :

فأصغرى أنّ شيباً لاحَ بى حدثاً وأكبرى أننى فى المهدِ لم أشب

لاتنكرى منه تجديداً تجلله(٢) فالسيف لا يزدرَى ان كان ذا شطب

ولا يروعنك ايماض القتيرِ به فانّ ذاك ابتسامُ الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجومُ مَشيبٍ في ظلام شَبيبةٍ وماحسنُ ليلٍ ليسَ فيهِ نجوم

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا يَرُعْكِ المشيبُ ياابنةَ عبد الله فالشيبُ زينةٌ ووَقار

انما تحسنُ الرياضُ إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار

وقال الخوارزمى ـ متأخّر :

---

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تخديداً تخلله» .

وقالوا أفقْ من سكرةِ اللهو والصبا ... فقد لاحَ صبحٌ في دجاك عجيب

فقلت لهم كفُّوا الملامَ وأقصروا ... فانَّ الكرَى عندَ الصباح يطيب

وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير فى قوله :

يقولُ العاذلاتُ علاكَ شيبٌ ... أهذا الشيبُ يمنعنى مراحى

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومى حيث يقول :

لاحَ شيبي فرحتُ أمرحُ فيهِ ... مَرَحَ الطرفِ فى العذارِ المحلى

وتولى الشبابُ فازددت غيًّا ... فى ميادينِ باطلى اذ تولّى

إنَّ من ساءَهُ الزَّمانُ بشيءٍ ... لأَحَقُّ امرىءٍ بأن يتسلى

وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلّ بياضُه ... بمفرَقِ رأسى قلتُ للشيب مرحبا

ولوخلتُ أنى إن كففتُ تحيتى ... تنكبَ عنى رمتُ أن يتنكَّبا

ولكنْ إذا ماالكرهُ حلَّ تسامحتْ ... بهِ النفس يوماً كان للكرهِ أذهبا

وفى ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومى متوازنة اللفظ والمعنى مع اصابة تشبيهه فى قوله * مرح الطرفِ فى العذار المحلى *

وقد بالغ فى ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقةٌ فى الحياة تدْعى جمالاً (١) ... مثلَ ماسمّيَ اللديغُ سليما

غرّةٌ مرّةٌ (٢) ألا إنما كنــت أغراً أيامَ كنت بهيما

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى فى مشيبى ... فكيفَ تحبنى الخودُ الكعابُ

وقلت : فلا تعجبا أن يعبنَ المشيب ... فما عبنَ من ذاك إلا معيبا

إذا كانَ شيبى بغيضاً إلىَّ ... فكيفَ يكون إليها حبيبا

وقد كنت أرفل بردَ الشبابِ ... قشيباً وأرفل وشياً قشيبا

---

(١) فى ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيبا　　وإن صلت صلت قضيباً قضوبا

ومن مليح ماقيل فى الشيب وهزء النساء من صاحبه قول كشاجم :

ضحكتْ من شيبةٍ ضحكتْ　　في سوادِ اللمة الرجله

ثم قالتْ وهى هازلةٌ　　جاءَ هذا الشيبُ بالعجله

قلتُ من حبيك لا كِبر　　شابَ رأسى فانثنتْ خجله

وثنتْ جفناً على كحلٍ　　هى منه الدهرَ مُكتحله

أكثرتْ منهُ تعجُّبها　　وهي تجنيهِ وتضحكُ له

ومن مليح ماقيل فى ذلك وغريبه قول الآخر :

فظللتُ أطلبُ وصلها بتعطفٍ　　والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلى

وذكر مسلم بنُ الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقته إذا جاء فأحسن حيث يقول :

الشيب كُرهٌ وكُرهٌ أن يُفارقنى　　أحببْ بشيءٍ على البغضاءِ مودُودُ

فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكى للشيبِ ثم بكي عليهِ　　فكانَ أعزّ فقداً من شباب

فقلْ للشيبِ لاتبرح حميداً　　إذا نادَى شبابُك بالذهاب

ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك المشيبُ علىَّ مما　　فقدتُ من الشبابِ أشدّ فوتا

هذا البيتُ مُضطربُ اللفظ والرصف والصنعة فاعتبرهُ :

تمليتُ الشبابَ فكانَ شيباً　　وأبليت المشيبَ فصارَ موتا

وكان من تمام الصنعة أن يقول «أشدّ فقدا» لقوله «فقدت من الشباب» . وقلت :

والشيب زورٌ يجتوى وقربُه　　لا يرتضى وفقدُهُ لا يُشتهى

قد يشتهى كلَّ امرىء بلوغَه　　وقلَّ من يبلغه إلا شكا

كأنما الشبابُ كانَ فرقةً　　له من الأنفسِ حبٌّ وقِلى

وقد أجاد الأعرابى فى قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

نائب وأفجع آيب . وقلت :

تكلف مدحَ الشيبِ عندى مُعمَّرٌ ... وهل يمدحنَّ الشيبُ إلا تكلفا

فقلت انظرني أوّلا منه مؤملاً ... اقلب فتى أو آخراً منه مُتلفا

تصرّم من عمرى ثلاثونَ حجةً ... لبستُ بها ثوبَ الشبابِ مُطرّفا

شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيابُهُ ... وصرفُ زمانٍ لم أجد عنه مصرِفا

أقمت به صدرَ السرورِ فلم يَزَلْ ... به الشيبُ حتى ردّه مُتحنفا

فطر بجناحِ اللهوِ فى زمن الصبا ... فأخلق به إن شئت أن يتحيفا

تناولَ وخْط الشيب أطرافَ عارضى ... فأصبحَ ليلاً بالصباح مُشنّفا

ومن المشهور قول دعبل الخزاعى[1] :

لاتعجبي ياسلم من رجلٍ ... ضحك المشيب برأسه فبكى

ومما يحتج به المشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس فى ذلك :

ألا إنّ بعدَ الفقرِ المرء قنوةً ... وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبسا

وقال أعرابى : مابال شيخ قد تخدد لحمه ... أبلى ثلاثَ عمائم ألوانا

سوداء داجية وسحق مفوف ... وأجدّ لوناً بعد ذاك هجانا

قصر الليالى خطوهُ فتدانى ... وحنونَ قائمَ ظهره فتحانى[2]

والموت يأتى بعد ذلك كلّه ... وكأنما يعنى بذاك سوانا

لاأعرف فى وصف الشيب من أول مايبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا، وقوله (وكأنما يعنى بذاك سوانا) من أبلغ مايكون من الموعظة . وقلت :

وشبابٍ خفَّ نازله ... ليته عادَ كما كانا

ومشيبٍ آب نازله ... ليته إذ كان مابانا

---

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا ينتقموا منه .

(٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانني دهرٌ وثقت بهِ   رُبَّ موثوقٍ به خانا

وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرتُ شمسَ الشيبِ في ليلِ لمتي   لعمري لليلي كانَ أحسنَ من شمسي

كأنَّ الصبا والسمت يطمسُ نورهُ   عروس أناس ماتَ في ليلة العُرس

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحتري :

في الشيبِ زجرٌ لهُ لوكانَ ينزجرُ   وبالغ منهُ لولا أنه حجرُ

إبيض مااسودَّ من فوديهِ وارتجعت (١)   جلية الصبح ماقد أغفلَ السحر

وللفتى مُهلةٌ في الحبِّ واسعةٌ   مالم يمتْ في نواحي رأسهِ الشعر

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيبُ (٢) مختَطاً بفوديَّ خُطةً   سبيلُ (٣) الرَّدَى منها إلى النفسِ مهيع

هو الزورُ يجفى والمعاشرُ يُجتوى   وذو الالف يُقلى والجديدُ يُرقَّعُ

لهُ منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصع   ولكنهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ

ونحن نزجيهِ على الكرهِ والرضا   وأنف الفتى في (٤) وجههِ وهو أجدع

ومن أعجب ماسمعتُ في الخضاب قول بعضهم :

عجبتْ لما رأتني   غادةٌ مابين غيدِ

ضحكتْ إذ أبصرتني   قد تزينتُ لعيد

ثم نادينَ جميعاً   ياعتيقاً في جديد

غرَّنا منكَ خضابٌ   قد تراءى من بعيد

لاتغالطنا فما   تصلحُ إلا للصدُود

وقال ابن الرومي :

فدعتْهُ إلى الخضابِ وقالتْ   إنّ دفن المعيب غير معيب

---

(١) في الأصل (إرتجست) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا الهمّ) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذارٌ كمثلِ الاتحمى مطرّزٌ وفرعٌ كلونِ العبقرىِّ محبرُ
وقد كانَ من صبغ الشباب ممسكا فأصبحَ فى كفِّ المشيب مكفر
فقلْ للعذول أقصر الآن إننى على الرغم من أنف الصبابةِ مقصرُ
كفاك تكاليفَ الملام كواكبٌ من الشيب فى ليل الشبيبة تزهر
لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح فى وجه الدُّجنَّة يكشر

وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل [1] فى قوله:

ماشبتُ من كبرٍ ولكنى أمرؤٌ عالجت قرعَ نوائبِ الدهرِ
فرأيتها عضلا موقحة عزت فما تُستطاع بالكسرِ
فلذاك صرت معَ الشبيبة نازلا فى غير منزلتى من العمر

ومن أجود ما قيل فى تقارب الخطو قول أبى الطمحان:

حنتنى حادثاتُ الدَّهرِ حتى كأنى خاتلٌ أدنو لصيدِ
قريب الخطو يحسبُ من رآنى ولستُ مقيداً أنى بقيد

وقد أحسن الآخر في قوله أيضا:

الدَّهر أبلانى وما أبليتهُ والدَّهرُ غيرنى وما يتغير
والدَّهرُ قيدنى بقيدٍ مُبرم فمشيت فيه وكل يوم يقصر

وقوله «وكل يوم يقصر» من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقاصر الخطو فى كل يوم. ومن أعجب ماقيل فى الصلع قول الاعرابى:

قد ترك الدهر عصاتى صفصفا فصار رأسى جبهةً الى القفا
كأنما قد كان ربعاً فعفا يمسى ويضحى للمنايا هدفا

ومثله قول الآخر:

ثم حسرت عن صفاةٍ تلمع فأقبلتْ قائلةً تسترجع
مارأس ذا إلا جبيناً أجمع

---

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان، مخضرم معدود فى الفحول.

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهلِ الهوى قبح الجـلا　　جبين وجهٍ وجبينٌ فى القفا

وقال ابن الرومى فى معناه يهجو رجلاً يجذب طرّته من قفاه الى وجهه :

يجذبُ من نقرته طُرَّةً　　إلى مدًى تقصرُ عن نيله

فوجهُهُ يأخذ من رأسه　　أخذَ نهارِ الصيفِ من ليله

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى لخلف بن خليفة :

وقام إلى رأسهِ حاذقٌ　　فصيرَ من رأسهِ قرعه

يُريكَ بريقاً كطست الجلا　　بيض كما نصب الطامه

فما شوق عينى إلى قرة　　كشوق يمينى للصلعه

يكادُ وإن لم يردها الضمير　　تشوقُ الحليم إلى صفعه

فملنا عليهِ بأيمـاننا　　نسائله عن خبرِ الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذيّال على العقبِ جُثّتى　　إذا الصلعُ واروا هامهم بالقلانس

تودُّ النساء المبصراتى أنَّهُ　　يمار فيستأجرنه للعرائس

وقلت في مدح الحلق :

قُتل الشعر من خفيفٍ ثقيل　　وكثيرٍ على الرؤوس قليل

ضيِّق الشعر حينَ طال قليلا　　ضامه اللهُ من قصيرٍ طويل

إنما الحلقُ راحةٌ وجمالٌ　　فاشدُد الكف بالمريح الجميل

ماأرى للحسام يصدأ حُسناً　　إنما الحسنُ للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المحلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بنُ دريد عن عبد الرحمن عن عَمه قال كان يزيد بن الطثرية زير نساء يتحدث إليهن فتحدث إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهى تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظما وأدمعاً تنهلُّ منها سجما
علمت ما بى فجفوت عامداً من سَئم الوصل تجنى الجرما

فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :

تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعةً فمن لامنى فيه فبدل ما بيا
فما أشرف الايفاع إلا صبابةً وما أضربُ الأمثال الا تداويا

فأتى الزوج أباها فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهى تقول :

فان تضربوا ظهرى وبطنى كلاهما فليس لقلب بين جنبىَّ ضارب

فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بفنائه وهو يقول :

تراءتْ وأستارٌ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
بعينى مهاةٍ تحدرُ الدمع منهما بريمين شتى من دموع واثمد

فجمع أهل بيته واخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال وهو يحلق :

أقول لثورٍ وهو يحلقُ لمتى بعقفاءَ مردُودٌ عليها نصابها
تَرفقْ بها ياثورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
فيارُبَّ يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
تولى بها (١) ثورٌ تزفُّ كأنها سلاسل درع لينها (٢) وانسكابها
وأصبح رأسى كالصخيرةِ أشْرَفتْ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة فى وصف الشيب وهو قوله :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يَصيح بجانبيهِ نَهار

ولأبى إسحق الصابى أبيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :

لما رمانى الزمان بالصلع وقلَّ مالى وضاقَ متسعى

---

(١) رواية الاغاني « فراح بها » (٢) في الأغانى «خبؤها » .

حاسبت عن لمّى مزينها حسابَ شيخ للحقّ متبع

قلتُ له اقنع من أصلِ واجبها بالثلثِ مما به عملتَ معى

واعمـلْ على أنهـا مُزارعـةٌ شكوتُ فيها شكاةَ مُتضـع

فاحطط خراجَ الذى أصبتَ به واستوفِ منى خراجَ مُزدرَع

ومما جاء فى مدح الصلع ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الانبارى عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال ألحّ رجلٌ النظر الى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فقال له الى أىّ شىء تنظر ؟ قال الى بطن مندح وهامةٍ صلعاء فقال عليه السلام أما البطن فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامةُ فكما قال الشاعر :

بنى انا المجدَ آباءٌ لهم شرفٌ صُلعُ الرؤوسِ وسيما السؤددِ الصلعُ

وقال آخر : كفى حزناً انى أدبُّ على العصا فيأمنُ أعدائى ويبغضنى أهلى

ويوصى بى الوَغـدُ الضعيفُ مخافةً علىَّ وما قام الحواضنُ عن مثلى

أقيمُ العصا بالرجلِ والرجـلَ بالعصا فما عدّلت ميلى عصاىَ ولارجلى

وقال محمود الوراقُ في ذمِّ الخضاب :

يشيبُ الناسُ فى زمنٍ طويلٍ ولى فى كلِّ ثالثـةٍ مشيبُ

وأخفى الشيبَ جهدى وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ

وقال: جريت لعارض غيث الليالى تحالك لونه فابيضّ جُلُّه

وصرت تقصّ ماابيضّ منه أتحلقه إذا ماابيضّ كلُّه

تعزّ عن الشبيبةِ والهَ عنها فان الليلَ ليسَ يدوم ظله

وخلِّ الشيبَ يضحكُ ناجذاه فانَّ الصبح لا يخفى مطله

وان حلت عرى اللذاتِ فيه فلستَ بعاقدٍ ماجذ حبله

﴿ الفصل الثانى من الباب الحادى عشر ﴾

(فى ذكر العلل والأمراض والمراثى والتعازى والزهد)

أحسن ماقيل فى الرمد قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه ... لا أسميه من حذارى عليه

لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلى ... ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكتْ عينهُ فقلتُ لهم ... من كثرة القتل مسها الوَصَب

حُمرَتها من دماء من قتلت ... والدم فى النصلِ شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسِر لى طرفاً به حمرةٌ ... قد خلط النرجس فى وردهِ

ما احمرت العينُ ولكنه ... يكحلها من وردتَىْ خدِّهِ

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ ... قد حازها من وردة الخدّ

فقلت لم يرمدْ ولكنه ... يصافح النرجس بالوردِ

ومن مليح ماقيل في شكاية الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارتْ تحم ... ابتلى الله بهذا من زعمْ

اشتكتْ أكمل ما كانت كما ... يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل في اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسنِ والملاحة قد أصـــبح للسقم معدناً وقراراً

---

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه .

لم تشنْ وجهُ الجميـلَ ولـكنّ   جعلتْ وَرْدَ وجنتيه بهارا

ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقانى :

لقد حلت الحمى بساحةِ خدّه   فأبدلت التفاحَ بالسوسن الغضّ

والأصل فى ذلك قول عبد بنى الحسحاس أخبرنا أبو أحمـد قال أخبرنا أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبى سعيد قال حدثنا الخزامى قال حدثنا عبد الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان لا حاجة لى فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسرُ فى كلامه فقال يوسف فحدثنى من رآه فى شجرة واضعاً احدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قمـرٍ   كلُّ جمالٍ لوجهـهِ تبعُ

ما يبتغى خابَ من محاسنها   أما لهُ فى القباح متسع

لو كانَ يبغى الفداءَ قلتُ له   ها أنا دونَ الحبيبِ ياوجع

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان رضى الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارب ليـلةٍ   جعلتكِ فيها كالقباء المفرّج

وقال أيضاً :

ولقد تحدّرَ من جبينِ فتاتكم   عَرَقٌ على وجهِ الفراشِ وطيبُ

ومن عجيب ما يُروى له قولهُ يمدح نفسه :

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّةٌ كرماً   أو أسودَ اللونِ انى أبيضُ الخلقِ

وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانىء :

ياقمراً للنصف من شهره أبدى ضياءً لثمان بقين

ومن أحسن ماقيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :

قالوا محمدٌ المحمد مُوجعُ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ

فلئن حُممت فلا حُممت فانها داءُ الاسودِ وفي الرجالِ أسودُ

وهذا عندي أحسن من قول البحتري :

وما الكلبُ محموماً وإن طال عُمرهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد

على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :

وقد سرّني انى رأيتك واطئاً على عقبي داء تراخى فأدبرا

وقد ظلّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرا

ولا غروَ أن يغشاك عارضُ علةٍ فانى رأيتُ الورد يغشى الغضنفرا

ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما كسوفك أن أمسيتَ بدراً مُنوّرا

ومن ذلك قول على بن العباس النوبختى :

لئنْ تخطتْ اليك نائبةٌ حطتْ بقلبى ثقلاً من الألم

فالدهرُ لا بُدّ محدثٌ طبعاً في صفحتيْ كلّ صارم خَذم (١)

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً فى رَجل اعتل :

طالَ فكرى تعجباً لمصوغ ذهباً كان يقبلُ الاقذاءَ

والحسامُ الهذاذ(٢) يزدادُ حسناً كلما زادَهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين فى معناهما وأماسبكهما ووصفهما فلاخير فيه والبيت الثانى أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المعذل (٣) يذكر الحمّى :

فطوراً ألقيها سُخنةً وطوراً ألقيها فتره

---

(١) سيف خذم : أي قاطع . (٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

وقد أعقبتْ خلفي حِدّةً وأورثني الفها ضجره
فللعبد ان غاظني لطمةٌ وللحرّ ان ساءني زجره
ويربو الطحالُ إذا ماشبعت فتعلو الترائب والصدره
وأمسي كأني من معدتي لبستُ ثيابي على ذُكره
أسائلُ أهلي عن سحنتي وأمنحهم نظرةً نظره
وأجزع إن قيل بي صفرةٌ وأشفقُ إن قيلَ بي حُمره

ومن أجود ماقيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدرُ لم تزَلْ في كمال الأمرِ بدراً وفي النماءِ هلالا
كيفَ كانت عقبى افتصادك كانت صحةً مستفادةً واندمالا
واعتدالاً بينَ المزاج كما أو تيتَ في الخلقِ والخلاقِ اعتدالا
فعل الله ذاك انك مازلـــتَ لمرضيّ ماارتضى فعّالا

وفي الفصد شعرٌ كثيرٌ ليس في أكثر مامرّ بي مختارٌ إلا ما أنشدتهُ لعلي بن عبد العزيز الجرجاني :

ياليتَ عيني تحملتْ ألمك وليتَ نفسي تقسمتْ سقمك
أوليتَ كفّ الطبيب إذ فصدتْ عرقك أجرى من ناظريَّ دمك
أعرتهُ حسنَ وجنتيك كما تعيره ان لثمتَ من لثمك
طرفك أمضى من حدّ مبضعهِ فالحظ بهِ العرقَ واغتنم ألمك

ومن مليح ماقيل في الزكام ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان الجرمي قال دعا عيسى بن عليّ عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزّك اللهُ لستُ يومي هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأني مزكومٌ والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عَجوز من بني عجل تقول : حُقر من يحقرُ الزكام . ولم يمر بي في الصداع شيء مليح أثبته لك غير أني سمعت لبعضهم أبياتاً في صغر العمامة حتى أشبهت عصابةً يعصب بها الصداع وهي هذه الابيات:

وقدّمتَ لي وعداً بأنك مُلبِسي ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقص تضربُ
يقول أناسٌ لي إذا مالبستها أرأسك هذا من صداع مُعصَّبُ

على أن وصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٌ فيه ذكر الصداع وهو قوله :

حلَّ من قلبه محَلَّ شرابٍ يشتهي شربهُ ويخشى صُداعه

وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالتْ فَوْقَ منال الصداع مِني
وجدتُ فيهِ اتفاقَ سوءٍ صدَّعني مثل صدّعني

وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواةِ قسبٍ وينشر لحية مثلَ الشراع
عليهِ عمامةٌ قَصرَتْ ودقّتْ فتحسبهُ تعصبَ من صُداع

وقال بعضهم في الجدري :

وجهُهُ للحسنِ معدنْ فتأمّـلْ وتبيّنْ
نقَطٌ من جُدَرِيّ كدباقي معيّن

وأما النقرس فقد مرَّ بي فيه أبياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل اليه أبوه اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يابني ؟ فقال :

أشكو الى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
كأنني لم أطأ بها كبداً من حاسدٍ سرَّ قلبهُ ألمي
والحمد لله لاشريكَ لهُ لحمي للأرضِ بعدها ودمي
مامن صحيح إلا ستنقله الا يامُ من صحة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأبي العيناء . قال كان أبو علي الحرمازي

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتخلف الحرمازى ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقامَ بأرض الشام فاختلَّ جانبي ومطلبهُ بالشام غيرُ قريب
ولاسيما من مفلسٍ حلف نقرس أما نقرسٌ في مفلس بعجيب

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابيٌ رجلاً قد أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة والترفه ، ومنه قول الاعرابى :

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيس يخشى عليَّ القومُ داءَ النقرسِ

ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس * يخشى عليك من الحباء النقرس *

ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حضر الجماز عند أبي يوماً ودخل رَجلٌ فقال له ما أخرك عنا فقال أصابتني خلفه أما ترى وجهى فقال الجماز ما أبين الاختلاف على وجهك . وقال المتنبي في الحمى :

وزائرتى كأنَّ بها حياءً فليسَ تزورُ إلا في الظلام
جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتتْ فى عظامى
اذا مافارقتنى غسلتنى كأنا عاكفانِ على حرام

وهذا البيت معيب لان الغسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت فى حمّى نالتنى :

وأخبر أنى رحتُ في حلة الضنى ليالىَ عشراً ضامها اللهُ من عشر
تنفضنى الحمّى ضحى وعشيةً كما انتفضتْ فى الدجنِ قادمتى نَسر
تذرُّ عليّ الورس في وضح الضحى وتبدله بالزعفرانِ لدَى العصر
اذا انصرفتْ جاء الصداع مشمراً فأربى عليها فى الأذيةِ والشرّ
وتجعلُ أعضائى عيوناً دوامعا تواصل بين السكب والسجم والهمر
فتحسبه طلاًّ على أقحوانةٍ وعهدى به يحكى حباباً على خمر

ولما تمادت عذتُ منها بحمية كمن ترك الرمضاء وانفل في الجمر
وما منهما إلا بلاء وفتنة وضر على الأحرار يالك من ضر

من مرض لمرض الجفون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله ابن عبد الله لنفسه :

تمارضتَ لما لمْ تكنْ لك علةٌ وقلتَ شهيدي مابطرفي من السقم
فلا تجعلنْ سقماً بطرفك علةً فقد كانَ ذاكَ السقم في صحةِ الجسم

وقال غيره :

أحببتُ من أجلهِ منْ كان يشبهه وكلُّ شيء من المعشوقِ معشوق
وقد جلبتُ بجسمي سُقْم مقلته كأنَّ جسمي مِن عينيهِ مسروق

وقال الأخيطل : كيف يضنى بعد ما كا ن الضنى عوناً لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلفَ اخوانه عن عيادته :

عليلكم لايعادُ من علهْ وضيفكم لايسدّ من خلهْ
لا ان جفوتم دنا المماتُ ولا ان زرتمُ تنسؤنَ في أجلهْ
ما ضرَّ مجفوَّكم جفاؤكمُ بالامس في جسمه ولا أملهْ

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لحمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدي :

مالي مرضتُ فلم تعدْ ورغبتُ فيك فلم تجُد
الحبُّ يذهبُه الأذى فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعر مطبوع مختار ، والبيت الأخيرُ مأخوذٌ من قول الأعرابي :

فاني رأيتُ الحبَّ في القلبِ والاذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

وقلتُ : وقد عادني الاخوانُ من كلِّ جانب وما قصروا في العرفِ والفضل والبرِّ
فلمْ لم تكنْ فيهمْ فيكمل حسنهم أياظالماً أخلى النجومَ من البدر
وإذ كنتَ لم تنهضْ اليَّ ولم تكد فلمْ لمْ تسلْ عني فتخبر عن أمري
ومالك لم تبعثْ اليَّ بأسطرٍ تمجمجها إحدى يمينك في ظهر

تضمنُ بتسليم وزرةِ ساعةٍ فكيف يُرجّى جودُ كفيك بالوفر
فإن كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
إذا لمْ تكونوا للحقوقِ فمنْ لها وأنتم كرامُ الناس فى البدو والحضر
وأنتَ إذا أنحيت تفرى أديمها فما ذنب ذى جهلٍ فرَى مثل ماتفرى
وما لعداةِ العلم تذكرُ عيبهمْ وأنت على أمثالِ غايرهم تجرى

ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومى :

قد قلت إذْ مدحوا الحياةَ فأكثروا للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانُ لقائه بلقائه وفراق كل مُعاشرٍ لا ينصفِ

ومن أحسن ما قيل فى مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وباتَ بدرُ سمائنا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ

ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألمْ يبلغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهليها صروف
صريعٌ لم يُوَسِّدهُ قريب ولم يشركه في الشكوى أليفُ
يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنهِ كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوة حسنة . ومن عجيب ماجاء فى وصف المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فانها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيبٌ لا يُمارى به ومنه أخذ قوله :

وكما تبلى وجوهٌ فى الثرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزن

ولا أعرف فى التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابى ومات له ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد الى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً فليمَ على ذلك فقال : ليسوا في الموت ببدع (١) ولا أنا فى المصيبة بأوحد ولا جدوى للجزع فعلامَ تلومونى . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها

---

(١) فى الأصل « ببديع » .

وعزّى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أباد وأجزل حظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاد هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قيل للرشيد ان عبد الملك بن صالح يُعِدّ كلامه ويفكر فيه فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيد وقال هو طبعٌ فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبدُ الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريرى فقل له وُلد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدة ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيد أهذا الذى زعموا أنه يتصنع للكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط [(١)] . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل فى مدفون قول ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراس :

لله ما ضمنتْ حفيرتهـا من حُسنِ مرأى وطُهر مُختبرِ
أضحتْ من الساكنى حفائرهمْ سُكنى الغوالى مداهنَ السررِ
لو علم القبرُ منْ أتيحَ لهُ لانخفضَ القبرُ غير محتفرِ

وهذا البيت مأخوذ من قول الأول :

لو علم القبرُ من يوارى تاهَ على كلّ مَنْ يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أجملى جزعاً ان الذى تحذَرينَ قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى [(٢)] وإن كانَ اسمعا وأصبحَ مغنى الجود بعدك بلقعا

فقال فيها : فتىً كان شرباً للعفاة ومرتعى فاصبحَ للهندية البيض مرتعا

---

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) فى ديوان أبى تمام « الناعي » .

إذا ساءَ يوماً في الكريهةِ منظراً ... تصلاهُ علماً ان سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن عُمرٍ تدانى به المدى ... فخانك حتى لم يجدْ فيك منزعا
فما كنتَ إلا السيف لاقى ضريبةً ... فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك قتل فى الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عنده فقيل له يموت أخوك بالملا وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :

لقد لامنى عندَ القبورِ على البكا ... رفيقى لتذرافِ الدموع السوافك

هذا البيت غير مختار الرصف عندى وفى ألفاظه زيادة على معناه :

أمنْ أجلِ قبرٍ بالملا أنت نائحٌ ... على كلِّ قبرٍ أو على كلِّ هالك
فقلت له انَّ الشجي يبعثُ الشجى ... فدعنى فهذا كلهُ قبرُ مالك

يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن ثعلب عن الرياشي لرجل يرثى عمر بن عبد العزيز وهو عندى من أرثى ما قيل :

لهفى عليك للهفة من خائف ... كنتَ المجيرَ لهُ وليسَ مجيرُ
عمتْ صنائعهُ فعمَّ مُصابهُ ... فالناسُ فيهِ كلهم مأجورُ
فالناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ ... فى كلِّ وادٍ رَنَّةٌ وزفيرُ
يثنى عليك لسان من لم تولِهِ ... خيراً لأنَّك بالثناءِ جَدير
ردَّتْ صنائعه اليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

والصحيح أن يقول «منشرٌ» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول المحدث :

على قَبْرِهِ بينَ القبورِ مَهابَةٌ ... كما قبلها كانَتْ على صاحبِ القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبرَهُ عن عدوِّهِ   فطيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبرِ

وقالوا أرثاه قول ابن مُناذِر :

أنعي فتَى الجودِ الى الجود   مامثل من أنعى بموجودِ

أنعى فتًى مصَّ الثرى بعده   بقيّة الماءِ من العودِ

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثى لم أختر على أبيات الخزيمى :

ألم ترنى أبنى على الليث بنيةً   وأحثي عليهِ التربَ لاأتخشعُ

وأعددته ذُخراً لكلّ مُلِمَّةٍ   وسهمُ المنايا بالذّخائرِ مُولعُ

وانى وان أظهرتُ منى جلادةً   وصانعتُ أعدائى عليه لموجعُ

ولو شئتُ أن أبكى دماً لبكيتُه   عليهِ ولكن ساحةُ الصبرِ أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كانَ قيسٌ هُلكُهُ هُلكَ واحد   ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما

وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنتَ أكمل من مشى   وافترّ نابُك عن شباه القارح

وتكاملت فيك المروءةُ كلها   وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالح

وقال الأصمعى أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بتَّ مستشعر الثرى   وردن (١) بما روّدتنى مُتمتعا

ولو أننى أنصفتك الوُدَّ لم أبت   خلافك حتى ننطوى فى الثرى معا

ومن أحسن ماقيل فى بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير (٢) :

فتى عِيشَ فى معروفِهِ بعدَ موتهِ   كما كانَ بعدَ السيلِ مجراه مرتعا

---

(١) لعله (وبت) . (٢) فى الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية مقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفى هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتْ للسماحة مضجعا

ويا قبرَ معن كيفَ واريتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا

فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارم أجدعا

وأنا أقول إن هذه الأبيات أرثى ماقيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرثى بيت قيل قول مهلهل فى كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتْ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

وتكلموا فى أمر كلِّ عظيمة لو كنتَ شاهدهم إذاً لم ينبسوا

وكان كليب اذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ الا عليه واذا جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ماقيل فى المراثى قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيلَ لن نتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطولِ اجتماع لم نبت ليلة معا

وليس في المحدثين أحسن مراثى من أبى تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والجد[1] نسج ردائه فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجر[2]

فأثبتَ فى مستنقع الموتِ رجلهُ وقالَ لها من تحتِ أخمصك الحشرُ

فتى ماتَ بينَ الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ ان فاته النصرُ

فتى سلبته الخيل وهو لها حِمى وبزَّتهُ نارُ الحربِ وهو لها جمرُ

كأنَّ بنى نبهانَ يومَ وفاتِهِ نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

مضى طاهر الاثوابِ لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى إلا اشتهتْ انها قبرُ

وكيف احتمالى للسحاب[3] صنيعة بإسقائه قبراً وفى لحده البحرُ

ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختارٌ .

---

(١) في ديوان أبى تمام «والحمد» . (٢) فى الاصل (أجر) . (٣) فى الديوان (للغيوث) .

وقوله [1] في ادريس بن بدر السامي :

أإدريسُ ضاع المجدُ بعدك كله ... ورأى الذى يرجوهُ بعدك أضيع
وضلّ بك المرتادُ من حيث يهتدى ... وضرَّتْ بك الأيام من حيث تنفع
وتبسطُ كفاً فى الخطوب [2] كأنما ... أناملها فى البأسِ والجودِ أذرعُ
ولم أنسَ سعيَ الجودِ حولَ سريره ... باكسف بال يستقيم ويظلع
وقد كانَ يدعى لابس الصبر حازماً ... فقد صار يُدعى [3] حازماً حين يجزع

وقوله فى بنى حميد :

عهدى بهم تستنيرُ الأرضُ ان نزلوا ... فيها وتجتمعُ الدُّنيا إذا اجتمعوا
ويضحكُ الدَّهرُ منهمْ عنْ غطارفة ... كأنَّ أيامهم منْ أنسها جُمَعُ
فيا الشماتة إعلاناً بأسد وغى ... أفناهمُ الصبر إذْ أبقاهم الجزع

وقوله أيضا : إذا فقدَ المفقودُ من آل مالك ... تقطّعَ قلبى رحمةً للمكارم

خليلىَّ من بعد الأسى والجوَى قفا ... ولا تقفا فيضَ الدُّموع السواجم
ألمّا فهذا مصرعُ البأس والندى ... وحسبكما ان قلتُ [4] مصرع هاشم
ألمْ تريا الأيامَ كيفَ فجعننا ... به ثمَّ قد شاركننا في المآتم
خطوْن اليه من نداهُ وبأسه ... خلائق أوقى من سيور التمائم

وقد كثرت علىّ محاسنه فى هذا الباب فما أدرى ما أُوردُ وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحيى ليحيا ولم يكنْ ... الى ردِّ أمر اللهِ فيهِ سبيلُ
تيممتُ فيه الفالَ حين رُزقته ... ولم أدرِ أنَّ الفالَ فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق فى جارية له ماتت وفى بطنها غلام :

* وجفن سلاح من معدّ رُزئته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة ... لو أنَّ الليالى انسأته لياليا

---

(١) أى قول أبى تمام . (٢) في ديوان أبى تمام « فى الحقوق »

(٣) فى الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) فى الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفى جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يومٍ واحدٍ :

نجمانِ شاءَ اللهُ أن لا يطلعا — إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلا

انَّ الفجيعةَ بالرِّياضِ نواضراً — لأَجلُّ منها بالرياضِ ذوابلا

لو ينسيان لكان هذا غاربا — للمكرُماتِ وكان هذا كاهلا

لهفى على تلك الشواهدِ فيهما — لو أُمهلتْ[1] حتى تكونَ شمائلا

لغدا سكونهما حجا وصباهما — حلماً وتلك الأريحيَّةُ نائلا

انَّ الهلالَ إذا رأيتَ نموَّهُ — أيقنتَ أن سيكونَ[2] بدراً كاملا

ثم قال يوسيه :

ان ترزَ في طرَفَيْ نهارٍ واحدٍ — رُزءين هاجا لوعةً وبلابلا

فالثقل ليس مضاعفاً لمطية — إلا إذا ماكان وهماً بازلا

ثم قال أيضاً :

شمخت[3] خلالك أن يُؤسيك امرءٌ — أو أن تذكَّر[4] ناسياً أو غافلا

إلا مواعظ قادها لك سمحة — اسجاح لبك سامعاً أو قائلا

هل تكافُ الأيدى بهزِّ مُهنَّدٍ — إلا إذا كان الحسام الفاصلا

وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التى يرثى فيها أخاه أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دونَ حلو العيش حتى أمرَّهُ — نُكوبٌ على آثارهنَّ نُكوب

هوتْ أمهُ ما يبعثُ الصبح غاديا — وماذا يؤدى الليل حينَ يؤوب

حليمٌ إذا ماالحلم زيّن أهله — مع العلم في عين العدوِّ مهيب

---

(١) في الاصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام «سيعودَ» .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوتْ أمهُ ماذا تضمنَ رحلهُ من الجودِ والمعروفِ حينَ ينوبُ
فتى أريحيٌّ كيف يهتزُّ للندى كما اهتزَّ من ماءِ الحديدِ قضيبُ
حليفُ الندَى يدعو الندَى فيجيبه قريباً ويدعوه النـدَى فيجيبُ
فانْ تكن الأيامُ أحسنَّ مرَّة الىّ فقد عادتْ لهنَّ ذنوبُ
وحدَّثتماني انمـا الموتُ بالقرى فكيف وهذى هضبةٌ وكثيبُ
وقال فيها: وداعٍ دعا نامن يجيبُ الى الندى فلما يجبه عند ذاك مجيبُ
فقلت ادعُ أخرى وارفض[1] الصوتَ مسمعا لعـلَّ أبا المغوار منك قريبُ

ومن عجيب المراثى قول الرقاشي فى البرامكة :

الآن استرحنا واستراحتْ ركابنا وقلَّ الذى يجدى ومن كان يجتدى
فقلْ للمطايا قد أمنتِ من السُّرَى وطىِّ الفيافي فدفداً بعد فدفدِ
وقلْ للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ ولن تظفرى من بعده بمسوَّدِ
وقلْ للعطايا بعدَ فضل تعطلى وقل للرزايا كلّ يوم تجدَّدى
ودونك سيفاً برمكيـاً مُهنّداً أصيبَ بسيفِ الهـاشمىّ المهندِ

ومن جيد المراثى قول الآخر :

سأبكيك للدُّنيا وللدِّينِ انى رأيت يدَ المعروفِ بعدك شـلَّتِ
ربيعٌ إذا ضنَّ الغمامُ بمائه وليثٌ إذا ماالمشرفيةُ سُلَّتِ

وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية [2] حين صُلب :

عُلوٌّ في الحياةِ وفى المماتِ بحقٍ أنتَ [3] احدى المعجزات
كأنَّ الناسَ بعدك حينَ قاموا وفودٌ نداك أيامَ الصِّلاتِ

وهذا البيت مأخوذٌ من قول ابن المعتز في عبد الله بن سليمان حين توفي :

وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيامٌ خضوعٌ للسلام عليه

---

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان براً جواداً ، نقم عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحقٌّ تلك) .

كأنك قائمٌ فيهمْ خطيباً ... وكلهمُ قِيامٌ للصَّلاتِ

مددتَ يديك نحوهمُ جميعا ... كمدِّ كها اليهمْ بالهباتِ

ولما ضاقَ بطنُ الأرض عن أن ... يضمَّ عُلاكَ من بعــدِ المماتِ

أصاروا الجوَّ قبرَكَ واستنابوا(١) ... عن الأكفانِ ثوبَ السافياتِ

فلم أرَ قبلَ جذعك قطُّ جذعاً ... تمكنَ من عناقِ المكرُماتِ

ومن جيد ماقيل فى عظم شأن الميت قول ابن المعتز:

هذا أبو القاسم فى نعشهِ ... قوموا انظرُوا كيف تزُولُ الجبالُ

وقول أبى تمام :

بني مالك قد نبهت خاملَ الثرى ... قبورٌ لــكم مستشرفات (٢) المعالم

رواكد قيد (٣) الكفِّ من متناول ... وفيها عُلاً لا يُرتقى بالسلالم

وقلت: سائل القبرَ كيفَ أضمرتَ قدساً ... وأباناً ويذبلاً وحراءَ

من رأى البدرَ بالترابِ توارى ... أوعلى ذروةِ النعـوشِ تراءَى

وقال ابن المعتز وأحسن :

تعالوا نزُرْ قبرَ السماحةِ والرِّفد ... ولا نعتذرْ من دمع عينٍ على خدِّ

لقد عشتَ لم يعلقْ بفعلك ذِمَّةٌ ... ومُتَّ على رغم الحامدِ والمجدِ

وقال أيضا :

ألستَ ترى موتَ العلى والمحامد ... وكيفَ دفنّا الخلقَ فى قبر واحد

وللدّهرِ أيامٌ يُسئنَ عوامداً ... ويحسنَّ ان أحسنَّ غيرَ عوامدِ

وقال دعبل بن على الخُزاعى :

حنَّطتَهُ يا نصرُ بالكافور ... ورفعتهُ للمنزلِ المهجور

هلا ببعض خلالهِ حنَّطتهُ ... فيضوعُ أفق منازلٍ وقبورِ

---

(١) فى رواية (واستعاضوا) . (٢) في الأصل(وذا كم مشرفات) .

(٣) فى الأصل (رواكد قيس) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلى غدت داره قفراً ومغناه بلقعا
ألم تر أن البأس أصبح بعده أشل وأن الجود أصبح أجدعا
فمرا على قبر المسود وانظرا الى المجد والعلياء كيف تخشعا
فان يك واراه التراب فكبرا على الجود والمعروف والفضل أربعا
ولا تسأما نوحاً عليه مكرراً ونوحاً لفقد العارفات مرجعا
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تضعضعا
ولا تحسبا أنى أواريه وحده ولكننى واريته والندى معا

ومن بارع المراثى قول ديك الجن الحمصى :

مات حبيب فمات ليث وغاض بحر وباخ نجم
سمت عيون الردى إليه وهى إلى المكرمات تسمو
ماأمك اجتاحت المنايا كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجناب يزداد عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ماقيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

وقالوا بل أصدق ماقيل فى صفة الدنيا قول الأول :

حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها رنق وملكها دول

وقلت : مابال نفسك لاتهوى سلامتها فأنت فى عرض الدنيا ترغبها
دار إذا أتت الآمال تعمرها جاءت مقدمة الآجال تخربها
أصبحت تطلب دنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ماقيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظة ... وأيامُنا تطوَى وهُنَّ مراحل

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقًّا كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيُّ باطل

وقلت: ألستَ ترى موتَ العلا والفضائل ... وكيفَ غروبُ النجم بين الجنادل

فما المنايا أغفلتْ كلَّ ناقص ... ونقبنَ في الآفاقِ عن كلِّ فاضل

على الرَّغم من أنفِ العلا سبقَ الرَّدى ... بكلِّ كريم الفعال حرِّ الشمائل

على أنَّ من أبقتهُ ليسَ بخالدٍ ... وليسَ امرؤٌ يرجو الخلودَ بعاقل

رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائح ... فما للبرايا بينَ ساه وغافل

ولم أرَ كالدنيا حبيباً مُضرَّةً ... ولم أر مثل الموتِ حقاً كباطل

وقال ابن المعتز:

كم بدارِ الموتِ من ذي إربة ... عجزت منهُ على الموتِ الحيلْ

ومُلوك بليتْ أيديهم ... ولقد كانتْ مطايا للقبلْ

وقلت: فتعجبتُ كيفَ لانحذرُ المو ... تَ وأنفاسنا خطانا اليه

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظير معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤتلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها. ووقفتك بقطع الشمس والقمر قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تناهي أمدها وأبان لك دُؤوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محثوثة إلى أمدها كما تحث براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال وتحدث ماتخوفك به طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثمانها حدثا من أحداثها لاتمسك منها بعروة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدقُ لك من نصيحتها أوعظة أشفى

وأبلغ من عظتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء على نفسها ، ألم تر أجزاءها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إبرامها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر وتهدمه وللحديد وتثلمه واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشبقه وقرمه اذكر أن جسدك وشيكاً مفارقك وأنه وإن جددته مخلقك وأنك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبغتاته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخذال المحالة عن دفعه ويأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليله لها من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغماض والأوصال سياق رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضوا وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرجة وفي الجوانح رجرجة وفي اللهوات غرغرة وفي الحلقوم خرخرة بالنزع الجاذب والعلن الكاذب والفُواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء وفي سمعه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله نهبى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطعة والخدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ماقيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمر بن تولب :

تدارك ماقبل الشباب وبعدَهُ　　حوادث أيام تمرُّ وتغفلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامةِ والغنى　　فكيفَ ترى طولَ السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة　　ينوءُ اذا دام القيام ويحملُ

وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .

وقال بعضهم في معناه :

مابالُ من آفته بقاؤهُ　　نغصَ عيشي كلهُ فناؤُهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداء أكثر ما تراهُ من الأشياء تحلو في الحلوق

ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرُّومي :

بكاؤكما يشفي وإنْ كانَ لا يجدي فجودا فقدا أوْدَى نظيرُكما عندي

توفى حِمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فلله كيفَ اختارَ واسطةَ العقدِ

طواهُ الرَّدَى عني فأضحى مَزارُه بعيداً على قرب قريباً على البعدِ

عجبت لقلبي كيفَ لم ينفطرْ له ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلدِ

وما سرَّني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد

ولا بعته طوعاً ولكنْ غصبته وليسَ على ظلم الحوادثِ من مُعدي

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفرٍ فلقي غلاماً له فقال له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتي قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

يا أهل بكوا لقلبيَ القرِحِ وللدُّموع الذوارفِ السفحِ

راحوا بيحيي ولو تطاوعني الأ قدار لم تبتكر ولم ترح

يا خير من يحسن البكاء له الـ يومَ ومنْ كانَ أمس للمدح

قد ثمت الحزن بالسرور وقد أديل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن شيبة فأنشده قول الثقفي في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمرى لقد أوْدَى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنعاءَ والليث الهزبر أبى الأجر
تأملْ فان كانَ البكا رَدَّ هالكاً على أحدٍ فاجهدْ بُكاك على عمرٍو

فسرِّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يَبقَ مَشرقٌ ولا مغربٌ إلا لهُ فيهِ مادحُ
وما كنتُ أدرى مافواضلُ كفه على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ
فأصبحَ فى لحدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك مافاضتْ دُموعى وإن تغض فحسبك منى ما تجنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يمتْ حىٌّ سواكَ ولم تقمْ على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
لئن حسنتْ فيك المراثى وقيلها لقد حسنتْ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازعٌ ولا بسرورٍ بعدَ موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم قال أنشدنا العقدى قال أنشدنا أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سَرَواتنا كأنَّ المنايا تبتغى من تفاخره
فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير انهُ حمى أنفه من أن يضيعَ مجاورُه
وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمْ وقد ضاقَ بالنكس اللئيم مصادرُه
فصادفَ رق الموت حراً سميدعاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حمى أنفه أوس ولم يثن وجههُ ويفنى الحياءُ المرءَ والرمح شاجره

ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كانَ فوتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ عليهِ الحفاظُ المرُّ والخلقُ الوعرُ

وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فان استطعت أن يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فانه حين قبضه أحرز لك هبته ولو بقى لم تسلم من فتنته ، عجباً لجزعك على ذهابه وتلهفك على فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعانى وهو :)

﴿ الباب الثانى عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول فى الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني أبو دُلف أنشد :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعةٍ نزوع نفس إلى أهل وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ أنتَ ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا ألأم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا رديء والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت ألأم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل. وقالت الحكماء: حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجمهر: من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لاتشك بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها خوفا (١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجه إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبايين والجلاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلتْ نحو اليمامة رفقةٌ دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولونَ إنَّ الهجرَ يشفي من الهوى وماازددتُ إلا ضعف مابي على الهجر

وكان كثيرٌ من العرب ممن يعتزي الى فضل كرم لاينتجعون وكذلك كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعتُ الرُّمح (٢) اذ قالوا قريشٌ وشبهت الشمائل والقبابا (٣)

---

(١) سقط من الأصل « خوفا » أوما بمعناها . (٢) في الأغاني « السيف » .
(٣) في الأغاني « وبينت الشمائل والعتابا »

ولو أني أطاعُ كنتُ فيهم وما سيرتُ أتبع السحابا

وقال الحويدرة (١) .

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع

والأمرع جمع لاواحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .

وقال أبو تمام : كم منزل في الارض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لاوّل منزل

وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظئره وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرعاية والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :

لقربُ الدّار في الاقتار خيرٌ من العيش المُوسّع في اغتراب

وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تتقوت الحبة ببل المطر إذا أصاب الارض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا : ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء رديء ويتذمم من كل شيء كريه إلا من وطنه وان كان رديء التربة كريه الغذاء ولولا حب الناس للاوطان لخرب أخابث الارض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تحننّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جعد

وهل تنفضنّ الريحُ أفنانَ لمتي على لاحقِ الاطلين مطمر ورد

وهل أردن الدهر حسمى مزاحم وقد ضربتْهُ نفحةٌ من صبا نجد

وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب عليه ، والحويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الارضَ تسكنها سليمى ... وان كانتْ بواديها الجدوب

وما دهري يحب تراب أرض ... ولـكنْ من يحـلُّ بها حبيبُ

وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لاأبيعهُ ... وألا أرى غيري له الدهرَ مالـكا

عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً ... كنعمةِ قوم أصبحوا في ظلالـكا

فقد ألفته النفسُ حتى كأنهُ ... لها جسَـدٌ لولاه غودرتُ هالـكا

وحبّبَ أوطانَ الرجالِ إليـهم ... مآربُ قضاها الشباب هُنالـكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ ... عهود الصـبا فيها فحنوا لذالـكا

وقد ضامني فيها اللئيم وغرّني ... وها أنا منـهُ معصمٌ بحبالـكا

فان أخطأتني من يمينك نعمة ... فلا تخطئنه نقمةٌ من شمالـكا

وقلت في نحو من ذلك :

ثوَى في حفرةِ العانات يمنٌ ... تغافل في المنـازلِ والرّباع

وإن تهوَ البقاع فليس غرواً ... هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومي :

فاذا تصوّر في الضمير وجدتهُ ... وعليه أفنانُ الشباب تميـدُ

وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدّ القيظ وانتعل كل شيء ظلّه ؟ فقال وهل العيش إلا ذاك يمشي أحدُنا ميلا ويرفضّ عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنّـه في إيوان كسرى . وذكر أعرابيٌّ بلدهُ فقال رملةٌ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابيةٌ : إذا كنت في غـير أهلك فلا تنس نصـيبك من الذلّ . وقال الشاعر في معنـاه

* نصيبك من ذلّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ يكثر في التنائي ... فكانَ الخيرُ أكثر في التداني

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى ... فسرت مع الوساوس فى عنان
ألا لله حزمٌ واصطبارٌ ... تقاسمهُ بنياتُ الزّمان
عزيزٌ أضمرتهُ نوى شطون ... فظلّ من المهانة فى ضمان
يناطُ إلى العزيزِ إذا تبوّى ... بمنزل غربةٍ طرف الهوان

وقال آخر : يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنّ النجيب إلى عطنه . وقلت :

إذا أنا لا [(١)] أشتاقُ أرض عشيرتى ... فليسَ مكانى فى النهى بمكين
من العقل أن أشتاقَ أوّلَ منزلٍ ... غنيتُ بخفضٍ فى ذُراهُ ولين
ورَوْض رعاهُ بالاصائل ناظرى ... وغصن ثناهُ بالغداةِ يمينى

وقال ابن المولى :

سُررتُ بجعفرٍ والقرب منه ... كما سُرّ المسافر بالاياب
كممطور ببلدته فأضحى ... غنياً عنْ مطالعة السحاب

وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهمْ كممطور ببلدتهِ ... فسرّ أن جمعَ الاوطانَ والمطرا

وفضّل بعضُهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى (عَلِمَ أنْ سَيَكُون مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها في البُعد ، وقال تعالى (فاذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فانْتَشِرُوا فى الأَرْض وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً دون أرض ولاقرباً دون بعد ، ويُنشد فى هذا المعنى قول أبى تمام :

وطولُ مُقام المرءِ في الحيّ مخلقٌ ... لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدد
فانى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً ... إلى الناس اذليستْ عليهم بسرمد

وقال [(٢)] فى الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

---

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلة والبركات في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبّ الهوينا يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانّ التوانى أنكحَ العجزَ بنته ... وساقَ اليها حينَ أنكحها مهرا

فراشاً وطيئاً ثمّ قال لها اتكى ... فقُصرا كالا بُدّ أن تلد الفقرا

وقال نُهيك بن أساف :

أأُمّ نُهيك إرفعى الطرفَ صادقاً (١) ... ولا تيأسى أن يثرىَ الدهر بائس

سيغنيك سعيى (٢) فى البلادِ وغربتى (٣) ... وبعلُ التى لم تحظَ فى البيتِ (٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قال أكثم بن صيفى : مايودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وأليت ، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز. وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا (٥) » وقال الشاعر وذمّ طول الضجعة :

فان تأتيانى بالشتاء وتلمسا ... مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسّام برود مضجعه ... واللقمة الفرد مراراً تُشبعه

وقال الحطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال أبو عُبادة البُحترى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً ... وكان حقىَ أن أُعطى ولم أسل

أرمى بظنى ولا أعدو (٦) الخطاءَ به ... فاعجبْ لاخطاءِ رامٍ من بنى ثُعل

أسيرُ إذ كنت فى طولِ المقام بها ... أكدى لعلىَ أجدى عند مُرتحلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما ... طالبت في ذملان الأينق الذمل

---

(١) فى الأغانى (صاعدا) . (٢) فى الأغانى (سيرى) . (٣) فى الأغانى (ومطلبى) . (٤) فى الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البحترى « فما أعدو » .

ولا تقل أممٌ شتّى ولا فرق (١) فالأرض من تربةٍ والناس من رجل

وقال بشار بن بُرد :

تخاف المنايا إذ ترحّلَ صاحبي كأنّ المنايا في المقام يناسيه

أخذه من قول الأعشى : ٭ وكم من رد أهله لم يرم ٭ والأول أجود سبكا وأفصحُ لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن كان خالد بن عبد الله القسري يُطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم يُطعم ثلاثين ألف انسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه يُطعم الأعراب فقال :

يقولُ ابنُ حجاج تجهزْ ولاتمت هُزالا بحرّان تعاوى كِلابها

فقد خبرَ الركبان أنّ جديده تباح ورغفانا شباعاً رِغابُها

وماء فرات ماشتهيت وقرية تدبُّ دبيب النمل فيك شرابها

فأقسم لا أبتاعُ رُغفان خالد بأرواح نجدٍ ما أقام ترابُها

إذا باحت بالهرمتين وصارةً رياح الخزامى حينَ تندى رحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بُغابيتي نمير كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم الفصيح فجئت يوماً اليهم في عقب مطر فاذا شابٌ جميلٌ قد نهكه المرض فليس به حراكٌ وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برقٍ على قلل الحمى ليهنك من برقٍ عليّ كريم

لمعتَ اقتداء الطرفِ والقومُ هُجّع فهيجت أسقاماً وأنت سقيم

فهل من مُعير طرفَ عينٍ خلية فانسانُ طرف العامريّ كليم

رمى قلبَه البرقُ اليمانيُّ رميةً بذكر الحمى وهناً فباتَ يهيم

قال فقلت ان فيمابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

---

(١) في الأصل (شقق) .

قال عبد الله بن محمد الفقعسي :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بسلع ولم تغلق علي دروب
وهل أحد باد لنا وكأنه ... حصان امام المقربات جنيب
يحول[1] السراب الطافح بيني وبينه ... فيبدو لعيني تارة ويغيب
فانى لأرعى النجم حتى كأنني ... على كل نجم في السماء رقيب
وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا ... وأزداد شوقاً إن تهب جنوب

وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياء وأنني ... أرى الناس قد أغروا بعيب صبا الكهل
مسيرى مع الفتيان فى طلق الهوى ... أبارى مطاياهم على سلسل رسل
فلم يبق من تلك[2] اللذاذة عندهم ... وعندى غير الذكر للعهد والأهل

وقال أعرابى :

أمغترباً أصبحت فى رامهرمز ... ألا كل كعبي هناك غريب
إذا راح كعب مصعداً ان قلبه ... مع الرائحين المصعدين جنيب
وان الكثيب الفرد من أيمن الحمى ... ليحلو بسمعى ذكره ويطيب
تفوقت ذرات الصبا فى ظلاله ... إلى أن أتانى بالفطام مشيب
إذا هب علوى الرياح استمالنى ... كأنى لعلوى الرياح نسيب

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

إذا عقد القضاء عليك أمراً ... فليس يحله غير القضاء
فمالك قد أقمت بدار ذل ... ودار العز واسعة الفضاء
تبلغ بالكفاف فكل شيء ... من الدنيا يؤول إلى انقضاء

وقال امرؤ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من السلامة بالاياب

---

(١) فى الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحترى :

وكانَ رجائى أن أؤوبَ مُمَلَّكاً　　فصارَ رجائى أن أؤوب سليما

﴿ فصل فى مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما[1] أنشدنى أبو على بن أبى حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لى كأيام الحياةِ اخاؤهُ　　تلوّن ألواناً علىّ خطوبُها

إذا عبتُ منه خلةً فهجرتهُ　　دعتنى إليه خَلةٌ لا أعيبُها

وقال البحترى :

قدمتَ فأقدمْتَ الندى يحمل الرضا　　إلى كلّ غضبانٍ على الدّهرِ عاتبِ

وجئت كما جاء السحابُ[2] مجرٌّ كما　　يديك بأخلاف تفى بالسحائبِ

فعادتْ بك الأيام وهى كواكبٌ[3]　　جلا الدّهرُ منها عن خدود الكواعب

وما أنسَ لا أنسَ اجتذابك همّتى　　إليك وتزيينى بأعلى[4] المراتبِ

فياخيرَ مصحوب إذا أنا لم أقمْ　　بشكرك فاعلمْ أننى شرُّ صاحب

وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً　　رجعت بما أبغى ووجهى بمائه

بلوت رجالاً بعده فى إخائهم　　فما ازددت إلا رغبة فى إخائه

وقال دعبل بن على :

أخٌ لى عاداهُ الزمانُ فأصبحتْ　　مذمّمة فيما لديه المطالبُ

متى ما تذوّقهُ التجاربُ صاحباً　　من الناس ردته اليك التجاربُ

وقال ابراهيم بن العباس :

---

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحترى (الربيع) .

(٣) فى الديوان «الايام زهراً كأنها» . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هبّ الزمان باذره هبّا
لما رآنى نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشام وفيُّ العهد مأمونُ المغيب
بطيءُ العهد ماالستغنيت عنهُ وطلّاعٌ عليك مع الخطوب

والبيتُ الاخير يشير إلى قول جرير * وإنى لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسدٌ ضارٍ إذا هيجتهُ وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أثرى ولا يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضا :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين اخوانه مالُ
رأى خلةً منهم تُسدُّ بماله فساهمهمْ حتى استوتْ بهمُ الحال

ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أثرَى باخوانه ففلل عنهمْ شباه العدمْ
وذكره الحزمُ غِبَّ الأمور فبادَرَ قبلَ انتقال النعمْ

ومما هو فى هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلى فصار عديلك واستقل ودى فأضحى زميلك ولا مطمع لى في مستقرهما حتى تستقر النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالى نحنُ فى غفلات عيش(١) كأنَّ الدَّهرَ منها فى وثاقِ
وأياماً لنا وله(٢) لدانا عريناً(٣) في حواشيها الرِّقاقِ

وفى هذا الموضع أيضاً قوله :

---

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم»
(٣) فى الأصل «عريبا»

أأيامنا ما كنتِ إلا مواهباً ‏ ‏ ‏ وكنتِ بإسعافِ الحبيبِ حبائبا
سنغربُ تجديداً لعهدك في البكا ‏ ‏ ‏ فما كنتِ في الأيام إلا غرائبا

وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غنى ‏ ‏ ‏ وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحب الودِّ[1] حسامٌ منتضى ‏ ‏ ‏ يزينُ في السلم ويكفي في الوغى

وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسام أكفى وأغنى ‏ ‏ ‏ من أخ ذي كفاية وغناءِ
وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ ‏ ‏ ‏ يعتريهِ وزينةٌ في الرَّخاءِ

وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراه الصديقُ بدالهُ ‏ ‏ ‏ بأرض الأعادي بعض ألوانها الربد

ومن أجود ماقيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّهُ ‏ ‏ ‏ على شعث أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتبا ‏ ‏ ‏ صديقك لم تلقَ الذي لاتعاتبه
فعش واحداً أو صلْ أخاك فانهُ ‏ ‏ ‏ مقارفُ ذنب مرَّةً ومجانبه
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ‏ ‏ ‏ ظمئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

وقال آخر : إلبس أخاك على تصنُّعه ‏ ‏ ‏ فلربَّ مفتضح على النص
ما ظلتُ أفحص عن أخي ثقة ‏ ‏ ‏ إلا ذممتُ عواقبَ الفحص

وقال آخر :

ومنْ ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها ‏ ‏ ‏ كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معائبه

وكتب الصاحب في فصل : وتمثلت لى أخلاقك التى لولاها لم يسلس المـا
ولم يرق الهواء ولم ترع الحقوقُ والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غ

---

(١) في نسخة « الصدق » .

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالى بردتها .

ومن جيد ماقيل فى اظهار الرغبة فى الاخوان قول أبى فراس بن حمدان :

قل لاخواننا الجفاةِ رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملال

ان ذاك الصدودَ من غير جُرم لم يدع فيّ موضعاً للوصال

أحسنوا في وصالكم أو فسيئوا لا عدمناكم على كلّ حال

وقلت فى معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاءُ

ترَى يضرُّك أن لوْ يكون منك وفاءُ

لا تبلنا بصدود إنَّ الصدودَ بلاءُ

بل مالنا منك بُدٌّ فاصنعْ بنا ماتشاءُ

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ إنى وإن كنتُ لاألقاهُ ألقاهُ

الله يعلمُ أنى لستُ أذكره وكيفَ يذكره من ليس ينساه

وقال الخريمي :

أخٌ لي كذوب الشهدِ طعمُ إخائه إذا اختلفتْ بيضُ الليالى وسودُها

كأمنيةِ الملهوفِ حزماً ونائلاً وعوناً على عمياءِ أمرٍ يكيدُها

له نِعمٌ عندى ضعفتُ بشكرها على أنهُ فى كلِّ يوم يزيدُها

تحملَ عنى شكرها فأراحنى وللشكر مرقاةٌ كؤودٌ صعودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنى أبو إسحق الشطي قال أنشدنا حماد الرّاوية[1] :

---

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد فى الكوفة وجال فى البادية ودخل الشام فحظى عند بنى أمية ، قال له الوليد الأموى : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال بأنى أروى لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخوانى بمين عناية ... فأصلحتُ منها كلّ ما أفسدّ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ ... وفى دون ماأوليت مااجتهد الشكر

ومن مليح ما قيل فى مدح الزمان :

رَقّ الزّمانُ لفاقتى ... ورثى لطولِ تحرُّقى
فأنالنى ما أشتهي ... وأراحَ مما أتقى
فلأغفرنّ له الكثيـرَ من الذنوبِ السُّبَّق
حتى جنايتهُ بما ... فعلَ المشيب بمفرقى

﴿ فى ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ ... وبقيت فى خلفٍ كجلدِ الأجرب

وضمّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهمْ فكأنّنى ... حاولتُ نتفَ الشعرِ من آنافهمْ
قمْ فاسقنيها بالكبيرِ وغنّنى ... ذَهبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ

وأنشدنا أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر لأبى الشيص :

وصاحب كان لى وكنتُ له ... أشفق من والدٍ على ولدِ
كنا كساقٍ يمشى بها قدمٌ ... أو كذراع نيطتْ إلى عضدِ
حتى إذا دانت الحوادثُ منْ ... خطوى وحلّ الزمانُ من عقدى

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك فى هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم ــ كما في الاغانى وغيره .

أحول عني وكان ينظرُ منْ　　عيني ويرمى بساعدى ويدى
وكانَ لى مؤنساً وكنتُ له　　ليس بنا حاجةٌ الى أحدِ
حتى إذا استرفدتْ يدى يدَه　　كنت كمسترفدٍ يدَ الأسد

ومن جيد ماقيل فى ذى الوجهين :

تعاشرُنى ضحكاً كأنك ناصحٌ　　وعينك تُبدى أنّ قلبك لى دوِى
لسانك لى شهدٌ وقلبك علقمٌ　　وشرُّك مبسوطٌ وخيرك ملتوى
أراك إذا لم أهو شيئاً هويتَه　　ولستَ لما أهوى من الشيء بالهوِى
عدوُّك يخشى صولتى إنْ لقيته　　وأنت عدوِّي ليس ذاك بمستوى
وكم موطن لولاىَ طحتَ كما هوى　　باجرامه من قُلة النيقِ مُنهوى
كأنك ان قيل ابنُ عمك غانمٌ　　شج أو عميدٌ أو أخو مغلة جوى
بدا منك غشٌ طالما قد كتمته　　كما كتمت داءَ ابنها أم مُدَّوِى

وقريبٌ من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال أخبرنا أبو ذكوان عن الرياشى قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجلٌ الكوفةَ فنزل بآل عُطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنيةً عاليةً فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدُّور حتى كأنها　　جبال وما شدى بخير شعابها
فليسوا بفتيان السماحة والنَّدَى　　ولكن فتيانا تسوَّى ثيابها
فقدأصبحتْ أضيافُ آلِ عُطاردٍ　　خِماصاً مطاياها خِفافاً عيابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمرى لقد أعطيتَ بُرداً وحُلةً　　وعراك من ثوب السماحة سالبُه
فما يكُ من خيرٍ فما تستطيعه　　وما يك من شرٍّ فانك صاحبه

وقال يزيد المهلبى :

فاذا غنيت فكلهم لى خاتلٌ　　واذا افتقرت فكلهم لى جافى

وما أكثر أحدٌ فى ذم الزمان اكثار ابراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخ كانَ منى فلما أن رأى الدَّهرَ جفانى جفانى

مستعدٌ لى بسهم فلما أن رأى الدَّهرَ رمانى رمانى

وقال غيره : إحذَرْ مودَّةَ ماذِقٍ شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ

يُحصى العيوبَ عليك ايـــامَ الصـداقةِ للعـداوَهْ

وقال إبراهيم :

بلوتُ الزَّمانَ وأهـلَ الزَّمان وكلٌّ بلومٍ وذمٍّ حقيق

فأوحشنى من صديقى الزمان وآنسنى بالعدوِّ الصديق

وقوله : أخ كنت آوى منهُ عندَ ادّكاره إلى ظلّ آباءٍ من العزّ باذخ

سعت نُوَبُ الأيامِ بينى وبينه فأقلعنَ منا عن ظلوم وصارخ

وإنى وإعدادى لدهرى محمـداً كملتمس إطفاءَ نارٍ بنافخ

وقال بعضُ الجعفريين :

إنّ الجديدينِ فى طول اختلافهما لا يفسدان ولـكن أفسد الناس

فلا يغرنك أضغانٌ مُزَمـلةٌ قد يُركبُ الدبر الدامى باحلاس

قالوا هو من قول زفر بن الحارث :

وقد ينبتُ المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قالوا يعـنى الرجـل يظهر لك الود ويضمر خـلافه كالنبات الحسن ينبت على القـذر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون : الدمنة حيثُ تنزلُ الابلُ فتدمن بالأبوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فاذا طال عليه العهد وسفته الرياح وأصابته السماء نبت بعـد حين ، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألفاظ البيت تقتضيه والأول فاسدٌ لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان فى ذم الاخوان فأجاد :

تناسانىَ الأصحابُ إلا عُصيبة ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناس سبةً وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه[١] وخلى أمير المؤمنين عقيلُ
ومن ذا الذي يبقى[٢] على الدهر إنهم وإنْ كثرت دعواهمُ لقليلُ
وصرنا نَرَى أنَّ المتارك محسنٌ وان خليلاً لايضرُّ وصولُ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبٍ يميلُ مع النعماءِ حيثُ تميل
وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء ولا ترعى حُقوقَ الاصدقاءِ
فمن لي أن أرَى لك مثـلَ فعلي فنصبح في الودادِ على استواءِ
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيء سوى خلقِ الرعايةِ والوفاءِ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً لأنك قد عريتَ من الحياءِ
فان ترجع إلى الحسنى وإلا فخيرُ سبيلنا تركُ اللقاءِ
وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدي فما الاجداءُ إلا في التنائي

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك البصري لنفسه يذم الزمان:

يازماناً ألبسَ الاحـــرارَ ذلاً ومهانَهْ
لستَ عندي بزمان إنما أنتَ زُمانَهْ

وقلت: زمانٌ كثوبِ الغولِ فيه تلوُّنٌ فأولُهُ صفوٌ وآخرُهُ كدر

وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حُللاً تصانُ على رجالٍ وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ
يقولونَ الزَّمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسدَ الزَّمان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأعالي بارتفاع الأسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر في الزَّمانِ وأهلهِ تقل لاعبٌ هـذا وليسَ بلاعبِ

---

(١) في ديوان أبي فراس «خليله». (٢) في الديوان «وإن الذي يبقى».

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبلدَ هـذا الدّهر فيما رَجوْته ‏ ‏ عـلى انه فيما أحاذِره نَدب

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :

لاتعجبنك عمـامتي ‏ ‏ فالفقرُ من تحتِ العمامهْ

والفقرُ في زمنِ اللئا ‏ ‏ مِ لكلّ ذي كرم علامه

وقلت في قريب منه :

وليسَ ينفكُّ كشخانٌ يجاذبنا ‏ ‏ علامةُ الحرّ أن يبلى بكشخان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

ربّ قد ضاقت النفو ‏ ‏ سُ وقد قلّـت الحِـيلْ

فلكٌ لايدورُ إلا ‏ ‏ بمـا تشتهى السفلْ

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها ‏ ‏ عجائب حتى ليسَ فيها عجائبُ

ومن عادةِ الأيام أنّ صُروفَها ‏ ‏ إذا سرّ منها جانبٌ ساء جانبُ

وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذى بصروفِ الدّهرِ عـيّرنا ‏ ‏ هل عاندَ الدّهرُ إلا من له خطرُ

فانْ تكنْ نشبتْ أيدى الزمانِ بنا ‏ ‏ ومسّـنا من تمـادى بُؤسهِ ضَررُ

ففى السماءِ نجومٌ غير ذى عدد[1] ‏ ‏ وليسَ يكسَـفُ إلاالشمسُ والقمر

أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ ‏ ‏ وتستقرُّ بأقصى قعره الدُّرَر

وقريبٌ من هذا ماقلته :

إن كنت تسلم من شغبِ الزمان ولا ‏ ‏ أعطى السلامة منـه كلها شغبا

فالعاصفاتُ إذا مرّتْ على شجرٍ ‏ ‏ حطمنه وتركن البقلَ والعشبا

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكى لنفسه في المعنى الأول :

---

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولونَ زُرناواقضِ واجبَ حقنا　　وقد أسقطتْ حالى حقوقهمُ عنى
إذا أبصروا حالى ولم يأنفوا لها　　ولا لهم منها أنفتُ لهم منّى

وأنشدنا أبو على بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوى (١) :

لىَ خمسونَ صديقاً　　بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخلع بهمْ ثوبَ الفقير
كلهمْ كالَ لىَ الحر　　مانَ بالصاع الكبير

ومن ههنا أخذ ابن الرومى قوله :

سألتُ قفيزينِ من حنطة　　فجدتَ بكُرٍّ من المنع وافي

وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً　　مالك يدٌ من مداراته
أصبحت في دار إساآته　　أعداد أنفاسى وساعاته

وأنشدنى عم أبى لأبى الأسد الدينورى (٢) :

ليتك أدَّبتنى بواحدة　　تقنعنى منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لى لاتبرُّنى (٣) أبداً　　فانّ فيها برداً على كبدى
اشف فؤادى منى فانّ به　　علىّ قرحاً (٤) نكأته بيدى
ان كانَ رزقى اليك فارم به　　فى ناظرى حيةٍ على رصدِ
فكيفَ أخطأت لاأصبت ولا　　تهضت من عثرة الى سدد

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً فى الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق اليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بنى شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النوادر . (٣) في الأغانى « تحلف أن لاتبرنى » .

(٤) فى الأغانى (منى جرحاً نكأته) .

لو كنت حراً كما زعمت وقد ... كددتنى بالمطال لم أعد
لكننى عدت ثم عدت فان ... عدت إلى مثل هذه فعد
قد صرت من سوء مابليت به ... أكنى أبا الكلب لاأبا الاسد

وقلت: العين تذرف والفؤاد يذوب ... والوجد يحضر والعزاء يغيب
ولقلة الكرماء أنت مضيع ... ولكثرة الجهال أنت غريب
تالله لم تخطئك أسباب الغنى ... إلا لأنك عاقل وأديب
فاصبر فقد عزاك عن درك الغنى ... أن ليس يدركه أغر نجيب
مابوا قطوبى ان تعذر مطلبي ... أرأيت بدراً ليس فيه قطوب
وشحوب جسمي من مواصلة السرى ... هل من هلال ليس فيه شحوب
ولقد يدل على كمال كرامتى ... أنى الى قلب الكريم حبيب
ولقد جلا حزنى وفرج كربتى ... أن اللئيم لرؤيتى مكروب
لاتلعبن فمن ورائك طالب ... ومن العجائب لاعب مطلوب

وقال أبو تمام:

هب من له شىء يريد حجابه ... مابال لاشىء عليه حجاب
مازال وسواسى لقلبى خادعا ... حتى رجا مطراً وليس سحاب
ما ان سمعت ولا أرانى سامعاً ... يوماً بصحراء عليها باب
ما كنت أدرى لادريت بأنه ... يجرى بأفنية البيوت سراب

﴿ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز ﴾

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال حدثنا محمد بن عبيدالله العتبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك فى حاجة لرجل فقال عِده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذ

لم يتقدمها موعد ينتظر به نجحها لم تتجاذب الأنفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعدتطعم والانجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتطلع له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجةً فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاخوان وان كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر انجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان لجلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالانجاز من جملة المخالفين وأدخل فى عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فان من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ماذكرت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرنى عون بن محمد قال ذكر العتابى المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندى بالوعد ونتجه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبه بالتعهد وهرمه باستتمامه من جهاته وهنأه بترك الامتنان به.

ومن عجيب ماجاء في الحث على الانجاز ماحدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المعذل قال شكا رجل جعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقّع : يابنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواءً فى الأقوال والأفعال فان الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فان أخفق أمله كان سبباً لذمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجز الوعد وإلا فقصر القول فانه أعذر والسلام .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهر بالوعد أن يثمر بالفعل .

ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

نؤمُّ أبا الحسين وكان قدما فتى أعمارُ موعده قصار

تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتنتج العشار

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون فى الحسين ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :

فلا فرحَ المأمون بالملك بعدَه ولا زال فى الدُّنيا طريداً مشرَّدا

فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ

أُعيذك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد

فـأنى شفيعٌ عندَ حُسنك غيرهُ ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ

أيبخلُ فرد الحسنِ فردُ صفاتهِ علىّ وقد أفردته بهوى فرد

فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى اللهُ عبد الله خـير عباده فملـكهُ واللهُ أعـلم بالعبد

قال هذه بتلك وقدعفونا عنك . فقال ياأمير المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك فأمر بردّ أرزاقه عليه وكانت فى كل شهر خمسمائة دينار فقال المـأمونُ لولا انى نويت العفو عنـه وجعلت ذلك وعداً له من قبل مافعلته ، وإنمـا ذكر العهد في تشبيبه فذكرنيه . وماأحسن ماقاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف قبحه على البخل قبله فما قولك فى أمر البخل أحسن منه وأجمل .

« ماقيل فى الضحك والبشر عند السؤال »

أول من أتى بذلك زُهير فى قوله :

تراهُ إذا ماجئتـه مُتهـلِّلاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله

ولو قال مكان « إذا ماجئتـهُ » « إذا ماسألته » لـكان أجود .

ومن الجيد في ذلك قول أبى نواس :

بشرهم قبلَ النوال اللاحقِ كالبرقِ يبدو قبل جودٍ دافق
والغيثُ يخفى وقعهُ المرامق إن لم يجده بدليلِ البارق

وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزلُ الأملُ البعيد ببشره بُشرى المخيلة بالغياث (١) المغدق
وكذا السحائبُ قلما تدعو الى معروفها الرُّوَّاد مالم تبرِق

وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التى بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالمزنة استؤنفت أُولى مخيلتها ثمَّ استهلتْ بغزر تابعَ الديما

وقال أبوعبدالله القطربلى قلت للبحترى وقعت دون أبى تمام فى هذا المعنى فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال فى أبى الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد (٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحائب مابدأنَ بوارقا فى عارضٍ إلا ثنينَ رواعدا

والرعد لايكون إلا ومعه الغيثُ فكأنه قال إلاثنين مواطراً ثم ردّه فقال :

إنما البشرُ روضةٌ فاذا أعقب بذلاً فروضةٌ وغديرُ

وقال البحترى :

ملكٌ عندهُ على كلِّ حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأنا من وعدهِ ونداه أبداً بين روضة وغدير

وقال : ضحكات في إثرهنَّ العطايا وبروق السحابِ قبلَ رعوده

وله أيضاً :

مُتهلِّلٌ طلقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أتبع بشرَه بالنائل
كالمزن إن سطعتْ لوامعُ برقه أجلتْ لنا عن ديمة أو وابل

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

---

(١) في ديوان أبى تمام (بالربيع). (٢) فى ديوان البحترى (بعوائد)

لست تلاقي سائلاً بردٍّ   تعيد بشر سؤدد وتبدى
كالبرق يأتيك أمامَ الرَّعد   بشرى الغيوث بحباب رغد
يلقى بك الطالبُ نجم السعدِ   بلغت فى الاعمار أقصى العد

﴿ فصل فى تعمية الأشعار ﴾

عمّى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق   نظيف مقبل بعلب نظيف
طريف مدل فايق نظيف   فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر معلب لمن   نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا   دماءً وحفتها مدامعُ حُفَّلُ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذى كان نزهة   يحصِّنهُ سترٌ من اللهِ مسبلُ
لماذا هتكتَ الستر عنك تعمداً   ولستَ بحمدِ اللهِ ممن يُجهَّلُ
رأيتك قد عميتَ بيتاً رسمتهُ   بكلِّ خطاءٍ فهو مثلاك أحولُ
وكان لمتبول الفؤادِ معذبٌ   أخى حسرة بالهجرِ والصدِّ يُقتل
فقالَ وقد رامَ السلوَّ فلم يجد   وبات كئيباً بالياً يتململ
إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا   دماءً وحفتها مدامعُ حُفَّلُ

وعمى حمزة الأصفهانى على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيرى بنفسج حماحم   شاهسفرم . اقحوان نسرين
نسرين أقحوان نسرين مرزنجوش   ورد ياسمين نسرين
زعفران نمام سوسن أفرنجمشك   آس منثور .مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش   نسرين نمام منثور

خيري منثور اقحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت :

كفى حزناً أنَّ الجوادَ مُقتَّرٌ عليهِ ولا معروفَ عند بخيل

فكان الجواب الصادر :

فداك أبا يعلى أخٌ لك لم يَزَلْ يَعدُّك ذخراً عندَ كلِّ جليل

إلى أن قال :

فقالَ وقد جابَ البلادَ فلم يجد أخا ثروةٍ يسخى لهُ بفتيل

كفى حزناً أنَّ الجوادَ مُقترٌ عليهِ ولا معروفَ عندَ بخيل

ومن أحسن ماقيل فى هذا قول أبى سعيد الأصفهانى وقد عمى عليه زياد بن جعفر الهمدانى بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزلَ غيثاً أغاثَ البلادا

وأسرجَ فيهِ وميضُ البروقِ مصابيحَ تزهرُ منه اتقادا

وثجَّ(١) فما شكَّ ذو ناظرٍ رأى سيلهُ أنَّ فيهِ مزادا

فعمَّ بشربوبه سادتى وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا

زياد بن جعفر المستجار لصرفِ الزَّمانِ إذاما عادى

فداؤك نفسى وإن سمتنى غناءً طويلاً حمانى الرُّقادا

أتتنى الطيورُ فساترنى ببيت تعمقت فيه عنادا

إلى أن تمكنتُ من صيدها وقد صدتها إذ عرفتُ المصادا

وقلتُ لها غرِّدى بالذى كتمتِ فأسرعنَ نحوى انقيادا

وأنشدتُ بيتاً مُعادَ الفصول ولستَ ترى فيه معنى مُعادا

ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا

أردتَ سقاطى فما نلتهُ فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا

وأبقاك ربى بقاء النعيم عليك وملاك منه وزادا

---

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعمى :

دمعى على الخدّ سكبُ ونارُ شوقى تشبُّ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبى قلب
لله عهد الليالى إذ مورد العيش عذب
واذ شبابىَ لدْنٌ وغصنُ قدّى شطب
ياجعفر القوم يامن يدعى اذا جلَّ خطب
فداكَ عبدٌ مَشوقٌ الى لقائك صبُّ
أبعدتنى وسواءٌ بعدٌ لدىّ وقرب
أخلاط طيب أتتنى منها يبيسٌ ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تخبو
عودٌ ومسك ذكيٌّ وعنبرٌ مستحبُّ
أوردتها نار فكرى ففاح شرقٌ وغرب
وهبَّ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
فنلت بالشمّ مالم ينله عُجمٌ وعرب
بيتا كما اهتزَّ روضٌ أو أكمل الوشى عصب
شيبٌ وسنٌّ وجهل هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نالَ الورى ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلَّ بالحج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
ليثٌ إذا عضَّ دهر غيثٌ إذا اشتدَّ جدب
لى منهما اليوم رأىٌ يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ماتقدم فاذا

مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعمى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللام فانها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ماطال في البيت من الكلمات فاذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والليث وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فان رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فاذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فاذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذى قبلها انه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لاتخلو من حرف منها أوحرفين . ولا ينفع مامثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة القريحة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضي أنه عُمِّيَ له قول الشاعر :

وكن ذاكراً بيت النوبيغ إنه ... سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر .

قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت بعدها اللام لأنهما واقعتان فى قوله (النويبغ) وفى قوله (اللبيب) فلما صحت الألف واللام رأيت اللام قد تكرر فعلمت أنها لا تتكرر إلا فى مثل اللبيب واللطيف وكان أقربها فى ظنى اللبيب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء والياء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لى بيت وبيد وبيش وبيضُ وبيع وبين فلم أجزم على شىء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة (على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين فى آخرها فطلبت على هذا المثال ما آخره عين فجاءنى جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين فوضعتهما مع سائر الحروف فخرج لى : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب فى المعنى مع ادخال اللبيب بينهما فصح لى أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيداً فى أول الكلمة الأخيرة واو فلما صح (على سمع اللبيب) لم أشك أن الكلمة السادسة (سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع سائر الحروف لم يطابق يعذب فى المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن جميعاً أن الذى ظهر من البيت يدل على أنه فى ذكر شىء فيه كناية في وسط البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن الى أن بعدها هاء وان الكلمة (إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن أول كلمة فى البيت (وكن) بغير شك وان الثانية « ذاكراً » لأن الذال ظهرت فى يعذب والالف معروفة والكاف قد بانت من الكلمة الاولى والالف الثاني

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا الغين فقط فلم أدر ماهو فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النوبيغ) لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعمى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ملتمساً   وكنتُ أشكو اليهِ ضيقَ يدى
أحصيت ألوفا يسراهُ أربعة   منقوصة سبعة من العدد

وفى هذا المعنى شيء كثير هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت فى ضرب من المعمى :

وأصفرٌ تحمرُّ أطرافه   يا حُسنه منْ مطرف مُعلم
صدَّره الانسان في بيته   وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره   وهو سليم الدِّين لم يأثم
وهو على ما كان من ذلّة   سُمِّى باسم الملك الأعظم

أعنى حصيراً والملك يُسمَّى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرّقاب كأنهم   جندٌ لدى باب الحصير قيام

وقال: وميت لايكاد المرء يدفنه   إلا إذا عادَ حياً بعدما ماتا
وميّت غيبوافي الأرض جُثَّته   عمداً لكى يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثانى الفخ . ومن مليح المعمى ماأخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبدالحميد بن عقبة قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورّى فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنّ فما   لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٍ من أبيك منبتها   حتى اذا أينعتْ قطفناها
تخبرنا ماهما وما سُبُلٌ   تشعبت منك قد سلكناها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلاً ولم نطأها وقد وطئناها
فان تصبها فأنت ذو فطن وحاجتي أن تصيب معناها

فقال أيها الأمير انه كلام ردىء أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أبيك فالأخت وأما السبل التى تشعبت فالأمم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل . وقال الآخر يذكر دعوة يدعو بها على رجل :

وسارية لم تسر فى الأرض تبتغى محلاً ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تكر وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهن قارع
اذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
وانى لأرجو الله حتى كأننى أرى بجميل الظن ماالله صانع

﴿ أحسن ماقيل فى تقبيل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبى بكر بن محمد بن خلاد الباهلى عن محمد بن الفضل عن أبى الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال كنت فى غزوة فى بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو فحاص الناس حيصة (١) فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف ننظر فى وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم نخرج فلا يرانا أحد فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون . قال « بلْ أنتم الكرَّارُونَ » فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ (إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) . وباسناد لنا أن ابن أبى ليلى قبل يد أبى مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبى مسلم ؟ قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر ؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر ؟ قال أو تجعلنى

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتبي قال قبل رجل يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيلي الصدق شعيبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أو سوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .

ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضل بن سهل يدٌ　　تقاصرَ عنها المثلْ

فبسطتها للغنى　　وسطوتها للأجل

وباطنها للندى　　وظاهرُها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل　　والمرء بينهما يموتُ هزيلا

فامدد إليّ يداً تعوّد بطنها　　بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال أيضاً * له راحةٌ فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرُها للناس ركنٌ مُقبّلٌ　　وباطنها عينٌ من الجود عيلم

هو البحر لا عينٌ من الجود عيلمٌ　　عفاء على عين من الجود عيلم

يجلّ عن تقبيلِ ظاهرِ كفه　　وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة ومن العجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذل لي أو تخدع فاعفني من ذلك .

﴿ الحض على السلام ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن عبد الله التمري عن الضحاك بن مُخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمْ فانْ قام والقومُ جلوس فليسلم فانّ الأُولى ليست بأحقّ من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلا مرّ برسول الله ﷺ وهو يهرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملنى على الرّد عليكَ إلا أني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يَرُدَّ عليَّ فاذا رأيتنى هكذا فلا تسلمْ عليَّ فانك إن تفعل لا أردُّ عليكَ السلام » وعنه عليه السلام « تمامُ التحيةِ أخذٌ باليد » وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن جدته عن مكعب الأسدى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ

سلام الاله وريحانهُ وروح المصلينَ والصائمِ

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ تحيَّةُ الموتى » قال المصنف تقول العرب للميت «عليك السلام» قال الشاعر :

عليك أبابشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد

فلا يُبعدَنك اللهُ ميتاً فانما حياةُ الفتى سيراً الى الموتِ قاصدُ

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم ورحمتهُ ماشاءَ أنْ يترحما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن الكنانى على عبد الله بن جعفر ذى الجناحين (١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فهر لدى المحضر

فأنتَ المهذَّبُ من هاشم وخير قريشٍ إذا تذكر

---

(١) لقبه به النبى ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه وهما ممسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إنّ اللهَ تعالى قد أبدَله بهما جناحين يَطيرُ بهما فى الجنة حيثُ شاء » كما فى جني الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه الاموات وقد أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أباجعفر * ثم جعلت لى ما كان لرسول الله ﷺ ووصفتني بصفته ، قل فاستمع البيت الذى سقت له ماسقت قال هاته فقال :

فهذى ثيابى قد أخلقتْ ... وقد عضَّنى زَمَنٌ منكر

فقال عبدالله هذى ثيابى لك بها، ودعا بغيرها ودفعها اليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن أبى بكر الهُذلى قال سلم نصرانىٌ على الشعبي فقال له الشعبى وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له رجل سبحان الله تقول لهذا النصرانى ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار علىّ عافاك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالاشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولى عن العباس بن الفضل الاسفاطى عن ثابت عن عبد العزيز عن هشام بن سعدٍ عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف كان يردُّ عليهم قال كان يشير اليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدى عن أبى هفان عن أبى محلم لأبى طراد أسعد بن البكا البكرى :

مررنا فقلناها السلام عليكمُ ... فبلغها ضيق المحل غيورُ

وما كنت أدرى أن في الخير ريبة ... ولا انّ رجعاً بالسلام يضير

﴿ ماجاء فى المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حُميد عن اسحق ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة عن ابن

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لَقِيَ المؤمِنُ المؤمِنَ فصافحَ أحدُهُما صاحِبَه تناثرَتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورَقُ الشجرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت ابراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلٌّ قبّل يده إلا اسحق بن اسرائيل فانه قال يا أمير المؤمنين ماينقصك أن أقبّل يدك - ولم يُقبّل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسّان عن الحسن قال المصافحةُ تزيد في المودة وسمى بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :

تصافحت الأكفُّ وكان أشهى ... إلينا لو تصافحت الخدُودُ

تموت إذا التقى كفٌّ وكفٌّ ... فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيد

وقال آخر :

فصافحت من لاقيتُ في البيت غيرها ... وكلُّ الهوَى مني لمنْ لم أصافح

وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرَّتْ بنا ... ممسوطةً كوراً على بغل

قد نقطت في كفها نقطةً ... مخافةَ العينِ من الكحل

لقيتُه يوماً فصافحته ... فقال دع كفي وخذ رجلي

﴿ حياك الله وبياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي بياك

أضحكك ، وقال على الأحمرى أرادوا بوّأك منزلاً فقال بياك الاتباع كما قالوا الغدايا والعشايا ، وقال ابن الاعرابى معناه قصدك بالتحية و بَيّت الشيء قصدته واعتمدته . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التُّسترى عن ابراهيم بن بشار الرمادى عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلى قال نزل الطماح العقيلى بقوم من بنى تميم فأحسنوا اليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حيّاكم اللهُ فانى مُنقلبْ ... بشكرِ إحسانكم كذا يجبْ
وإنما الشاعر كالكاتبِ الكاتب ... علاك عند رغبٍ وان رهبْ
لايرعوى لمبغض ولا مُحبّ ... أكثر مايأتى على فيه الكذب

وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيّا الالَه خيالها من دانٍ ... لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
لو كانَ عرَّجَ أو تعللَ ساعةً ... حتى نسائلهُ عن الأوطان
كغمانٍ شيدتا بناءَ محامدٍ ... لمهذّبٍ هشّ أخى إخوان
تلقى له دعة الكهولِ وحلمهم ... وتقاهمُ وحلاوةَ الفتيان

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيّاكَ من لم تكن ترجو تحيتهُ ... لولا الدراهمُ ما حياك إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يزيد المبرد النحوى عن أبى عثمان المازنى قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العمانى فأنشده :

هرون ياابن الأكرمينَ حسبا ... لما ترحّلتَ وكنتَ كثبا
من أرضِ بغدادَ تؤم المغربا ... طابتْ لناريحُ الجنوبِ والصبا

ونزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا ما كانَ من نشرٍ وما تصوّبا
فمرحباً ومرحباً ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحباً وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الغرّتينِ فى الدّولتينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى المحتدينِ فى المصرينِ
مرحباً مرحباً بمن كفهُ البحـرُ إذا فاضَ مُزبد العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديماً ما استعملوا مرحباً فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى [1] :

وبالسهل ميمون النقيبةِ قوله لملتمس المعروفِ أهلٌ ومرحبُ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً فقال فيه الاعرابى :

وما مَرْحباً إلا كريح تنسمتْ إذا أنتَ لم تخلطْ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنتَ لا يباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقيل له من أنت قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

---

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدى المتوكل وقد جيء برأس إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول　　جئتَ بما يشفى من الغليل

بجملة تغنى عن التفصيلِ　　برأس إسحقَ بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدنى ثعلب:

فمالك نعمةٌ سلفتْ الينا　　وكيفَ وأنتَ تبخلُ بالسلام

سوَى أن قلتَ لى أهلاً وسهلاً　　وكانت رَمية من غير رام

وقلتُ : تضنّ بتسليم وَزَوْرَةِ ساعةٍ　　فكيفَ يُرَجّى جودُ كفيك بالوفر

وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بنى هاشم قال أنشدنى عبدالسلام ابن رغبان الحمصى المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبى وإن قلتُ لهُ بأبى　　من ليسَ يَعرفُ غيره أربى

قرطستُ عشراً في مَوَدَّتِه　　لبلوغِ ما أمّلتُ من طلبي

ولقد أرانى لومددتُ يدى　　شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلتُ يوماً لها وحرَّكتِ العو　　د بمضرابها فغنّتْ وغنّى

ليتنى كنتُ ظهرَ عودك يوماً　　فاذا ماأخذتِه صرتُ بطنا

فبكتْ ثم أعرضتْ ثم قالتْ　　من بهذا أنباك في النوم عنا

قلتُ لما رأيتُ ذلك منها　　بأبى ما عليك أن أتمنىَّ

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيي الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لى . فوصله ووقّع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندى عن عبيد الله بن عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حالُ من يهلك ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه   نغّص عيشى كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألـت به كيف حالهُ
ياقريباً مزارهُ وبعيداً نوالهُ
حاضراً لى صدوده حين يرجى وصاله
مسعدٌ لى مقاله فاتكٌ لى مطاله
محسنٌ في كلامه ومسىءٌ فعالهُ

﴿ ماجاء فى أطال الله بقاك ﴾

أول من قاله عمر رضى الله عنه – روى عن رفاعة بن رافع قال شهدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلىٌ وطلحة والزبير وسعدٌ يذكرون الموؤدة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علىٌ عليه السلام إنها لاتكون موءودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعضُ الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلىّ بعض إخوانى من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاك كما أطال جفاك وجعلنى فداك إن كان فىّ فداؤك – شعر :

كتبت ولو قدرتُ هوًى وشوقاً   اليك لكنتُ سطراً في الكتاب

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيتُ لأبى تمام .

﴿ جعلت فِداك ﴾

دخل الزّبير على النبى ﷺ وهو عليلٌ فقال ما يعمدك جعلنى الله فداك فقال

النبي ﷺ « يازُبيرُ أماتركتَ أعرابيتَّكَ بعدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن على عن أبي أيوب المدينى عن إسحق قال حجبنى خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عنى فعرفه سبب انقطاعى فقال قل له إن حجبك إنسانٌ فافعل به ـ لا يكنى ـ قال فجئت فحجبنى فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءَكَ من كلّ سوءٍ   الى حُسنِ رأيك أشكو أُناسا

يحولونَ بينى وبينَ الدُّخولِ   فما انْ أسلِّم إلا اختلاسا

وأنفذتُ أمركَ فى نافذٍ   فما زاده ذاكَ إلا شماسا

فضحك لماقرأ الأبيات وأدخلنى وقال أفعلت ياأبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم الى نافذ وغيره أن لا أحجبَ متى حضرت .

((دعاء المكاتبة))

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقدّمنى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كاسر فى أخيه صقر :

أخى أنت في دينٍ ودُنيا كلاهما   أُسَرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُ

إذا ما أتى يومٌ يفرِّقُ بيننا   بموتٍ فكن أنت الذى يتأخر

فقيل له هذا يُروى لحاتم فقال وما على من لا يدرى أن ينسب شيئاً إلى غير قائله . فأما قولهم (وأتم نعمتَه عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدى بن الرقاع :

صلّى الالَه على امرىءٍ ودّعته   وأتمَّ نعمتَه عليه وزادها

قالوا وأول من قال « وأسأله أن يُصلى على محمد » إسحق بن سليمان بن على . وأنشد للسرى فى ضدّ قولهم مُتّ قبلك وان الحظ عنده أن يكون هو ومن يحبُّ يموتان فى وقت واحد :

لا مُتُّ قبلك ياأخى لا باخلا   بالنفسِ عنك ولا تمتْ قبلى

وبقيتَ لى وبقيتُ فيك مُمتَّعاً   بالبرّ والنعماءِ والفضل

حتى إذا قصد الحِمامُ لنا من بعدِ عُمرٍ وارد الجبل
مُتنا جميعاً لا يُؤخَّرُ واحد عن واحدٍ لمرارةِ الثكل
وكفاك من نفسي شهيدٌ ناطقٌ ياصاحِ أنك عندها مِثلي

وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها بعدي وأكره أن أقدّمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حِمامها أُحَكَّمُ في أمري لشاطرتها عمري
فحلّ بنا المقدارُ في ساعة معاً فماتت ولا أدري ومتُّ ولا تدري

وقريب منه قول الآخر :

لامتَّ من قبلي ولا مُتُّ من قبلك بل عشنا الى الحشرِ
حتى نُنوا في الموتَ في ساعةٍ لاأنتَ تدري بي ولا أدري

(كيف أصبحت)

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبي عن محمد بن عباد قال كان جرير ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ، وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك كان الليلة كذا إلى الزوال فاذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ، وحدثنا عنه عن المفضل بن الحُباب عن التنوخي قال العربُ تقول صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة . وحدثنا عنه عن البلعي عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قيل لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزاري :

أصبحتُ لاأحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعير إن نفراً
والذّئبُ أخشاهُ إن مررْتُ به وحدي وأخشى الرياحَ والمطرا

وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخي عن الفراء قال كنتُ عند الكسائي

فقال له رجل كيف أصبحت ؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيرى [1] :

أصبحتُ مالى من عزّ ألوذ بهِ   إلا التعزّز بعد السيف والبدن
بعرَضةٍ جانب الأدنون جانبها   والأهلُ بالشام والاخوانُ باليمن

وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى عن أبى زيد :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما   يُثبتُ الوُدَّ في فؤادِ الكريم

وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحُسَين ابن الضحاك الخليع قال كنت فى المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديد فقلتُ له من أين لك هذه ياأبا علىّ ؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه أخذها من مويس بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقمت فأجد مُويساً وقد لبس جُبة أخرى فقلت :

كيف أصبحتَ ياأبا عمرانِ   يا كريمَ الاخاء والاخوانِ

فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلتُ :

إنّ لى حاجةً فرأيك فيها   إننا فى قضائها سيّانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جُبة من جبابك الخزّ حتى   لايرانى الشتاءُ حيثُ يرانى

قال خذها ، ومد كمه فدرعتها وجئت فقال أبو نُواس من أين لك هذه؟ قلت من حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن على بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومى أعودُه فقلت له كيف أصبحت فقال كما قال الشاعرُ :

---

(١) شاعر إسلامي بدوى مقلّ ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنّ الليالي أسرعتْ في نقضي أخذنَ بعضي وتركنَ بعضي

أقعدنني من بعد طول نهضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمر أرفعُ من ثوبيَ ما كنت أُجُرّ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبدالرحمن التيمي عن أبيه قال لقي بكر بن عبدالله المزني أبا تميمة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمة ؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله عليّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة قد ألقاها اللهُ في قلوب الناس لستُ لها بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخيرٍ على أنّ النوى مطمئنةٌ بليلى وانّ العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحتسب على الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فقال ارتجالاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضا أشكو العروقَ النابيات نبضا

كما تشكى الأرجي الغرضا كأنما كان شبابي قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرق ومابي من سقم ومابي تعشقُ

ولكنْ أراني ما أزال بحادث أغادى بما لم يمس عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمرو بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجبُ لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله فى مضيق ... هل من دليلٍ على الطريق

أفٍّ لدنيا تلاعبتْ بى ... تلاعبَ الموج بالغريق

أصبتُ فيها دُريهماتٍ ... فبغضتنى إلى الصديق

وحدثنا عنه عن على بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سيء الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سُررتُ بما صِرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهؤلاء ، قال سفيان إن كان فى الناس أحدٌ طالب الدُّنيا من حيثُ يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلبي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرةِ ذا غُربة ... أدفَعُ من همّ إلى كرْبَه

أطلبُ عُتبي من حبيب نأى ... وليسَ لى عُتبي ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجماز لأبى العالية كيف أصبحتَ ؟ قال على غير مايحب اللهُ وغير ما أحب وغير مايحبُّ إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الازرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب ياأبا حُراثة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلى وكنت أنا قاعداً فى مقعدك وكان قميص ابنى المرقوع على ابنك والتومتان اللتان فى أذن ابنك على ابنى . قال يزيد فالحمد لله الذى جعلك كذا وجعلنى كذا ، فقال إلا أنى فى ضيق أنتظر سعةً وأنت فى سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبى العيناء عن العتبي قال قيل لأعرابى كيف

أصبحت قال أصبحت أعثر بالبعرة وأقيد بالشمرة وأفزع من النمرة . وحدثنا عنه عن الغلابى عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزنى قد آلى على نفسه أن لايسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لاصرفُ نفسى وهي صادية ... عن مصعب ولقد بانت لىَ الطرق

رعوى عليه كما أرعى على هرم ... قبلى زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ

مدحُ الكرام وسعىٌ في سرتهم ... ثم الغنى ويدُ الممدوح منطلقُ

ومثله قول حاجز الأزدى (١) :

وإنى لأستبقي إذا العسرُ مسنى ... بشاشةَ وجهى حينَ تبلى الطبائعُ

فأعفى ثرى قومى ولو شئتُ نولوا ... إذا ماتشكى الملحفُ المتضارع

مخافةَ أن أقلى إذا جئتُ زائراً ... وترجعنى نحوَ الرِّجالِ المطامع

ومن مليح ما قيل فى فديتك :

فدتك النفس وهى أقلُّ بذلِ ... صلى حسن المقال بحسنِ فعلِ

أرينى منك في أمرى نهوضاً ... يبين أن شغلك بى كشغلى

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندى أحمد بن أبى طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيبة لم ير الناس أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا ... لردُّوا النواظرَ عن ناظريك

تردِّينَ أعيننا عن سواك ... وهل تنظرُ العينُ إلا اليك

ألا يقرؤا ويحهم مايرونَ ... من وحى حسنك فى وجنتيك

وقد جعلوك رقيباً علينا ... فمن ذا يكون رقيباً عليك

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلى مقلّ ، مشهور بالعدو .

قال فشففنا بالابيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله وأجملت قد والله حسدتك هذه الأبيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

﴿ ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودَّع رسول الله ﷺ رجلاً أراد سفراً فقال «أستودِع اللهُ دينكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملك» وحدثناعنه عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراعة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن المدبر وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة [1] ينشده :

ليت شعري أيَّ قوم أجدبوا ... فأغيثوا بك من طولِ [2] العجفْ
نزَلَ الرَّحْبُ [3] من اللهِ بهم ... وحُرمناك لذنبٍ قد سلفْ
انما أنتَ ربيعٌ باكرٌ ... حيثما صرَّفه اللهُ انصرفْ
يأبا اسحق سِرْ في دَعَةٍ ... حيثما شئتَ [4] فما منك خلفْ

وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفراً فأنشده عند وداعه :

خلفَ الله الذي خلفته ... ووقاك اللهُ وعثاءَ السفر
إنني أشكرُ ما أوليتني ... لم يضع حسن بلاء من شكر
ردَّك اللهُ إلينا سالماً ... بعدَ غنم واغتباطٍ وظفر

---

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغاني «أي أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد العجف» .

(٣) في الأغاني «الرحم» . (٤) في الأغاني «وامض مصحوبا» .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخيطل :

أقدمْ قدمتَ قدوم عارضِ مُزنة | يهتز بينَ أهابها الفضفاض
من كلِّ مثعبة الرِّياح ثقيلةٍ | تمشي به مشيَ الوجى المنهاض
مُسودة مُبيضة فكأنها | دُهمٌ مولوعة الشوى ببياض

وقال ابن الرومي :

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يمن | هي السرَّاء تمحقُ كلَّ حزن
أظلتك السلامة ما تغنَّت | مُطوَّقة على فنن تغنى

قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى عن عوانة قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلابي من مرداس بن أذينة بآسك[1] وكان في ألفي رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

أألفا مؤمن[2] منكم زعمتم | ويهزمكم بآسك أربعونا
كذبتم ليسَ ذاك كما زعمتم | ولكنّ الخوارجَ مؤمنونا
همُ الفئة القليلة قد علمتم[3] | على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأةٌ من قومه والله لأن تعيش حميداً خيرٌ من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلفُ لك من أن تنقطع بمماتك ،

---

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرّجان .

(٢) في معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شكّ)

قال ودخل على ابن زياد فعنّفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلى وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلى ويزيد عليّ ولأن يذمنى الأمير حياً خيرٌ من أن يمدحنى ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة فى ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهتم المنقرى أبو خالد بن صفوان والناسُ لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرّضت للشهادة جهدك وطلبتها طاقتك ووسعك فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختار لنا عليك ببقائك ولم يختر لك علينا باستشهادك فالحمدلله الذى زيّن بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمّنا . فعلم الناس كيف يُدعى المهزوم فسلكوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار المهزوم قول فروة بن مُسيك المطيفى وأجاد :

فان نهزم فهزّامونَ[1] قدماً وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبنٌ ولكنْ منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

﴿ الدعاء للمعزول ﴾

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندى لأبى تمام الطائى :

ليهنك ان أصبحتَ مجتمعَ الشملِ وراعي المعالى والمحامى عن المجد
وانك صنتَ الأمرَ فيما وليتهُ وفرّقتَ ما بينَ الغوايةِ والرُّشدِ
فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنما فانّ إلى الاصدارِ ماغاية الورد
وما كنتَ إلا السيف جُرِّدَ للوغى وأغمد فيه ثم رُدَّ إلى الغمد

وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

---

(١) فى الأغانى (فان نغلب فغلابون قدماً) .

المخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروةُ بنُ أذينة :

فان تكن الامارة عنك زالت فانك للمغيرة والوليد
وقدمّر الذى أصبحت فيه على مروانَ ثمّ على سعيد

وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوى إلى عبد الله ابن الحسين القطربلى وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ماقاله أبو عبادة البحترى :

شهدَ الخرجُ إذ توليتهُ أنـك في جمعه الأمينُ الأعفّ
حيثُ لا عند مجتبى منه إلظا ظ(١) ولا فى سياق جابيه عُنفُ
سيرةُ القصد لا الخشونة عنفٌ لتعدى المدى(٢) ولا اللين ضعفُ
وعلى حالتيك يستصلحُ النا س(٣) اباءٌ من جانبيك وعطفُ
لن يُولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخرَ الدهر خلفُ
إن تشكت رعيةٌ سوءَ قبض بك أو أعقبَ الولايةَ صرفُ
فقديماً تداولَ العسرُ واليسـر وكلّ قذى على الريح يطفو
يفسدُ الأمر ثم يصلحُ عن قرْ ب والماء كدْرَةٌ ثم يصفو

ولما عُزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفى :

أبا إسحقَ إن تكن الليالى عطفنَ عليك بالعزلِ اللئيم
فلم أرَ صرفَ هذا الدهر يجرى بمكروهٍ على غيرِ الكريم

وقال أبو العتاهية فى محمد بن هشام السدرى :

لا يهنأ الأعداء عزل ابن هاشم فكلّ مُولى قصرهُ الصرفُ والعزلُ
لقد كان ميمونَ الولايةِ قابضاً يدَ الجورِ مبسوطاً به الحقّ والعدلُ
يرُومُ رجالٌ حطهُ وهو سابقٌ أبى اللهُ إلا أن يطولَ وأن يعلو

﴿ دعاء الأعياد ﴾

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفى عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

---

(١) أي إلحاح . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحترى « الأرض »

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ماقيل فى القيام للأجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأكبر قال حضر بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فتلقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ مافى ذاك عندى غضاضةٌ ... علىَّ وإنى للشريف مُـذال

عـلى أنه منى لغيرك ذِلةٌ ... ولـكنه بينى وبينك يجمـلُ

ومن مشهور ما قيل فى هذا المعنى :

فلما بصرنا بهِ ماثلاً ... حللنا الحبى وابْتدَرْنا القياما

فـلا تنكرنَّ قيامى لهُ ... فان الـكريمَ يجلُّ الـكراما

وأنشدنا أبو أحمـد عن الصولى عن يحيى البحترى لأبيه فى عبيد الله بن عبد الله من قصيدة طويلة :

ومُبجل وسطَ الرجالِ خُفوفهم ... لقيامه وقيامهـمْ لقعوده

فاللهُ يكلؤه لنـا ويحوطُهُ ... ويُعزُّهُ ويزيدُ فى تأييـده

وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالى ... لأكرمهُ وأعظمهُ هِشامُ

فلا تعجبْ لاسراعى إليـهِ ... فانّ لمثـلهِ خُلقَ القيامُ

وقال البحترى :

يقومُونَ من بُعدٍ إذا بصروا بهِ ... لأبلج موفور الـكرامة[1] أروع

ويبتدرُ الراؤونَ منهُ إذا بدا ... سنى قمرٍ من سُدَّة الملكِ مَطلع

إذاسارَ كفَّ اللحظ عن كل منظر ... سواه وغضَّ السمع[2] عن كلِّ مسمع

(١) فى نسخة « الجلالة » . (٢) فى ديوان البحترى « الصوت » .

فلستَ ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليـهِ بعينٍ أو مشيراً بأصبع

«ماقيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال»

فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا ما مضى عشرونَ يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذى أنا صائمه

وطارتْ رقاعٌ بالمـواعيـدِ بيننـا لـكىْ يلتقى مظلومُ قوم وظالمـهْ

فان شالَ شوّالٌ تُشل فى أكفنا كؤوسٌ تعادى العقلَ حينَ تسالمه

ومعانى هذه الأبيات كلها مُبتكرة لمْ يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الرياشى عن أبيه :

وقفنـا فلولا اننا راضنـا الهوى لهتكنـا عنـدَ الرقيب نحيبُ

ومن دونِ مانلقاهُ من لوعةِ الهوى تُـشَقُّ جيوبٌ بل تُـشَقُّ قلوبُ

على انَّ شوّالاً أشالَ بوصلنـا ومرتعـهُ للعاشقـينَ خـصيب

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقيـا لشهرِ الصوم من شهرِ عنـدى له ماشاءَ من شُكرِ

كم مِن عزيزٍ فيـهِ فُزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكـر

ومن إمامٍ كانَ لى وصـلهُ إلى كحيلِ العينِ بالسحرِ

لو كانَ يدرى بالذى خلفهُ أعجلهُ ذاك عن الوتر

وخـلةٌ زارتك مُشتاقة فى ليـلةِ القـدرِ على قدرِ

فانصرفَ الناسُ بما أمّلوا وبُؤت بالآثامِ والوزرِ

وأنشد المُبرّد للحارثى :

شهرُ الصيام وإن عظُـمت حرمتهُ شهرٌ طويلٌ بطىء السيرِ والحركه

يمشى الهوينا إذا ما رامَ فرقتنا كأنهُ بطةٌ تنجرُّ فى شبكه

لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلاسُـليكٌ يُـدانيهِ ولاسُـلكه[1]

---

(١) من عدّائى العرب المشهورين .

كأنهُ طالبٌ ثأراً على فرس أجدّ في إثر مطلوب على رمكه(١)
ياصدق من قالَ أيامٌ مباركةٌ إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه

وقال آخر :

مضى رمضانُ محموداً وأوفى علينا الفطرُ يقدمهُ السّرورُ
وفى مرِّ الشهورِ لنا فناءٌ ونحنُ نحبُّ أن تفنى الشهورُ

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق :

هززْتكَ للصبوح وقد نهانا أميرُ المؤمنينَ عن الصيام
وعندى من قنانِ المصرِ عشرٌ تطيبُ بهنَّ دائرةُ المدام
فكنْ أنتَ الجوابَ فليسَ شيءٌ أحبّ إليَّ من حذفِ الكلام

وقال غيره :

أقول لصاحبيَّ وقد بدا لى هلالُ الفطر من تحتِ الغمامِ
سنسكرُ سكرةً شنعاءَ جهراً وننعرُ فى قفا شهرِ الصيام

وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك فى صهباءَ مشمولةٍ ليست من الدبسِ الذى ينبذُ
فانَّ شعبانَ على طيبهِ دربٌ إذا فكرتَ لا ينفذُ

وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقيانى من معتَّقةِ الخمرِ فلا عذرَ لى فى الصبرِ أكثرَ من شهر
وإنْ كنتما لم تعلما فتعلما بأنَّ زمانَ الصوم ليس من العمر

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى الموج الرازى وقال حدثنى أبى قال كتب على بن جبلة الى أبى دلف يستسقيه نبيذاً فى يوم عيد الفطر فوجّه اليه بما كفاه وبمائتى دينار فقال على بن جبلة :

---

(١) الرمكة : الفرس .

وأبيض عجلىٌّ رأيتُ غمامهُ وأسيافهُ تقضى على الحدثان
مددتُ اليه ذمتى فأجارها وأغنى يدى عن غيره ولسانى
شربتُ وروّيتُ النديمَ بماله وأدركت ثأرَ الراح من رمضان
وكانَ لشوّالٍ علىّ ضمانةٌ فكانت عطايا جوده بضمان

وحدثنا عن الصولى قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزى عن أبى عبيدة قال أسلم اعرابى فى أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الاعرابى يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعهُ سوى شهرِ الصيام

﴿فصل فى معان مختلفة﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بنى أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهى متغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك لا تشبب بى كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمتْ عُبيدةُ إلا في ملاحتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
ماخالفَ الظبيُ منها حينَ تُبصرها إلا سوالفهُ والجيدُ والنظر
قلْ للذى عابها من حاسد حَنق أقصر فرأسُ الذى قدعبتَ والحجر

وأنشدنا للعديل بن الفرج العجلى [1] :

هل تقضينَّ لمستهام حاجةً نيطت إليك بها حبالُ رجائه
أفنى تجلدَهُ بقاءُ دموعه وأدامَ عبرتهُ فناءُ عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد الخراسانى قال كنت فى مجلس ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقلّ من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمهم جميعاً إمرأة من بنى شيبان .

ياما بون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُمل إن بدت   ونجم الثريا والمزارُ بعيـدُ

فتحدث الناس بها مدةً . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :

بُثينةُ قالت ياجميـلُ أربتني   فقلت كلانا يا بثين مُريب

فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه يهجو بعض النحويين :

عفظير إنا اختلفنا   في الفعل من فاعلين

فقال قومٌ يثنى   لجمعنا الهمزتين

وقال قومٌ يعدَّى   بملتقى الساكنين

وأنتَ أعـلم منا   بذا وذاك وذين

لأنك الدهرَ فعلٌ   يعتـلُّ من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتكم دهراً طويلاً لعسرتي   أرجى نجاحاً والظنونُ فنون

فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ انني   تعلمتُ ذلَّ العيش كيفَ يكونُ

وأنشدني أيضاً في مسجون :

لئن حجبتك الحجبُ عنا فربما   رأينا جلابيبَ السحاب على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مال موزونه لذوى الحمـــد كما خيرُ حمدهم مَوْزونهْ

وأصحُّ(١) الآراء ماظنَّ ذو الأفـــنِ بذى الرأي انهُ مأفونهْ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ   فهي الشهادةُ لى بأنى فاضلُ

(١) في الأصل «وأظن» وفى ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصحّ» .

والحلُّ الخلاءُ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُمطلٌ مسكونُهُ

وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهم مُسلمَ العرضِ سالماً ماعونُهُ

أنفقِ المالَ قبلَ انفاقك العمـرَ ففي الدهرِ ريبُهُ ومنونُهْ

لا تظننَّ أنَّ مالك شيءٌ كدم الجوفِ خيرهُ محقونُهْ

قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقتْ في الثرى المهيل رهونُهْ

كلْ وأطعمْ فربما راع ريعاً[1] زاكياً منْ تمولهُ وتمونُهْ

وإذا ما ظننتَ شراً فخفهُ رُبَّ شرٍّ يقينهُ مظنونُهْ

كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونُهْ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهُمُ ويُلحقُ الجهلُ أحياءً بأمواتِ

ونحوه قول دعبل :

سأقضى ببيتٍ يحمدُ الناسُ أمرَهُ ويكثرُ من أهلِ الرِّوايةِ حامله

يموت رديءُ الشعرِ من قبلِ ربِّهِ وجيِّده يبقى وإنْ ماتَ قائله

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عُبيدة عن خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسرى فقال له: أنشدنى بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبنى أنْ لا أزال مُناهضاً بغيرِ غِنى أسمو بهِ وأبوعُ

وانَّ رجالَ المالِ أضحوا ومالهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيع

أمُخترمى ريبُ المنونِ ولم أنلْ منَ المالِ ما أعصى بهِ وأطيع

فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

---

(١) فى الأصل «فكل ماراع ريعاً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعضُ الأمرِ أصلحهُ ببعضٍ ... فانَّ الغثَّ يحملهُ السمينُ
ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلا ... وفيما أضمروا الفضلُ المبين
كلونِ الماءِ مشتبهاً وليست ... تخبر عن مذاقته العيون

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد فى ذلك قول الشاعر :

الناسُ ان وافقتهم عذبوا ... أولا فانّ جناهمُ مُرُّ
كم منْ رياضٍ لانظيرَ لهـا ... تُـركتْ لأنّ طريقها وعرُ

وقلت : لمـا أدلّ أمانى فسلوته ... من ذا يدلُّ فـلايملُّ محبُّـه
تالله ماأتُّبعَ النبيُّ محمـدٌ ... لو كانَ فظاًّ أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :

إنى كثرتُ عليـهِ فى زيارتهِ ... فملَّ والشيءُ مملولٌ إذا كـثرا
قد رابنىمنهُ أنى لا أزالُ أرى ... في عينهِ قصراً عـنى إذا نظرا

وقال الـكميتُ : * ولولم تغب شمس النهار لَمَلَّـتِ * فأخذه أبو تمام فقال :

فانى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً ... الى الناسِ اذ ليست عليهم بسرمدِ

ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلال [1] الزيارةِ إنها ... تكون متى دامت [2] إلى الهجرِ مسلكا
فانى رأيتُ القطرَ [3] يسأم دائبـا [4] ... ويُطلب بالأيدى [5] إذا هو أمسكا

---

(١) وفى رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) فى رواية (الغيث) . (٤) فى الأصل (دائما) ، (٥) وفى رواية(ويسأل بالايدى) .

وقال آخر : وأغببتُ الزيارةَ لاملالاً ولكنْ منْ محاذرةِ الملالِ

وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً » (١) .

وقالت : مازالتَ تلقاهُ فضاقَ صدْرُهُ وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرُهُ

من أكثرِ الغشيانَ خسّ قدْرُهُ لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمرُهُ

ولم يعزّ حُمرُهُ وصُفرُهُ ولا علا بين الأنامِ ذِكرُهُ

﴿ فى ذم العجائز قول الشاعر ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضنَ عنى فمنْ لى أن تساعدَنى عجوزُ

كأنّ مجامعَ اللحيينِ منها إذا حسرتْ عن اللحيينِ كوز

ومن المشهور قول الحرمازى :

لا تنكحنّ عجوزاً إنْ دعيتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هربا

فان أتوك وقالوا إنهـا نصفٌ فانّ أطيبَ نصفيها الذى ذهبا

وقال آخر : وماغرنى (٢) إلاخضابٌ بكفها وكحلٌ بعينيها وأثوابها الصفرُ

وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بليلةٍ فكانَ محاقاً كلهُ ذلك الشهرُ

﴿ ما ورد فى فضل الحمام ﴾

قال السرى بن عبد الله الرفاء :

أسعيدُ هلْ لك في زيارةِ منزلٍ تثنى عليهِ جوارحُ الزوّارِ

رحب ترَى الجُدران فيهِ ينابعاً (٣) وترَى السماء كثيرةَ الاقمار (٤)

ينضو حيّ الوجهِ ثوب حيائهِ فيه فيخطرُ كالحسام العارى

وترى على غدرانه (٥) بُهم الوغى يخطرنَ ما بين القنا الخطارِ

---

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب وابن حبان فى صحيحه (٢) فى نسخة (وما راعنى) . (٣) فى ديوان السرى المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه ينابع » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرانه » .

سُلّتْ سُيوفُهم بغيرِ بوارقٍ وجَرتْ خُيولُهم بغيرِ غبارِ

مع أبيات أخر غير مختارة الرصف. وقلت :

قُمْ بنا نَنزل في خَيْرِ دارِ وهيَ إن مَيَّزتَها شَرُّ دارِ
منزلٌ تخلعُ دينك فيهِ حينَ تأتيهِ خليعَ الازار
لا تَرى فيهِ الشموس نهاراً وترى الاقمار نصف النهار
وعلى حيطانه أسدُ حربٍ فَوقَ امهارٍ وفوقَ مهار
شَهِدُوا الحربَ بأرْماح زورٍ وسيوفٍ نابياتِ الشفار
وترَى الابدان حينَ أتته تكتسى الصحةَ وهى عوارى
بينابيعَ كقضبانِ دُرٍّ تتكافا من وراء الجدار

وقال عبد الله بن المعتز فى ذم حمّام :

وحمامُنا كالعجوز يشقى بها الواردُ
فبيتٌ لهُ مُنتنٌ وبيتٌ لهُ باردُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وحمامنا هذه كالعجوز تلذُّ ويشقى بها الواردُ
فبيتٌ لها مُنتنٌ ضيقٌ وبيتٌ لها واسعٌ باردُ

ومن أجود ماقيل فى صفة النُّورة قول الآخر :

ومجرَّد كالسيفِ أسلم نفسهُ لمجرّدٍ يكسوهُ مالا يُنسَجُ
ثوباً تمزّقهُ الأناملُ رقةً ويُذيبهُ الماءُ القَراحُ فيبهج
وكأنه لما التقى فى خَصرهِ نصفان ذاعاجٌ وذا فيروزجُ

﴿ الشطرنج ـ قلت فيه ﴾

اذا أُعفيت الصهبا ءُ من قدحٍ ومن شجِّ
وكانَ الكأسُ لا يُجدى ومزجى الراحَ لا يزجى

وألغى اللهوَ من يلغى وأرجى الشربَ من يرجى
لأيام أخاضـتنا من الأحزانِ في لجّ
فمنها الجسمُ في نقصٍ ومنها القلبُ في وهج
فما أنفكُّ في حرٍّ وإنْ أصبحتُ في ثلج
وما منْ شرّها ناجٍ وما منْ كيدها مُنجى
تمتعنـا بمسموعٍ مليـحِ النظم والنسـج
ونتـلو ذكرَ من نهوَى على نردٍ وشطرَنج
كأنا منـهُ في هرج ولسنا منـهُ في هرج
تمشَّى الزّنجُ للرُّوم وقامَ الرُّومُ للزنج
فمـا أحسنها بيضاً تمشّـينَ إلى دعج
أقمنا بيننا حـرْباً بلا عجٍّ ولا ثجّ
شـهدناها بلا طبـلٍ ولا بوقٍ ولا صنج
وجئناها بلا سيفٍ ولا رُمح ولا زج
ترى أفراسنا تعـدو بلا لجم ولا سرج
مشى الفرزانُ مُعوجاً لأمرٍ غـيرِ مُعوجّ
ورُخٌّ ينتحى نهجاً فلا يعـدو عن النهج
وفيـلٌ ليسَ يحدوهُ يدا شلح ولا علج
وعند الشاةِ منصوبٌ لواءُ النصرِ والفلج
وحولى أوجـهٌ غُرٌّ عليها سـيمةُ السرج
إذا مادُوّنَ الحسنُ تراهمْ أولَ الدّرج

(ماورد فى النرد)

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكمان على النفوسِ وربمـا لم يحكما فيهنّ حُـكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالعاً ... ويراهما المحروم سعداً آفلا
فاذا هما اصطحبا على كفّ الفتى ... ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلا

﴿ وأما القدح ﴾

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

خروجٌ من الغمى إذا صكّ صكّةً ... بدا والعيونُ المستكفّةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراحَ كأنّهُ ... من المسّ والتقليب بالكفّ أوطحُ
إذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ ... غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُريد :

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ ... وضاقَ بما به الصدرُ الرّحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنّتْ ... وأرستْ في مطامنها الخطوبُ
أتاك على قنوطٍ منك غَوْثٌ ... يمنّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ ... فمقرونٌ بها الفرج القريب

وقلت : لكلّ مُلمةٍ فَرَجٌ قريبٌ ... كمثلِ الليل يتلوهُ الصباحُ
وإنّ لكلّ صالحةٍ فساداً ... كذاك لكلّ فاسدةٍ صَلاحُ
وللأيام أيدٍ باسطاتٌ ... وأفنيةٌ موسعةٌ فِساحُ
وقد تأتي وأوجهها صِباحٌ ... كما تأتي وأوجهها قباح
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ ... وللدُّنيا انفلاقٌ وانفتاح
فلا تجزعْ لها واصبرْ عليها ... فانّ الصبرَ عُقباهُ النجاح
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ ... فمقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفعُ الأدبُ الاحداثَ في مهلٍ ... وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إنَّ الغصونَ إذا قوَّمتها اعتدلتْ ولا يلينُ إذا قوَّمتهُ الخشبُ

وأجود ما قيل في ازدحام المنتجعين على أبواب المفضلين البيت المشهور :

مَن أكثر الاحسانَ من فعلهِ وعمَّ بالفضلِ جميعَ الأنامْ
يَزْدَحمُ الناس على بابهِ والمشرَبُ العذبُ كثيرُ الزِّحام

وقال أبو الهول :

إذا السماء أبتْ إلا محاذَرَةً سحَّتْ يد الفضل ياقوتاً وعقيانا
ترَى الرِّفاق إلى أبوابهِ زمراً ورد القطا أقبلتْ مثنى ووحدانا

﴿ معنى آخر ﴾

ليسَ جودٌ أعطيته بسؤال قد يهزُّ السؤالُ غيرَ جوادِ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً لم تذقْ فيهِ ذلةَ الترداد

﴿ ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم ﴾

وخضراء لا من بناتِ الهديل يُلففُ بالسير منقارها
كأنَّ مشقَّ عيونِ القطا إذا هنَّ تؤمن آثارها

وقال أيضاً في الحجامة :

أما وأبيك لا أنساهُ تدمى مضاربُ سيفهِ البطلَ الكميا
وبَرقاً في أناملهِ إذا ما تألقَ فتَّح الوردَ الجنيا
إذا ظمئتْ فراخُ أبيك يوماً سقاها من رقابِ الناس ريّا
وإن جرَحَ الأخادعَ مطمئناً كسا الوجناتِ ديباجاً بهيا
ولم أرَ مثلهُ يأتي عُقوقاً ويَدْعوهُ الورى براً تقيا

وقال آخر : أبوك أوهى النجادُ عاتقه كم من كميّ أدمى ومن بطلِ
يأخذنَ من مالهِ ومن دمهِ لم يمس من ثأرهِ على وجلِ

﴿ ومما قيل فى خطل الرأى قول الآخر ﴾

عُذرك عندى بك مبسوطُ ... والعتبُ عن مثلك محطوطُ
ليس بمسخوطٍ فعالُ امرىء ... كلُّ الذى يأتيهِ مسخوطُ

وقال آخر :

يا مَنْ يقلقله طنينُ ذبابِ ... ويفلُّ عزمتهُ صَريرُ البابِ
ضربَ السرادقَ فى رُواقي بابهِ ... والدَّارُ تعجزُ عن مقيلِ ذبابِ
وأقامَ للبوابِ حاجبَ حاجبٍ ... أرأيتَ حاجبَ حاجبِ البوَّابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

ألبانُ إبْلِ تعِـلَّة بنِ مُساورٍ ... مادامَ يملكها علىَّ حَرامُ
وطعام عمرو ابن أوفى مثله ... ما دامَ يسلك في البطونِ طعـام
انَّ الذين يسوغ في أحـلاقهم ... زادٌ يمنُّ عليهم للئـامُ
لعنَ الالٓـه تعـلَّةَ بنَ مُسـاورٍ ... لعناً يشنُّ عليـهِ من قُـدَّام

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور فى ذلك قول الشاعر :

أرَى كلَّ إنسانٍ يرى عَيبَ غَيرهِ ... ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خـيرُ من تخفى عليـهِ عيوبُهُ ... ويبدو له العيبُ الذى لأخيه

ولأبى دلامة [1] فى معناه :

إذا الناسُ غطونى تغطيت عنهمُ ... وإن بحثوا عنى ففيهم مباحثُ

---

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد ـ بالياء ـ وهو زند بالنون . وهو كوفي ، نبغ فى أيام بنى العباس وانقطع الى أبى عباس والمنصور والمهدى فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرت بثارهم ليعلم قوم ماتضم النبائث (١)

﴿ معنى آخر ﴾

صديقك حين تستغنى كثير وما لك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزيارة عند ضيق

فى مدح قوادة حاذقة :

تكاد لو لم تك إنسية تجرى من الانسان مجرى الدم
لا تعصم الحسناء من كيدها ولو ثوت فى منزل الأعصم

وقول الآخر فى ذلك :

تسهل كل ممتنع عسير وتأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتها تحصيل طيف الخيال ضحى لزار بلا رقاد

وقريب من ذلك قول الآخر :

من ذم إدريس فى قيادته فاننى شاكر لادريس
من يستصعب فجاء به أطوع من آدم لابليس
وكان فى سرعة المجىء به آصف فى حمل عرش بلقيس

﴿ معنى آخر ﴾

ماازددت فى أدبى حرفاً أسر به إلا تزيدت حرفاً تحته شوم
ان المقدم فى حذق بصنعته أنى توجه منها فهو محروم

وقريب منه : ولربما رزق الفتى بسكوته ولربما حرم الفتى ببيانه

ومن الجيد فى ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت فى امرءين صناعة وأحببت أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمال واسع وحيث يكون الحذق فالرزق ضيق

---

(١) في نسخة « النوابث » وفى الأغانى « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث »

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مال المرءِ لانتْ قناته ... وهانَ على الأدنى فكيفَ الأباعد

ومثله قول الآخر : المرء يكرمُ للغنى ... ويهان للعدم العديم

وقال آخر : غضبان يعلم أن المالَ ساقَ له ... مالم يسقه له علمٌ ولا أدب

فمن يكنْ عن كرام الناس يسألنى ... فأكرم الناسِ من كانت له نشب

وقال آخر : كفى حزناً أنى أروح وأغتدى ... ومالى من مالٍ أصون به عرضى

وأكثر ماألقى صديقى بمرحباً ... وذلك لايغنى الصديقَ ولايرضى

وقال آخر فى معناه :

أجلك قومٌ حين صرتَ الى الغنى ... وكلُّ غنيٍّ في القلوبِ جليل

وليس الغنى إلا غنى زيَّنَ الفتى ... عشيةَ يقرى أو غداةَ ينيل

﴿ ماورد فى حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالبُّ اللبيبِ بغيرِ حظٍّ ... بأغنى فى المعيشة من فتيل

رأيت الحظَّ يستر كل عيب ... وهيهات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجد أودع . وقال الحارث بن حِلزة :

والعيش خيرٌ فى ظلا ... ل النوك ممن عاش كدَّا

وقلت : لكلِّ حُرٍّ مبتلى ... يعيش في حال نكد

والنحسُ في طالعهِ ... أثبتُ من وصلِ وتد

فكن رقيعاً ساقطاً ... تصدُرْ بحظٍّ وتردْ

وكنْ رفيعاً ماجداً ... واصبرْ على مالم ترد

هيهاتَ أن يحظى الفتى ... بجدِّ سعدٍ دونَ جد

وقال آخر : الجدُّ أنهضُ بالفتى من عقلهِ ... فانهضْ بجدٍّ في الحوادثِ أوذر

وإذا تعسرَتِ الأمورُ فارجها ... واستأنفِ الأمرَ الذى لم يعسر

ماأقربَ الأشياءَ حينَ يسوقها قَدَرٌ وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل فى وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجهالُ أن يتهضموا أخا الحلم مالم يستعن بجهولِ

وقال الأحنف بن قيس :

وذى ضغنٍ أَمتُّ القولَ منه بحلم واستمرّ على المقال

ومن يحلم وليسَ لهُ سفيهٌ يلاقي المعضلاتِ من الرجال

وقال غيره : لا بُدَّ للسيدِ من أرماحِ ومن عديدٍ يتقى بالرّاح

ومن سفيهٍ دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وماالجودُ من فقرِ الرّجالِ ولاالغنى ولكنهُ خيمُ النفوس وخيرُها

فنفسك أكرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعدها تستعيرُها

وقد تخدعُ الدُّنيا فيمسى غنيها فقيراً ويغنى بعد بُؤس فقيرُها

وكم طامع فى حاجة لاينالها وكم(١) آيسٍ منها أتاهُ بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ماقيل فيه قول رسول الله ﷺ «المَرْءُ على دِينِ خليله(٢) »

ومن أقدم ماقيل فيه قول عدى بن زيد العبادى :

عن المرءِ لاتسألْ وأبصرْ قَرينَهُ فانَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

---

(١) فى الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث « فلينظر أحدكم منْ يخالِل »
رواه أبو داود والترمذى وحسنه والبيهقى والقضاعى وغيرهم ، قال الشاعر :

عن المرءِ لاتسألْ وسلْ عن قرينه فكلٌّ قرين بالمقارنِ يقتدى

فان كان ذا شرٍّ فجنبه سُرعةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى

اذا كنت فى قومٍ فصاحب خيارهم ولاتصحب الأردى فتردى مع الردى

وليس وصفه بالجيّد . وقال غيره :

ولا يسل الانسان إلا قرينهُ ... وإنْ لم يكونا من قَبيلٍ ولا بلد

﴿ المأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر فى ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليتَ بهِ ... إنّ الفتى بابن ِ عمّ السوءِ مأخوذ

ومن قديم ماقيل فى ذلك قول النابغة :

أحملتنى ذَنْبَ امرىءٍ وتركتـهُ ... كذى العُرّ يكوى غَيرَهُ وهو راتع

وقال غيره : إنى وقتلى سُليكاً ثم أعقلـه ... كالثورِ يُضربُ لما عافَتِ البقر

﴿ فى النهى عن الظلم قول الاول : ﴾

البغىُ يصرعُ أهله ... والظلم مرتعهُ وخيم

وقال النبي ﷺ « الظُّلْمُ ظُلماتٌ يومَ القِيامَة » (١) . وقال بعضهم :

ظُلمك من خُلقك مُستخرَجٌ ... والظلمُ مشتقٌ من الظُّلمة

وقلت فى عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسهِ ... لأنصفَ الظالمُ فى نفسه

إن كانَ لايرحمُ فى يومهِ ... لكانَ لايرحمُ فى أمسه

﴿ ماورد فى الجبن ﴾

وأفلتنا هجين بنى سُليم ... يُفدّى المُهر من حُبِّ الاياب

فلولا اللهُ والمُهرُ المُفدَّى ... لأُبتَ وأنتَ غِربالُ الاهابِ

وقال آخر :

باتتْ تُشجّعنى هندٌ وقد علمتْ ... أن الشجاعةَ مَقْرونٌ بها العطبُ

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « إتّقوا الظُّلْمَ فانّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يوم القيامة » .

ياهندُ لاوالذى حجّ الحجيجُ لهُ ... مايشتهى الموتَ عندى من لهُ أدبُ

وقال آخر فى المعنى :

نجوتُ نجاءً لم يَرَ الناسُ مثله ... كأنّى عُقابٌ عندَ تيمن كاسرُ

وقال آخر :

يقولُ لىَ الأميرُ بغيرِ شكٍّ ... تقدَّمْ حينَ جدّ بنا المِرَاسُ

ومالى إن أطعتك من حياةٍ ... ومالى بعدَ هذا الرّأسِ راس

﴿ ومن المضحكات قول الآخر ﴾

ألم ترنى وعمراً حينَ نغدو ... إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ

أسايرُه على يُمنَى يَديهِ ... وفيما بيننا رُجلٌ ضريرُ

ومن المضحكات قول القاسانى فى الجُبن والتطفيل :

أرَى فى النوم رُمحاً أوسِناناً ... فأسلحُ فى الفراشِ على مكانى

ولكنى المُبارزُ حينَ أدعى ... إلى أكل العصيدةِ والفرانى

وماعمروٌ هناك أشدّ منى ... ولا العبسىُّ عنترة الطعان

ولازيد الفوارسِ حينَ أدنو ... فألقى بالكلاكل والجران

ترانى عندها ليثاً نفيراً ... إذا مااصطكّ منى الماضغان

أشُدُّ على الخبيصةِ لاأبالى ... بأىّ جنوبها وقعتْ بنانى

وكم طبق رَدَدْتُ وليسَ فيه ... من البقلِ المحصل حبتان

﴿ الخلق من الثياب ﴾

قال الحمدونى :

طالَ ترْدَادُهُ إلى الرَّفو حتى ... لو بعثناهُ وحْدَهُ لتهدّى

وقال آخرُ : قال غسّالىَ لما ... جئته قولاً صحيحا

ياعزيزى أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهرُ قول الآخر :

يا ابن حربٍ كسوتنى طيلساناً ملَّ من صُحبةِ الزَّمانِ وصدَّا
إن تنحنحتُ فيه ينخرِ عيراً أو تحركتُ فيه ينقدُّ قدَّا

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سِيقَ إلىَّ المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلىَّ القبرُ

وقال عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلِّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها وقبرٌ يُواريها وخيرُهما القبرُ

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فانه نعم الصهر فى الستر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فانَّ المبتليك هو المُعافى
وأصدقُ ماأبثك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باحَ ضميرى بمُضْمرِ الأمرِ وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد المماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ

وقال آخرُ: ياناظراً فى الدين ماالأمر لاقدرٌ صحَّ ولا جبرُ
ماصح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبر

قبحهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى الآخرة . وانما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

ل ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سويت بيني وبينه لما كان عدلاً أن نكون سواء

فكيف وقد أعليته وخفضتني فكنت له أرضاً وكان سماء

فصل آخر

كتب أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدة فأبطأت عليه :

ياصديقي وأخي في كل مايعرو وشده

ليت شعري هل زرعتم بذر كتان المخده

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فرده وكتب اليه :

وأهديته زمناً فانيا فلا للركوب ولا للثمن

حملت على زمن شاعراً فسوف يكافى بشعر زمن

أبا الفضل ذماً وغرماً معاً فما كنت ترجو بهذا الغبن

ووعد رجل دعبلاً نعلا يهديها اليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تشتهي شتما وقذفا

فان لم تهد لي نعلاً فكنها إذا أعجمت بعد النون حرفا

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلي أبو علي البصير يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

ياشقيقي ويا خليلي إباء المرجى لكل خير ومير

أنت من أطيب الأنام بخوراً غير أني شممته عند غيري

وهو جم لديك فابعث بدرج منه إن لم أكن تعديت طوري

فكتبت اليه :

قد بعثنا اليك منه بدرج وأزرناك منه أطيب زور

بين ندٍّ وبينَ عودٍ مطرًّا ماله مشبهٌ بنجدٍ وغورِ
أنتَ منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونَور
ماتعدَّيتَ فيه طوْرَكَ عندى فتبخر منهُ بأيمنِ طير

وحدثنى أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثنى أبو دعامة الشاعرُ قال كتب العتابى إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من عمَّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس اليك أجداهم بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى اليك ، ولذلك أقولُ :

ولقد بلوتُ الناسَ ثمَّ سبرتهم ووصلتُ ماقطعوا من الأسباب
فاذا القرابةُ لاتُقرِّبُ قاطعاً وإذا المودَّةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر مارأينا تضمينه هذا الكتاب وبالله التوفيق والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

« فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني »

الصفحة

« فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف »

باعتبار الشهرة فى الأكثر

(ا)

«اختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني»

وأكثرها من استدراكات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر		الصفحة	السطر		الصفحة	السطر	
١	٤	عن نسختي	٤٣	١٢	في القدور	١٠٩	٢٠	زفته
٤	٢٣	أتى بمطر	٤٩	١١	المفضل النكري	١٠٩	٢٢	ضرار الغطفاني
٦	٥	بمدامع لم	٥١	١	سعد بن	١١٠	١٥	كالفدن
٦	١٠	دوالح ضمنت	٥٣	٣، ٤	عمرو بن	١١١	٢	على سواد
٦	١١	حفل اللقاح	٥٥	٧	الجرور	١١١	٤	عارضت
٦	١٢	سجم.. فواجم	٦٤	١٨	السواء عدونا	١١٣	١٩	تعلق بزى
٧	٨	لدمات	٦٤	١٩	المؤنف	١١٤	٧	تهارش عنده
١٢	٢٢	بعميم النبت	٦٤	٢٠	شهاب	١١٤	١٨	نوادي.. تدقق
١٣	٩، ٢٢	وحوذان	٦٤	٢١	كالسيور	١١٥	١	بقارح
١٥	٤	بن المعذل	٦٥	١	أحمر عاتر	١١٦	١٧	دكادك
١٥	٦	مغان	٦٦	١	تنحرى	١١٨	٦	مناذر
١٥	١٢	وشث	٦٦	٦	جذل	١١٩	١	رهواً
١٦	٢٢	الحماني	٦٨	١٠	بن شهاب	١٢١	٦	مضرحيات
١٧	١٣	وجنى رباها	٦٨	١١	وميض البيض	١٢١	١٢	بخت مخيسة
١٨	١٤	تزحف	٧٠	٣	العضروط	١٢٢	١٧	حسبان
١٩	١	لعسجد	٧١	٨	أخذ من	١٢٣	١١	البيت جون
٢٠	٦	جاسد	٧٢	٨	الدم	١٢٤	١٨	أودى السفار
٢٠	٩	لؤلؤ كالاقحوان	٧٣	٨	ومشلشلة: مفرقة	١٢٥	٩	السباب
٢٠	١٢	مجتاز	٧٧	٢	كأطباء	١٢٥	١١	بهاشرق
٢٣	١	المعذل	١٠٨	٥	عبدة بن الطبيب	١٢٧	٢١	جفار
٢٣	٨	تباري.. مغذا	١٠٨	٢٢	الأسعر	١٢٨	٢٢	وفد الريح
٣٢	٢	ودستنبوي	١٠٩	١٣	تارز	١٣٢	٢٠	أظلافه نسق
٣٣	٨	على كرات	١٠٩	١٨	ثار عجاج	١٣٤	١٦، ٢٠	قعساء
٣٧	٢٢	قرط	١٠٩	١٩	تنفش	١٣٥	٤	مثل الشراع

الصفحة	السطر	
١٤٠	١٣	فيه شنج
١٤٢	١٣	يتفيد
١٤٢	١٤	شنج
١٤٤	٤	كتحوط
١٤٥	٩	لهازمه ... فلطح
١٤٦	١٧	بالعظاءة.التنضبة
١٤٧	١٠	لجرة
١٤٧	١١	على الجذل
١٥٠	١	تقافزت
١٥١	١٩	الشدق
١٥٢	٤	بعد شبيبة
١٥٥	٣	سواد اللمة
١٥٥	٦	بخطمة
١٧٢	١٠	بان الأعمروبان
١٧٥	٣	ابن مناذر
١٧٥	٧	الخريمي
١٧٥	١٥	عن شباة
١٧٥	١٨	وزدت بمازودتني

الصفحة	السطر	
١٧٩	٢٢	معز الدولة
١٨٣	١٨	تمر وأغفل
١٨٣	١٩	يفعل
١٨٣	٢٠	رام
١٨٥	٤	بسر بن ارطاة
١٨٧	٦	أرضاً فيها
١٨٧	١٦	يحيى بن طالب
١٩٣	١٣	راح ركب
١٩٤	٩	بأخلاق
١٩٩	١٧	عيابها
٢٠١	٢١	أبو الشعر
٢٠٨	٢١	أفرنجمشك
٢٠٩	١٣	ابشؤبوبه
٢١٥	١٨	مروان الجعدي
٢١٦	٨ ، ٩	مكعت
٢٢٠	١١	الزرقي
٢٢٦	١٧	الارحبي
٢٢٦	٢٠	معشق

الصفحة	السطر	
٢٤٢	١٧	يداشلج
٢٤٢	١٨	وعند الشاه
٢٤٣	٥	من الغمى
٢٤٣	٦	بالكف أفطح
٢٤٣	٧	أبه .. يقدح
٢٤٤	١٢	الهديل
١٦	٢٣	دِيَمٌ
٥٧	٥	يتأكَّل
٨٥	٩	ونواقدُ
٩٢	٦	الهَزار
٩٦	١٦	وموادٌّ
٩٦	١٧	وعدوّنا
١٣٧	١٢	وكباته
١٦٤	١٠	أدِبٌ
١٧٦	١٢	جَذِيمة

٢٤١ ٢٣ مجتاب شملة برجد بسراته   قذراً وأسلم ماسواه البرجد

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ن)

(و)

(هـ)

(ى)

٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزرى (الورق الخشن ٣)
١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (وهو فى الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
٢٠٠ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع فى التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)
٣٠ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى
١٣ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو . .) للسيوطى
٢٠ ديوان المعانى (فى الشعر والنثر ونقدهما) لأبى هلال العسكرى .
٢ الطب الروحانى لابن الجوزى ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
١٥ شرح أدب الكاتب للجواليقى (الورق الخشن ١٠) .
١٥ تجريد التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد المسمى بالتقصى لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
٤ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .
٤ المبهج فى تفسير شعراء الحماسة لابن جنى ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .
٦ الانتقاء فى فضائل الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
٦ القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم ، والانباه على قبائل الرواه »
٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .
٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامى) .
١ الكشف عن مساوى المتنبى للصاحب بن عباد ، وذم الخطأ فى الشعر لابن فارس .
٢٠ تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الأسمر ١٦) .
٣ شروط الأئمة الخمسة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى .
٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للقدسى .
٨ جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبى (وهو كمعجم للمثنيات العربية) .
٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى .
٧ رسائل تاريخية لابن طولون : الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون ، والشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية ، والمعزة فى تاريخ المزة ، والنكت التاريخية .
١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخلال .
٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠)
١ بيان زغل العلم والطلب للذهبى ، ٣ الدرة المضية فى الرد على ابن تيمية للسبكى .
٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبنى لغير الفاعل لابن علان ، ورسالة فى النحو للصناديقى
١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية ، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطى
٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادى .